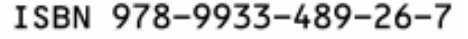


تيجان الولاء
في شرح بعض فقرات
زيارة عاشوراء






رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١١: ٢١٨٩

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢٦٧

BP

٦ / ٢٧١

٨ ب /

٩ ت

٢٠١٢ م

البلداوي، وسام، ١٩٧٤ - م.

تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء / تأليف وسام برهان البلداوي؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو]. - ط ١. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٢ج. — (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٩٥).

المصادر.

١ . زيارة عاشوراء — نقد وتفسير. ٢. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ — ٦١ ق. الزيارة — أحاديث. ٣. زيارة عاشوراء — فتاوى الشيعة. ٤ . عاشوراء — فلسفة. ٥. زيارة عاشوراء — فضائل — أحاديث الشيعة. ٦. زيارة عاشوراء — مصادر. ٧. زيارة عاشوراء — شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - م.، مقدم. ب. محمد بن علي (ع)، الإمام الخامس، ٥٧ — ١١٤ق. زيارة عاشوراء. شرح. ج. العنوان. د. العنوان: زيارة عاشوراء. شرح.

BP ٢٧١ / ٦ / ٨ ب ٩ ت

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

تيجان الولاء
في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

تأليف

الشيخ وسام بُرهان البلْداوي

الجزء الثاني

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



العراق: كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي من الكلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

تقدم في الفقرة السابقة ان عبارة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ) متوافقة مع النصوص الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك متوافقة مع المجمع عليه من اعتقاد للفرقة الناجية، فلا نزيد عما تقدم طلبا للاختصار.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَمِنْ

الواو عاطفة وما بعدها معطوف على الفقرة السابقة التي تقدم شرحها، والمعنى برئت إلى الله واليكم منهم وبرئت إلى الله واليكم من أشياعهم، وبرئت إلى

الله واليكم من أوليائهم، وحرف الجر (مِنْ) قد تبينت معانيه قبل في شرح الفقرة السابقة فلا نعيد.

٢: أَشْيَاعِهِمْ

ضمير الجمع في (أَشْيَاعِهِمْ) راجع إلى الذين تم لعنهم في فقرات الزيارة السابقة وهم كل من (أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ...أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ...أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ...الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ) ولفظ (أَشْيَاع) مأخوذ من الشيعة التي تجمع على (شيع) وتكون (أشياع) جمع الجمع كما قاله ابن منظور في لسان العرب[١].

وقد استعمل لفظ (أَشْيَاع) في معانٍ عدة نختار منها ما يتناسب والمقام:

ألف: ما قاله الفراهيدي في كتابه العين: (والشيعة: قوم يتشيعون أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأصنافهم: شيع)[٢].

باء: وقد يطلق على الأعوان والأنصار قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (والشيعة الأعوان والأنصار)[٣].

جيم: وقد يطلق على من يقوي شخصا آخر، قال ابن منظور: (ويقال: فلان يشيعه على ذلك أي يقويه، ومنه تشييع النار بإلقاء الحطب عليها يقويها)[٤] وهو

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ١٨٨ فصل الشين المعجمة.

(٢) باب العين والشين و (واي) معهما.

(٣) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٣ ص ٢٣٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ١٨٩فصل الشين المعجمة.

نفس ما قصده صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة بقوله: (شيع: الشين والياء والعين أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة...)[1].

دال: وأطلق على الأشباه والنظائر والأمثال، ومنه قوله سبحانه وتعالى ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾[2]، قال ابن منظور: (أي بأمثالهم من الأمم الماضية ومن كان مذهبه مذهبهم)[3] ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4] قال الشيخ الطبرسي: (أي أشباهكم ونظائركم في الكفر من الأمم الماضية)[5].

فيصبح معنى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (برئت بكل ما تحمل البراءة من معنى إلى الله سبحانه وتعالى والى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من امة أسست أساس الظلم والجور عليهم، ومن امة دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم، وبرئت من امة قتلتهم، ومن الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، وبرئت إلى الله سبحانه وتعالى والى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من كل من يهوى أهواء أولئك المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين ويتابعهم على أفعالهم، ومن أعوانهم وأنصارهم، وممن قواهم على جرائمهم وعاضدهم على جرائرهم التي ارتكبوها بحق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بل بحق الإسلام والدين، ومن أشباههم ونظائرهم وأمثالهم لان جميع هؤلاء يشملهم لفظ الأشياع).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٣ ص ٢٣٥.

(٢) سورة سبأ الآية رقم ٥٤.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ١٨٩ فصل الشين المعجمة.

(٤) سورة القمر الآية رقم ٥١.

(٥) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٩ ص ٣٢٤.

٣: وَأَتْبَاعِهِمْ

الواو هنا عاطفة وما بعدها يعود على نفس ما عادت عليه الجملة السابقة، وضمير الجمع هنا يعود كذلك إلى ما عادت عليه الجملة السابقة، ومعنى (أَتْبَاع) جمع تابع وهو مشتق من صفة (الإتباع) وقد ورد لها في كتب اللغة معانٍ متعددة نختار منها ما يكون محتمل المراد من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه:

ألف: أطلق على من يقفو أثر غيره بالجسم أو الرسم أو الائتمار أو الفعل، قال الراغب الأصفهاني: (تبع: يقال تبعه وأتبعه قفا أثره وذلك تارة بالارتسام والائتمار وعلى ذلك قوله ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]...)[٢] وقال ابن منظور في لسان العرب: (تبع: تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال)[٣].

باء: وأطلق على الذي يتابع غيره على هواه، قال الفراهيدي: (والمتابعة أن تتبعه هواك وقلبك. تقول: هؤلاء تبع وأتباع، أي: متبعوك ومتابعوك على هواك)[٤].

جيم: وأطلق على النصير، قال الزبيدي في تاج العروس: (والتبيع كأمير: الناصر تقول: وجدت على فلان تبيعا، أي نصيرا متابعا)[٥].

دال: ويطلق على الذي يتقن ويبالغ في إحكام فعله أو فعل غيره، قال ابن سلام: (يقال للرجل إذا أتقن الشيء وأحكمه قد تابع عمله)[٦] وقال الزبيدي: (تابع

(١) سورة البقرة الآية رقم ٣٨.

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٧٢ كتاب التاء وما يتصل بها، قال الآلوسي في تفسيره ج١١ ص ١٨١: (قال الراغب: يقال تبعه وأتبعه إذا قفا أثره إما بالجسم أو بالارتسام والائتمار).

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص٢٧ فصل التاء.

(٤) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٢ ص٧٨ باب العين والتاء والباء معهما.

(٥) تاج العروس للزبيدي ج١١ ص٣٨ مادة تبع.

(٦) غريب الحديث لابن سلام ج ٤ ص ١٧٢.

فلان عمله وكلامه، إذا أتقنه وأحكمه وكل محكم مبالغ في الإحكام متابع)[1].

هاء: وأطلق على الملوك الذين يتبع بعضهم سيرة بعض ويقتفي بعضهم اثر البعض الآخر، ومنه سمي بعض الملوك بالتبابعة، قال ابن منظور: (والتبابعة: ملوك اليمن، واحدهم تبع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته، وزادوا الهاء في التبابعة لإرادة النسب)[2].

فيصبح معنى (وَأَتْبَاعِهِمْ) بحسب ما تقدم هو: (برئت إلى الله والى أهل البيت ممن اقتفى آثار أولئك المؤسسين والدافعين والمزيلين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بجسمه أو رسمه، وممن ائتمر بأقوالهم ووافق فعله أفعالهم، وبرئت ممن تابع هواه هواهم فأحب ما أحبوه ووافقهم بقلبه على ما اقترفوه من جرائم وجرائر ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبرئت ممن ناصرهم وشاركهم على تأسيس الظلم، وممن أتقن لهم أفعالهم واحكم لهم صنيعهم وثبتهم بحيث مكنهم من قتل أهل البيت والتمهيد لقتلهم، وبرئت من الملوك الذين ملكوا من بعدهم وكانت سيرتهم مشابهة لسيرة أولئك المؤسسين والقاتلين والممهدين لظلم وإقصاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

٤: وَأَوْلِيَائِهِمْ

معنى الواو وضمير الجمع قد تبين سابقا، ولفظ (أَوْلِيَاء) جمع (ولي)، والولي في اللغة قد أطلق على معانٍ عدة نختار منها ما يكون محتمل المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه، فمنها:

ألف: قد يطلق على كل قريب سواء كان ذلك القرب قربا نسبيا أو سببيا أو

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج١١ ص٤١ مادة تبع.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج٨ ص٣١ فصل التاء.

غير ذلك من أنواع القرب، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (ولي: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب. وجلس مما يليني، أي يقاربني)[١].

باء: وقد يطلق على المتولي للأمور القائم بها، لذلك سمي الله سبحانه وتعالى بالولي بمعنى المتولي لأمور هذا العالم والمتصرف والقائم بها، قال ابن منظور: (ولي: في أسماء الله تعالى... المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها)[٢] وقال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (وكل من ولى أمر آخر فهو وليه)[٣].

جيم: وقد أطلق على كل من يعبد شيئا من دون الله سبحانه وتعالى، والعبادة كما لا يخفى بمعنى الطاعة، فيكون كل من أطاع وائتمر بغير أمر الله فهو ولي لذلك الآمر والمطاع، لذلك سمي الذين يطيعون الشيطان من دون الله بأولياء الشيطان، قال ابن منظور: (وقوله عز وجل: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾[٤] قال ثعلب: كل من عبد شيئا من دون الله فقد اتخذه وليا)[٥].

دال: وقد يطلق الولي على ضد العدو، فكل من يحب الخير لوليه ويخلص له بالمودة فهو ولي، قال الجوهري: (والولي: ضد العدو)[٦] وقال أبو هلال العسكري: (ويجوز أن يقال معنى الولي أنه يحب الخير لوليه كما أن معنى العدو أنه يريد الضرر لعدوه)[٧]، وقال أيضا في الفرق بين الولي والنصير: (أن الولاية قد تكون بإخلاص

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٦ ص ١٤١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٤٠٦ فصل الواو.

(٣) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج ٦ ص ١٤١.

(٤) سورة مريم الآية رقم ٤٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٤١١ فصل الواو.

(٦) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٥٢٩ فصل الواو.

(٧) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ الفرق بين الولي والمولى.

المودة، والنصرة تكون بالمعونة والتقوية وقد لا تمكن النصرة مع حصول الولاية فالفرق بينهما بين)[1].

فيصبح معنى (وَأَوْلِيَائِهِمْ) هو: (برئت إلى الله سبحانه وتعالى والى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من مقربي أولئك المؤسسين والدافعين والمزيلين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذين تولوا أمورهم وقاموا بأعمالهم وأطاعوهم وائتمروا بأمرهم من دون الله سبحانه وتعالى وأحبوا لهم الخير وأخلصوا لهم بالمودة دون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المبحث الثالث: في أدلة البراءة ممن ذكر في هذه الفقرة

لا يوجد في كل فقرات زيارة عاشوراء كما رأينا أي خروج عن قواعد الدين وأسس الشريعة ومتبنيات مذهب الحق الذي أسس أركانه وأرسى قواعده النبي الأعظم وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فحينما تلعن زيارة عاشوراء قوما أو جماعة أو فردا لابد وأنّ لهذا اللعن مبررا شرعيا ومجوزا عقلائيا، وأساسا من القرآن والسنة النبوية، وقد أثبتنا ذلك من قبل، وكذلك الحال هنا، وفيما يأتي جملة من الأدلة التي يمكن الاستفادة منها لإيضاح بعض الأسس التي أطلق على أساسها حكم البراءة من هؤلاء الأشياع والأتباع والأولياء.

الدليل الأول: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي

ذكرنا فيما سبق ان كلاً من الحسن والقبح عقليان، وان العقل يحكم وبغض النظر عن رأي الشرع ونصوصه على حسن الصدق وقبح الكذب وحسن رد الوديعة وقبح خيانة الأمانة وغيرها، وذكرنا سابقا من كابر في قبول ذلك فقد أنكر عقله

(١) المصدر السابق ص ٥٧٨ الفرق بين الولي والنصير.

وغالط فطرته السليمة.

وبناء على هذا المبدأ العقلي فانه يقبح بالمؤمن أن يشايع أولئك المؤسسين والدافعين وقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بان يهوى أهواءهم، ويعينهم وينصرهم على باطلهم وظلمهم، ويقويهم ليتمكنوا من دفع أهل الحق عن حقهم، ويتبعهم فيشابههم في أفعالهم وأقوالهم ويجعلهم قدوة له يقفو آثارهم ويضع نفسه في سلسلة أتباعهم، وكذلك يقبح على المؤمن أن يتولاهم ويتولى أمورهم ويحب لهم الخير؛ لان حب الخير لأهل الظلم والفساد قبيح عقلا، وكذلك يقبح ان يخلص المؤمن بالمودة لهم، لان في مودة الأشرار إعلاناً للعداوة مع الأخيار، وكل ذلك قبيح يجب على المؤمن التنزه عنه والترفع والبراءة منه ومن لا يراه قبيحا فهو مسلوب العقل مقلوب الفطرة لا يصح أن يدخل في سلك الأصحاء المتزنين والحجر بحاله أولى.

الدليل الثاني: من يقف مع أعداء أولياء الله فقد حارب الله سبحانه وتعالى

اثبت الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم ان له حزباً يدخل فيه أولياؤه وأحباؤه ومن اصطفاهم وكرمهم، ومن يتولاهم وينصرهم ويشايعهم ويتابعهم ويواليهم، فسماهم سبحانه وتعالى بحزبه ووصفهم بالغلبة تارة والفلاح تارة أخرى فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1] وقال أيضا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، ولا يشك مسلم من الفريقين: في ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم من ضمن أفراد هذا الحزب المشمولين بتلك الأوصاف المتقدمة.

وكذلك أثبتت الآيات القرآنية ان هنالك جماعة ثانية أطلق عليها القرآن لقب

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٥٦.

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

حزب الشيطان قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(1)، وحزب الشيطان يضم كل من لم يدخل ضمن حزب الله سبحانه وتعالى وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، وذلك لعدم وجود طرف ثالث فمن لم يكن مع الله سبحانه وتعالى كان مع الشيطان ومن لم يجد موطئ قدم في صفوف حزب الله، فانه لا يجد مكانا في الكون يسعه سوى صف الشيطان وحزبه.

ولان اجتماع القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والمعتدي والمعتدى عليه في حزب واحد يعد جمعا للضدين وهو محال عقلا، وإذا ثبت أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين داخلون بالإجماع في حزب الله فيكون خروج المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين لقتلهم يقينيّاً أيضا، فإذا خرجوا من حزب الله سبحانه دخلوا وبلا شك في حزب الشيطان، وإذا دخلوا في حزب إبليس دخل معهم أشياعهم وأتباعهم وأولياؤهم، لما سيأتي من ان كل إنسان يحشر على هواه وهو مع من يتولاه فان تولى الله وحزبه فهو معهم وان تولى الشيطان وحزبه كان منهم.

فإذا كان الأتباع والأشياع والأولياء من حزب الشيطان وجبت البراءة منهم كما وجبت البراءة من أسيادهم، لوجود الأمر الإلهي الصريح بعدم اتباع خطوات الشيطان وعدم موالاة ومودة من يدخل في حزبه ويحاد الله ورسوله ولو كان ذا رحم وقربى قال سبحانه وتعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(2).

(1) سورة المجادلة الآية رقم ١٩.

(2) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢.

الدليل الثالث: كل إنسان مع من يهوى ويشابه ويوالي

الأعمال في منظومة التشريع الإسلامي على قسمين، فمنها ظاهري كالحركات التي يقوم بها الإنسان المصلي من الركوع والسجود والجلوس والقيام، ومنها ما هو قلبي باطني لا سبيل للعباد بالاطلاع عليه ومعرفته، كالنيات والأفكار والخواطر وغير ذلك.

والتعويل في القيامة وعند الحساب هو على الأعمال القلبية الباطنية، فان كان باطنه موافقا لباطن أهل الإيمان قبلت أفعاله الظاهرية بلا أدنى شك، وان كان باطنه موافقا لباطن أهل الريب والكفر والانحراف والظلم عد من زمرتهم وحشر في ضمنهم وادخل في جهنم بين صفوفهم، حتى وان كانت أفعاله الظاهرية مشابهة لأفعال أهل الحق وأصحاب الإيمان، بدليل ان المنافقين الذين على عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا من حيث الظاهر متمسكين بالعبادات الظاهرية من الصلاة والحج وحتى الجهاد، لكن بواطنهم كانت منطوية على الكفر والنفاق ومعصية الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك يحشرون يوم القيامة في سلك الكافرين ويوزنون بميزان أهل الباطل والشك والريب ولا يعتنى بجميع أفعالهم الظاهرية حتى وان كانت قد وقعت على وفق الميزان الشرعي، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة نختار منها الآتي:

عن الطبراني عن جابر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفر هو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا)[1].

وعن ابن عمر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تشبه بقوم فهو منهم)[2].

وعن حذيفة يعني ابن اليمان قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج٩ ص١٣، والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٢٨٨ باب الكاف تحت رقم ٣٦٣.

(٢) سنن أبي داود لابن الأشعث السجستاني ج٢ ص٢٥٥ باب لبس الصوف والشعر،

تشبه بقوم فهو منهم)[1].

وعن ابن مسعود قال: (من رضي عمل قوم كان منهم)[2].

وعن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (المرء مع من أحب)[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت مع من أحببت)[4] وعن جابر قال سمعت رسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (العبد مع من أحب)[5].

وعن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من أحب عمل قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله)[6].

وعن أبي بكرة قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهان سلطان الله أهانه الله ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله من أحب عمل قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله)[7].

وكذلك اجتمعت كلمة المخالف والموالف على صحة مضمون تلك الأحاديث وقد أشبعت من قبلهم بحثا وتنظيرا فعلى سبيل المثال لا الحصر نستعرض لكلمات جملة من أقوال المخالفين لتكون الحجة ابلغ:

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ١٠ ص ٢٧١.

(٢) سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ج٤ ص١٧٥ الحث على الدعاء والتوجه الى الله في كل المطالب.

(٣) مسند احمد بن حنبل ج١ ص٣٩٢ مسند عبد الله بن مسعود.

(٤) المصدر السابق ج٣ ص١١٠ مسند انس بن مالك.

(٥) المصدر السابق ص ٣٣٦.

(٦) مسند الشهاب لابن سلامة ج ١ ص ٢٥٩.

(٧) مسند الشهاب لابن سلامة ج ١ ص ٢٥٩.

قال العظيم آبادي في كتابه عون المعبود: (الرابعة «من تشبه بقوم» قال المناوي والعلقمي: أي تزيا في ظاهره بزيهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم. وقال القاري: أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره، أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار «فهو منهم» أي في الإثم والخير قاله القاري. قال العلقمي: أي من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون، ومن تشبه بالفساق لم يكرم ومن وضع عليه علامة الشرفاء أكرم وإن لم يتحقق شرفه)[1].

وقال الهيثمي: (...فجميع المسلمين إذا كانت فيهم خطيئة فمن أعان عليها بفعل أو كلام أو عرض بها أو أعجبه ذلك أو رضيه فهو في تلك الخطيئة على قدر ما كان منهم وإذا كانت خطيئة بين المسلمين فمن شهد وكره فهو مثل الغائب ومن غاب ورضى فهو مثل شاهد)[2].

وقال ابن حجر: (قوله تعالى ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[3] ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لان الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم فان أعان أو رضى فهو منهم)[4].

وقال الكحلاني: (من حديث ابن مسعود من رضي عمل قوم كان منهم والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم أو بالكفار أو المبتدع في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة)[5].

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي ج ١١ ص ٥١ باب لبس الشهرة.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٧٧ سورة النور.

(٣) سورة النساء الآية رقم ١٤٠.

(٤) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٥٢

(٥) سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ج ٤ ص ١٧٥.

فيتبين من كل ما سبق ان من شايع وتابع ووالى مؤسسي الظلم والجور على أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وقتلتهم ومبعديهم والممهدين لقتلهم كان منهم، وبرضاه عنهم وعن أفعالهم يكون كالشاهد معهم والحاضر والمشارك لهم في كل جرائرهم وموبقاتهم، وكما تجب البراءة من أولئك المؤسسين والدافعين والقتلة كذلك يجب البراءة من أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم.

الدليل الرابع: من كثّر سواد قوم كان منهم حتى وان لم يرض بأفعالهم

مثلما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ان يتنزه الإنسان المؤمن عن الميل الباطني نحو أهل الظلم والجور والمعاصي والعدوان، كذلك شدد على ان يتنزه المؤمن بظاهره عنهم، فتكون مواقفه وأعماله وكلامه وملبسه ومدخله ومخرجه وكل ما يتعلق بأموره الظاهرية مباينة ومختلفة عن مواقف وأعمال وظواهر أولئك الظالمين العاصين الجائرين، لان في مشابهتهم والاقتداء بهم وبظواهرهم والمجاملة لهم وعدم الوقوف الحازم بوجههم تكثيراً لسوادهم وإغراء للجهال من العامة بإتباعهم، لان العامة من الناس تعدّ الغالبية هي المعيار والميزان فمن كان أكثر سوادا وأتباعا وأشياعا وأولياءً كان الحق معه، فمن كثر سواد الظلمة أغرى العامة باتباعهم، ومن كثر سواد أهل المعاصي أغرى الجهال بارتكابها، ومن كثر سواد جند الباطل ادخل الرعب على قلوب الصالحين وجرأ أهل الباطل عليهم، ونظرا لكل تلك المحاذير التي تترتب على مسألة تكثير السواد جاء النهي عنها شديدا في الأحاديث الشريفة، وفيما يأتي جملة من تلك الروايات الشريفة:

فعن أنس بن مالك قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سوّد مع

قوم فهو منهم، ومن روع مسلما برضاء سلطان جيء به معه يوم القيامة)[١].

وعن عمرو بن الحارث: (أن رجلا دعا عبد الله بن مسعود إلى وليمة فلما جاء ليدخل سمع لهوا فلم يدخل فقيل له فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كثر سواد قوم فهو منهم ومن رضى عمل قوم كان شريك من عمل به)[٢].

وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: (ان أبا ذر الغفاري دعي إلى وليمة فلما حضر إذا هو بصوت فرجع فقيل له ألا تدخل قال إني أسمع صوتا ومن كثر سوادا كان من أهله ومن رضى عملا كان شريك من عمله)[٣].

وفي مشايعة ومتابعة وموالاة من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودفعهم وقتلهم تكثير واضح لسوادهم وفي هذا التكثير ما لا يخفى من المحظورات ففيه إرعاب لأولياء الله سبحانه وتعالى، وفيه إغراء وإغواء للجهلة على التعدي على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتجرؤ على ظلمهم، وفيه إغراء للعوام بأن الحق مع أولئك المؤسسين والقاتلين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لان ميزان العوام كما ذكرنا هو كثرة السواد، وفي مشايعة أعداء أهل البيت ومتابعتهم وموالاتهم إضافة إلى ما سبق إخلاء وخذلان لجبهة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جبهة الحق وحزب الله المنصور، وتكثير ونصرة ومعونة لجبهة الباطل وحزب إبليس، وهو محرم شرعا وقبيح عقلا.

فكما تجب البراءة من أولئك المؤسسين وغيرهم كذلك تجب البراءة ممن يكثر

---

(١) كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص ٦١٣.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج ٦ ص ٣٤٨.

(٣) المصدر السابق.

سوادهم لتحقق المماثلة بينهما، وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد.

وقد رويت بهذا الصدد قصة تناقلتها العامة والخاصة عن ابن رياح قال: (لقيت رجلا أعمى قد حضر قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه فسئل عن ذهاب بصره قال كنت عاشر عشرة غير أني لم اضرب ولم ارم فلما رجعت إلى منزلي وصليت فأتاني آت في منامي فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ما لي وله فأخذني يقودني إليه فإذا هو جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه آخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل أصحابي فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم نارا فدنوت وجثوت بين يديه وقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي ومكث طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عبد الله انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي فقلت يا رسول الله والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم قال صدقت ولكنك كثرت السواد ادن مني فدنوت فإذا طشت مملوء دما فقال هذا دم ولدي الحسين فكحلني منه فانتبهت لا أرى شيئا)[1].

كانت هذه جملة من الأدلة التي أوضحت بشكل لا يقبل الشك الأسباب العقلية والشرعية الموجبة للبراءة من الذين ذكرتهم الزيارة الشريفة بالقول (وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ) وهنالك جملة من الأدلة ذكرناها في المبحث الرابع من مباحث الفقرة السابقة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) تنفع ان تكون دليلا يستدل به على صحة ووجوب البراءة من الأشياع والأتباع والأولياء تركنا ذكرها هنا اعتمادا على نباهة القارئ وخوفا من التكرار.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٦١ ـ ٦٢ المقصد الثاني في وصف موقف النزال وما يقرب من تلك الحال.



يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نختار منها ما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد مر إثبات وشرح فقرة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) في أول فقرة من فقرات هذه الزيارة الشريفة ، وبقية هذه الفقرة الشريفة قد وردت في متون الزيارات والأحاديث الشريفة نختار فيما يأتي جملة من تلك الموارد :

منها ما عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال : (سئل أبي عن إتيان قبر الحسين عليه السلام فقال : صلوا في المساجد حوله ويجزئ في المواضع كلها أن تقول : "السلام على أولياء الله وأصفيائه ، السلام على أمناء الله وأحبائه... السلام على الذين من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ... اشهد الله أني سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم...)[1].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٤ ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩ باب القول عند قبر أبي الحسن موسى وأبي جعفر الثاني وما يجزئ من القول عند كلهم عليهم السلام.

ومنها ما في الزيارة الجامعة: (...بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم وبما كفرتم به مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم موال لكم ولأوليائكم مبغض لأعدائكم ومعاد لهم سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم مطيع لكم عارف بحقكم مقر بفضلكم...)[1].

ومنها ما روي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه من دعاء في يوم عرفة جاء فيه: (يا موالي كونوا شفعائي في حط وزري وخطاياي آمنت بالله وبما أنزل إليكم وأتوالى آخركم بما أتوالى أولكم وبرئت من الجبت والطاغوت واللات والعزى يا موالي أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وعدو لمن عاداكم وولي لمن والاكم إلى يوم القيامة ولعن الله ظالميكم وغاصبيكم ولعن الله أشياعهم وأتباعهم وأهل مذهبهم وأبرأ إلى الله وإليكم منهم)[2].

وفي هذا المعنى ما روي عن زيد بن أرقم قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم)[3].

وعن أبي هريرة قال: (نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[4].

عن أبي سعيد الخدري قال: (لما دخل علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٦١٥ الزيارة الجامعة.

(٢) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج٢ ص١٢٦ ذكر دعاء الصادق عليه السلام في يوم عرفة.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣٣٦.

(٤) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤٤٢.

عنها جاء النبي صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم)[1].

والأحاديث ومتون الزيارات في هذا المعنى كثيرة، اقتصرنا على ما مر طلبا للاختصار.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

١: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

(يَا) حرف نداء ينادى به القريب والبعيد، وهو أشهر حروف النداء وأكثرها استعمالا، والمشهور استعمالها في الندبة[2]، و(أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) كنية الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما وقد مر في شرح الفقرة الأولى من الزيارة تفصيل القول حولها فراجع.

٢: إنِّي سِلْمٌ

(إِنِّي): (إِنّ) حرف مشبه للفعل وهي كما يقول ابن عقيل: (من الحروف الناسخة للابتداء...ومعنى إنّ وأنّ التوكيد)[3] فالزائر جاء بتأكيد لفظي على صدق اتصافه بصفة الـ(سلم).

والياء في (إِنِّي): ضمير متصل وضع في اللغة للدلالة على شخص المتكلم.

---

(١) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٥ ص١٩٩ سورة الاحزاب.

(٢) شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاستراباذي ج٤ ص٤٢٥ حروف النداء.

(٣) شرح ابن عقيل ج١ ص٣٤٥ ـ ٣٤٦ ان وأخواتها.

ولفظ (سِلْمٌ): مصدر وهو ضد الحرب، قال الفراهيدي: (والسلم: ضد الحرب، ويقال: السلم والسلم واحد)[1]. وقد استعمل في اللغة بمعانٍ عدة نختار منها:

ألف: استعمل بمعنى الصلح، قال ابن السكيت: (والسلم مفتوح والسلم مكسور: الصلح، يذكران ويؤنثان)[2] وقال الجوهري في الصحاح: (والسلم: الصلح، يفتح ويكسر، ويذكر ويؤنث)[3].

باء: واستعمل بمعنى السلام، وبمعنى المسالم، قال الجوهري: (والسلم بالكسر: السلام ... والسلم: المسالم. تقول: أنا سلم لمن سالمني)[4]وقال ابن منظور: (والسلم، المسالم. تقول: أنا سلم لمن سالمني، وقوم سلم وسلم: مسالمون وكذلك امرأة سلم وسلم)[5].

جيم: واستعمل بمعنى الخالص الذي لا شركة فيه لأحد، قال ابن منظور: (يقال: سلم فلان لفلان أي خلص له)[6].

دال: واستعمل بمعنى المستسلم المنقاد، ومنه الحديث القائل: (لآتينّك برجل سلم أي أسير لأنه استسلم وانقاد)[7] وقال: (وأخذه سلما: أسره من غير حرب. وحكى ابن الإعرابي: أخذه سلما أي جاء به منقادا لم يمتنع)[8].

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ٢٦٦.

(٢) ترتيب إصلاح المنطق لابن السكيت الاهوازي ص ٢٠٢.

(٣) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٥١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٩٣.

(٦) المصدر السابق ج ٦ ص ١١٢.

(٧) المصدر السابق ج١٢ص ٢٩٣.

(٨) المصدر السابق ص٢٩٥.

وقد صرح العلامة الميرزا أبو الفضل الطهراني في شرحه لزيارة عاشوراء ان استعمال المصدر (سِلْمٌ) هنا (من باب استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل، فإما أن يكون محمولا على المبالغة أو بتقدير ذو «أي ذو سلم»)[1].

ولكننا نرى ان استعمال المصدر هنا فيه نكتتان مهمتان ولطيفتان:

إحداهما ان المصدر في اللغة يستعمل مجردا غير مقترن بزمان دون آخر، فكأن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه أراد في هذه الفقرة الشريفة: أن يوضح بأن سلمي لمن سالمكم غير مختص بزمان دون زمان، بل السلم بالنسبة لي صفة ملازمة في الماضي والحاضر والمستقبل لا زوال لها ولا اضمحلال.

والنكتة الأخرى: هي ان المصدر يضم تحته كل المعاني المشتقة منه، فيكون المقصود من إيراد المصدر في هذه العبارة الشريفة هو إرادة جميع المعاني المنطوية تحت هذا المصدر والمشتقة منه، فكأنّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه أراد من إيراد هذا اللفظ القول: بأني سلم لمن سالمكم بكل ما يحمل السلم من معنى، كما إني حرب لمن حاربكم بكل ما يحمل الحرب من معنى.

ونفس هذه النكات تنطبق على لفظ (حَرْب) في قوله صلوات الله وسلامه عليه: (وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

٣: لِمَنْ سَالَمَكُمْ

(لِمَنْ) اللام في الأصل كما هو محقق للاختصاص قال صاحب كتاب (الجنى الداني في حروف المعاني): (التحقيق ان معنى اللام في الأصل هو الاختصاص وهو

(١) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور للميزا أبي الفضل الطهراني ج١ ص٢١٢ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

معنى لا يفارقها وقد يصحبه معان أخرى وإذا تُؤمّلت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص)[1]، و(مَنْ) هنا موصولة وهي بمعنى (الذي).

و(سَالَمَكُمْ) و(سَالَم) من السلام وهو كما يقول الجوهري: (والسلام: السلامة. والسلام: الاستسلام. والسلام: الاسم من التسليم...والسلام: البراءة من العيوب)[2].

وقال ابن منظور: (والسلام يريد الاستسلام والإذعان)[3].

وبذلك يصبح المقصود من عبارة: (إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ) هو: (يا أبا عبد الله إني صلح وسلام ومسالم لمن هو مسالم ومستسلم ومنقاد إليكم، ولمن هو بريء من كل العيوب التي استوجب أصحابها فيما سبق اللعن والبراءة).

وضمير الجمع في (سَالَمَكُمْ) قد يعود إلى شخص الإمام الحسين بقرينة ياء النداء وإلحاقها بكنيته صلوات الله وسلامه عليه، ويكون الجمع فيها للتفخيم وإعلاء الشأن وهو استعمال معروف في اللغة العربية، وأيضا بقرينة ان الفقرات التي ستلي هذه الفقرة ستتحدث عن شخصيات لها علاقة بقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، وقد يكون ضمير الجمع عائداً إلى نفس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموما والنداء وان خص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا انه عام لجميع أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذكر الإمام الحسين بالنداء من باب كونه المخصوص بالزيارة والخطاب بالدرجة الأولى.

---

(1) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ص١٠٩.

(2) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٥١ فصل السين.

(3) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٢٩٣ فصل السين المهملة.

٤: وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، و(حَرْب) كما قال الفراهيدي: (نقيض السلم)[١]وقد جاء في اللغة بمعانٍ متعددة منها:

ألف: استعمل بمعنى العدو، قال الجوهري: (وأنا حرب لمن حاربني، أي عدو)[٢] وقال ابن منظور: (وفلان حرب لي أي عدو محارب، وإن لم يكن محاربا)[٣] وقال الطريحي: (وفي حديث الأئمة عليهم السلام «أنا حرب لمن حاربكم» أي عدو لمن عاداكم)[٤].

باء: واستعمل بمعنى العصيان، قال الخليل الفراهيدي: (وقوله تعالى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٥] يعني المعصية)[٦].

جيم: واستعمل بمعنى القتل أو القتال، قال الفراهيدي: (وقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يقال: هو القتل)[٧] وقال الزبيدي: (الحرب نقيض السلم ...يعنون به القتال، والذي حققه السهيلي أن الحرب هو الترامي بالسهام، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم المعانقة، والمصارعة إذا تزاحموا)[٨].

دال: واستعمل بمعنى التباعد والتباغض، قال الزبيدي: (فلان حرب لفلان

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٣ ص ٢١٣ باب الحاء والباء والراء.

(٢) الصحاح للجوهري ج ١ ص ١٠٨ فصل الحاء.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٣٠٣.

(٤) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ١ ص ٤٨١.

(٥) سورة المائدة الآية رقم ٣٣.

(٦) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٣ ص ٢١٤.

(٧) المصدر السابق.

(٨) تاج العروس للزبيدي ج ١ ص ٤٠٩.

إذا كان بينهما بعد وتباغض)[1].

هاء: واستعمل بمعنى الشجاع الشديد الحرب، قال ابن منظور: (ورجل حرب ومحرب، بكسر الميم، ومحراب: شديد الحرب، شجاع)[2] وقال الزبيدي: (ورجل حرب كعدل ومحرب بكسر الميم ومحراب أي شديد الحرب شجاع)[3].

فيكون معنى قوله صلى الله عليه وآله (وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ) هو: (يا أبا عبد الله إني عدو لعدوكم ومتباعد مباغض لمن تباعد عنكم وأبغضكم، وشجاع شديد الحرب على من قاتلكم، ارمي بين يديكم وحال حربكم وبإذنكم بالسهام وأطاعن عدوكم بالرماح وأجالد من قاتلكم بالسيوف فإذا نفد ما عندي أصارعهم وأعانقهم وأحول ما بينهم وبين الوصول إليكم ما بقي في نفسي رمق وبقية حياة).

٥: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

بينا فيما سبق أن أحد معاني حرف الجر (إِلَى) هو لانتهاء الغاية الزمانية[4] نظير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[5]، و(يَوْمِ الْقِيَامَةِ) معروف معلوم ورد ذكره في القرآن الكريم سبعين مرة، وقد ذكر له القرآن عدة خصائص، فهو اليوم الذي يحشر فيه الناس وفيه يجمعون قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[6].

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج ١ ص ٤١٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٣٠٣.

(٣) تاج العروس للزبيدي ج ١ ص ٤١٠.

(٤) مغنى اللبيب لابن هشام الأنصاري ج ١ ص ٧٤، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٤٤٤.

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٦) سورة الأنعام الآية رقم ١٢.

وهو اليوم الذي يوفى العباد فيه أجورهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1] وهو اليوم الذي يقتص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمظلوم من الظالم ولأهل الحق من أهل الباطل قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

والهدف من إيراد يوم القيامة في هذه العبارة الشريفة من الزيارة للتأبيد والديمومة أي ان سلمي لمن سالمكم وحربي لمن حاربكم يدومان أبدا ما بقيت أيام الدنيا، ولون أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدر لي أن أعيش إلى آخر يوم من أيام الدنيا لبقيت متصفا بكوني سلم لمن سالمكم وحرباً لمن حاربكم، فإذا كان يوم القيامة تكفل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتولي من والاكم وسالمكم ومجازاة من حاربكم وأثابني على ما بذلته من نصرتكم ونصرة أوليائكم، ولم يحشرني في زمرة محاربيكم لأني قد أعلنت الحرب عليهم والبراءة منهم أيام حياتي في دار الدنيا.

المبحث الثالث: حرمة المؤمن الشيعي وعظمته

الزيارة الشريفة قد كشفت في فقرتها هذه منزلة عظيمة من منازل المؤمن الشيعي المتصف بالمسالمة لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وأوجبت على بقية أهل الإيمان أن يتصف بصفة السلم تجاه كل من يعلن حالة السلم والمسالمة لهم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وقد جاء تصديق هذه المنزلة الرفيعة للمؤمن الشيعي المسالم في بقية روايات أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وقد اخترنا من تلك الروايات بعضها، ومنها سيتبين ان الهجمة

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٨.

(٢) سورة الحج الآية رقم ٦٩.

(٣) سورة السجدة الآية رقم ٢٥.

الإعلامية قديما وحديثا ضد كل من يتصف بالتشيع والموالاة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي هجمة لا تملك من الحقيقة أي اثر، وانها موجهة من قبل أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتشويه صورتهم التي أشرقت كالشمس بفضل ولائهم لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولبخس حقوقهم التي هي عند الله سبحانه وتعالى عظيمة كما سنرى ذلك لاحقا، ولهم في ذلك الأسوة الحسنة بأئمتهم ومن قبلهم الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد اختلق ضدهم أهل النصب والضلال من زخرف القول ما يندى له الجبين ولا يقرهم عليه ذو مروءة ولا دين، فقد ورد عن علقمة انه سأل الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه بما نصه: (يا بن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال «عليه السلام»: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه «عليهم السلام»؟ ألم ينسبوا يوسف «عليه السلام» إلى أنه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب «عليه السلام» إلى أنه ابتلي بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود «عليه السلام» إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهواها؟ ...ألم ينسبوا نبينا محمدا «صلى الله عليه وآله» إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء... وما قالوا في الأوصياء «عليهم السلام» أكثر من ذلك، ألم ينسبوا سيد الأوصياء «عليه السلام» إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك، وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها...ألم ينسبوه إلى أنه «عليه السلام» أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة «عليها السلام»، وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: إن عليا يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله... يا علقمة، ألم يقولوا لله عز وجل: إنه ثالث ثلاثة ؟ ألم يشبهوه

بخلقه؟ ...ألم يقولوا: إنه جسم... يا علقمة، إن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين)[1].

والأحاديث التي رويت في هذا الباب كثيرة حتى ان بعض الباحثين جمع ألف حديث في المؤمن ووضعه في كتاب مستقل مع انه لم يأتِ على جميع ما ذكرته الروايات في هذا الصدد وقد اخترنا من هذه الأحاديث ما يتناسب وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة وهي كالتالي:

عظمة المؤمن وكرامته عند الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: إني والله لأحب رياحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد ومن ائتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله عز وجل وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما على درجة الجنة أكثر أرواحا منكم فتنافسوا في فضايل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صديق ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقنبر: يا قنبر ابشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة. ألا وإن لكل شيء عزا وعز

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ١٦٤ ـ ١٦٦ من تقبل شهادته.

الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء شرفا وشرف الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء سيدا وسيد المجالس مجالس الشيعة. ألا وإن لكل شيء إماما وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشبا أبدا والله لو ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[1] فكل ناصب مجتهد فعمله هباء، شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل ومن خالفهم ينطقون بتفلت، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنة وفي ظل عرشه وإن كان أجلها متأخرا بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله عز وجل وإن فقراءكم لأهل الغنى وإن أغنياءكم لأهل القناعة وإنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته)[2].

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (ألا وإن لكل شيء جوهرا وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا بعدنا، حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله عز وجل وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة والله لولا أن يتعاظم الناس ذلك أو يدخلهم زهو لسلمت عليهم الملائكة قبلا والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائما إلا وله بكل حرف مائة حسنة ولا قرأ في صلاته جالسا إلا وله بكل حرف خمسون حسنة ولا في غير الصلاة إلا وله بكل حرف عشر

---

(١) سورة الغاشية الآية رقم ٣ ـ ٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢١٢ ـ ٢١٤.فضل الشيعة.

حسنات وإن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممن خالفه أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1] إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب ألا والخلائق كلهم كذلك، ألا إن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم)[2].

وجوب نصرة المؤمن والسعي في حوائجه ونصيحته

عن أبي بصير قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. قال أبو بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تعني بقولك: والمؤمنين؟ قال: من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم)[3].

عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (سمعته يقول: من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل)[4].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أيما رجل من شيعتنا أتى رجلا من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة)[5].

(١) سورة الحجر الآية رقم ٤٧.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص٩٨ عقاب من مشى في حاجة مؤمن ولم ينصحه.

(٤) الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٣٦٧ باب من منع مؤمنا شيئا عنده الحديث رقم ٤.

(٥) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٢٥٠ عقاب من استعان به المؤمن ولم يعنه.

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (لا تستخف بفقراء شيعة علي عليه السلام فان الرجل منهم يشفع في مثل ربيعة ومضر)[1]

وعن أبي هارون عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك فقال: بلى إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: ويحك أو لم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعييت، والله ما رفعت به رأسا ولقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فينا استخف وضيع حرمة الله عز وجل)[2].

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله، فان للجنة بابا يقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، وإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربه يدعوان له بقضاء حاجته، ثم قال: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسر بحاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة)[3].

عن الحسين بن عبد الرحيم، قال، قال أبو الحسن عليه السلام لعلي بن يقطين: (اضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثا فقال علي: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي؟ قال، فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتي أضمنهن لك: أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، ولا

(١) ألف حديث لكاشف الغطاء ج١ص٩٤

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ١٠٢مدح لحسان بن ثابت وذم لبعض الصحابة.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٦ ص٣٥٩ باب استحباب قضاء حاجة المؤمن.

فاقة، ولا سجن حبس، قال، فقال علي: وما الخصلة التي أضمنها لك؟ قال، فقال: تضمن أن لا يأتيك ولي أبدا إلا أكرمته، قال فضمن علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث)[1].

عن شعيب العقرقوفي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه)[2].

وجوب موالاة أوليائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعاداة أعدائهم

عن يعقوب بن شعيب، عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله عنه، قال: وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول: (تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: ليس من عبد امتحن الله قلبه بالإيمان إلا أصبح يجد مودتنا على قلبه، ولا أصبح عبد ممن سخط الله عليه إلا يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نفرح بحب المؤمن لنا، ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبنا مغتبطا بحبنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم، وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم، وكأن أبواب الرحمة قد فتحت لأصحاب الرحمة، فهنيئا لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعسا لأهل النار مثواهم، إن عبدا لن يقصر في حبنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبنا من يحب مبغضنا، إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد و ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[3] يحب بهذا قوما، ويحب بالآخر عدوهم، والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه. نحن

(١) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٧٣١ ـ ٧٣٢

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ١٧٥ باب التراحم والتعاطف الحديث رقم ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٤.

النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله عليه السلام، والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحب أن يعلم حاله في حبنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حب من ألب علينا فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل وميكائيل، والله عدو للكافرين)[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: في قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[2] (قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحب هذا ويبغض هذا فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه فان شاركه في حبنا حب عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين)[3].

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، قال: (من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء في الدنيا والآخرة يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا، ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ١٤٨ ـ ١٤٩ المحب والمبغض لاهل البيت عليهم السلام.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٤.

(٣) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١٧١ ـ ١٧٢ تفسير سورة الاحزاب.

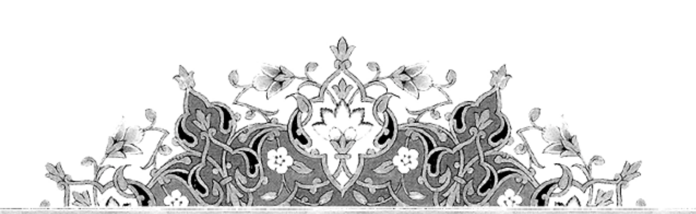
أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا، يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم وليا ولا نصيرا)[1].

عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (من زارنا في مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا، ومن جاهد عدونا فكأنما جاهد معنا، ومن تولى محبنا فقد أحبنا، ومن سر مؤمنا فقد سرنا، ومن أعان فقيرنا كان مكافأته على جدنا محمد صلى الله عليه وآله)[2].

اللهم اجعلنا سلما لمن سالم محمداً وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحربا لمن حاربهم آمين يا رب العالمين.

(1) التوحيد للشيخ الصدوق ص ٣٦٤ باب نفي الجبر والتفويض الحديث رقم ١٢.

(2) المقنعة للشيخ المفيد ص٤٨٦ الباب ٣٧.



وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِيَادٍ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللهُ ٢: آلَ زِيَادٍ

المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء

عقدة الحقارة والشعور بالنقص في شخصية زياد بن أبيه

الميزات الفريدة في شخصية زياد بن أبيه

أولا: كان يعد من دهاة العرب

ثانيا: كان خطيبا مفوها

ثالثا: كان كاتبا لأربعة من الولاة قبل ان يصبح بنفسه واليا

رابعا: كانت له خبرة بقمع التمردات والانتفاضات الشعبية

استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التي في شخصية زياد

استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إيّاه

حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء

حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد

المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته

وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِيَادٍ

وفي هذه الفقرة أيضا مباحث مهمة نستعرض بعضاً منها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد لعن آل زياد على لسان الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المروي عن يعقوب بن يزيد عن الوشا قال : حدثني نجية بن الحارث العطار قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشورا فقال : (صوم متروك بنزول شهر رمضان ، والمتروك بدعة ، قال نجية : فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه عليه السلام فأجاب بمثل جواب أبيه ثم قال لي : أما انه صيام يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد لعنهم الله بقتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما)[1].

وعن علقمة بن محمد الحضرمي : عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال : (من أراد زيارة الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من المحرم ... من بعيد وقريب كل يوم... ثم تقول وأنت خاشع مستكين : (السلام عليك يا بن رسول الله ، السلام عليك يا بن البشير النذير ، وابن سيد

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٤ ص ٣٠١ باب وجوه الصيام وشرح جميعها على البيان.

الوصيين... اللهم وهذا يوم تجدد فيه النقمة وتنزل فيه اللعنة على اللعين يزيد، وعلى آل يزيد، وعلى آل زياد، وعمر بن سعد والشمر، اللهم العنهم والعن من رضي بقولهم وفعلهم، من أول وآخر، لعنا كثيرا، وأصلهم حر نارك، وأسكنهم جهنم وساءت مصيرا، وأوجب عليهم وعلى كل من شايعهم وبايعهم وتابعهم وساعدهم ورضي بفعلهم، وافتح لهم وعليهم، وعلى كل من رضي بذلك، لعناتك التي لعنت بها كل ظالم، وكل غاصب، وكل جاحد، وكل كافر، وكل مشرك، وكل شيطان رجيم، وكل جبار عنيد)[1].

وهم ملعونون بأدلة أخرى عامة قد مر توضيحها من قبل، فهم يندرجون تحت عنوان الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم والمزيلين لهم عن مراتبهم، ومن القاتلين والأشياع والأتباع والأولياء، وهؤلاء جميعهم قد حقت عليهم اللعنة والخزي الأبدي.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللهُ

الواو قد تكون عاطفة ويكون ما بعدها معطوفاً على تلك الجمل التي لعن فيها من أسس أساس الظلم والجور وغيرهم من الذين تم لعنهم في العبارات السابقة، وتكون الجملة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) جملة اعتراضية ما بين العاطف والمعطوف، وهو وارد في اللغة العربية.

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج ١٠ ص ٤١٢ ـ ٤١٤.

كما ويمكن أن تكون الواو هنا استئنافية وهي المسماة بواو الابتداء وهي (الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة لها في الإعراب).

و(لَعَنَ اللَّهُ) قد تبين معناها من قبل فراجع.

٢: آلَ زِيَادٍ

استعمل لفظ الـ(آلَ) بمعانٍ عدة منها:

١: قرابة الرجل وأهل بيته، قال الفراهيدي: (وآل الرجل: ذو قرابته، وأهل بيته)[1].

٢: أهله وعياله، قال الجوهري: (وآل الرجل: أهله وعياله)[2].

٣: ومنهم من جعل الآل هم خاصة الرجل من جهة القرابة والصحبة، قال أبو هلال العسكري: (والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة... وقال بعضهم: الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده)[3].

وقال ابن منظور: (كانوا يخصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقال رجل مؤمن من آل فرعون)[4].

و (زِيَادٍ) المذكور هنا هو المسمى بزياد بن أبيه، وقد يقال عنه زياد بن عبيد، أو زياد بن أمه، أو زياد بن سمية، وسنذكر تفصيل أحواله في المبحث الثالث.

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ٣٥٩ باب اللفيف من اللام.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٦٢٧ باب اللام فصل الألف.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٨٤ – ٨٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٣٠ حرف الألف فصل الهمزة.

المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء

كانت بذرة الانحراف الأولى لزياد وآل زياد من طرف أمهم سمية، تلك التي كانت مشتهرة بين الداني والقاصي بفجورها وانحرافها، حتى كانت تعد من ذوات الرايات اللاتي كن يعلقن على بيوتهن راية يعرفن بها فيدخل عليهن الرجال لطلب الزنا والفاحشة، وكتاب الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه الذي كتبه لزياد بن أبيه خير دليل على حقيقة ما قدمناه، حيث ورد في هذا الكتاب ما نصه: (وما أنت يا زياد وقريشا، لا أعرف لك فيها أديما صحيحا ولا فرعا نابتا، ولا قديما ثابتا، ولا منبتا كريما، بل كانت أمك بغيا تداولها رجال قريش، وفجار العرب، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا)[1].

وقال ابن حجر متحدثا عن زياد: (وكانت أمه مولاة صفية بنت عبيد بن أسد ابن علاج الثقفي وكانت من البغايا بالطائف)[2].

ولدت سمية هذه ثلاثة أولاد غير شرعيين، اثنين منهم ولدتهم على فراش الحارث بن كلدة الثقفي، والثالث هو زياد الذي ولدته على فراش عبيد، قال ابن عساكر متحدثا عن هذا الموضوع بما نصه: (فولدت عند الحارث أبا بكرة وهو مسروح فلم يقر به...ثم ولدت سمية نافعا فلم يقر بنافع...وزوجها الحارث غلاما له روميا يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه، وكان أبو سفيان صار إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي وكانت لأبي مريم بعد صحبة فقال أبو سفيان لأبي مريم بعد أن شرب عنده: قد اشتدت بي العزوبة فالتمس لي بغيا قال هل لك في جارية الحارث بن كلدة سمية امرأة عبيد قال هاتها...فجاء بها إليه فوقع لها فولدت زيادا)[3].

---

(١) الغدير للشيخ الأميني ج ١٠ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ نقلا عن المحاسن والمساوئ للبيهقي ج١ ص٥٨.

(٢) الإصابة لابن حجر ج٢ ص ٥٢٨.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١٩ ص ١٧٣.

عقدة الحقارة والشعور بالنقص في شخصية زياد بن أبيه

فنشأ زياد بن أبيه في وسط هذه الأجواء الموبوءة يرتع وينمو في أحضان الرذيلة ويتربى في حجر امرأة قد تبين حالها فيما مر، فكان من الطبيعي أن يتأثر زياد نفسيا وعاطفيا بتلك الأجواء التي ترعرع فيها، ولا ينبغي أن ننسى النظرة الانتقاصية السلبية التي كان المجتمع ينظر من خلالها إلى زياد وأمثال زياد، فترعرع زياد وفي نفسه ألوان من الإمراض والعقد النفسية والاجتماعية، فلم يستطع أن يتخطاها إلى آخر يوم من أيام حياته، وما التناقضات التي ظهرت في أفعال زياد وأقواله التي سيتضح بعضها في الصفحات القادمة إلا نتيجة تلك العقدة والشعور بالنقص والحقارة الاجتماعية.

الميزات الفريدة في شخصية زياد بن أبيه

كانت شخصية زياد بن أبيه تتأرجح ما بين حافزين أو قوتين ان صح التعبير، حافز وقوة تشده إلى الأرض وتضع من قدره دينيا واجتماعيا، وهذه القوة هي عقدة الحقارة التي كان يعيشها زياد نتيجة الضحالة الأسرية والنسبية التي اتضحت فيما سبق.

وقوة أخرى كانت تجذبه نحو التكامل والرقي وهذه القوة كانت تتمثل في مجموعة من الصفات التي ميزته عن بقية أولئك الذين يسقطون في نفس ظروفه وينشأون في نفس بيئته التي نشأ فيها، فقلما بل يكاد يكون نادرا ان يبتلى إنسان بمثل ظروف وتربية زياد بن أبيه ويتمكن بعد ذلك ان يكون كاتبا خطيبا وسياسيا إداريا من الطراز الأول، يعتمده الأمراء ويستميله الحكام كل يريده لنفسه، ويتسلق بفضل تلك الإمكانيات الفريدة أعلى مناصب الدولة الإسلامية ولعشرات السنين.

ونستطيع ان نتلمس هذه الصفات الاستثنائية من خلال النصوص التالية:

أولا: كان يعد من دهاة العرب

أخرج ابن عساكر عن الشعبي قوله: (دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد)[1].

وعن العيني في كتابه عمدة القاري: (وزياد ليست له صحبة ولا رواية، وكان من دهاة العرب وفصحائهم، مات سنة ثلاث وخمسين)[2].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (زياد بن أبي سفيان ويقال زياد بن أبيه وزياد ابن أمه وزياد بن سمية ... ويكنى أبا المغيرة ليست له صحبة ولا رواية وكان رجلا عاقلا في دنياه داهية خطيبا له قدر وجلالة عند أهل الدنيا)[3].

ثانيا: كان خطيبا مفوها

عن ابن عساكر في تاريخ دمشق: (عن إسماعيل عن مجالد عن الشعبي قال ما رأيت أحدا أخطب من زياد)[4].

وعن ابن عبد البر في الاستيعاب قال: (عن ابن عباس قال بعث عمر بن الخطاب زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه)[5].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩ ص ١٨٢.

(٢) عمدة القاري للعيني ج ١٣ ص ٢٠٨.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩ ص ١٨٣.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٢٥.

ثالثا: كان كاتبا لأربعة من الولاة قبل ان يصبح بنفسه واليا

عن ابن عساكر قال: (كتب زياد بن أبي سفيان لأبي موسى الأشعري وكتب لعبد الله بن عامر بن كريز وكتب للمغيرة بن شعبة وكتب لعبد الله بن العباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة)[١].

وعنه أيضا: (قال أبو الحسن الكوفي كتب زياد بن أبي سفيان لأربعة على البصرة لأبي موسى الأشعري ولعبد الله بن عامر بن كريز والمغيرة بن شعبة ولعبد الله ابن العباس)[٢].

رابعا: كانت له خبرة بقمع التمردات والانتفاضات الشعبية

مر فيما سبق قول ابن عبد البر في الاستيعاب: (عن ابن عباس قال بعث عمر ابن الخطاب زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه)[٣].

وعن الطبري في تاريخه: (عن أيوب بن موسى قال حدثني شيخ من أهل إصطخر قال سمعت أبي يقول أدركت زيادا وهو أمير على فارس وهى تضرم نارا فلم يزل بالمداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة لم يقف موقفا للحرب وكان أهل فارس يقولون ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي قال ولما قدم زياد فارس بعث إلى

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩ ص ١٦٩.

(٢) راجع المصدر السابق.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٢٥.

رؤسائها فوعد من نصره ومناه وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض ودل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس فلم يلق فيها جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان)[1].

وقال ابن الأثير: (لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على علي طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج فطمع أهل كل ناحية وأخرجوا عاملهم وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف فاستشار علي الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا أمير المؤمنين علي رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي؟ قال من هو قال زياد فأمر علي ابن عباس أن يولي زيادا فسيره إليها في جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عنه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع إلى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل إصطخر وحصن قلعة تسمي قلعة زياد قريب إصطخر)[2].

ولعل هذه الصفة والميزة هي إحدى الأسباب القوية التي دعت معاوية بن أبي سفيان إلى إستلحاقه وإيكال ولاية الكوفة والبصرة إليه، لان الكوفة كانت تعدّ معقل المتمردين على حكم معاوية بن أبي سفيان.

استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التي في شخصية زياد

على رغم كل تلك الامتيازات التي كان يتمتع بها زياد بن أبيه والتي من خلالها وصل إلى مراكز مرموقة في الدولة الإسلامية، إلا ان زياداً كان لا يزال يرزح

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

تحت وطأة عقدة الحقارة النسبية، فقد كان عدم وجود أب ينتمي له وأصل يرجع إليه يقض مضجعه وينغص عليه نجاحاته الدنيوية، فهنا كانت تكمن نقطة ضعفه، ومن هنا أيضا دخل إليه معاوية بن أبي سفيان لعنه الله واستطاع إغواءه وإضلاله.

فزياد كما عرفنا في نصي الطبري وابن الأثير المتقدمين كان عاملا من عمال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بلاد فارس وكرمان وكان أهلها قد أطاعوه وسلموا له الأمر ودانوا بالولاء لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فلما استشهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على يد ابن ملجم لعنه الله، واختير الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه إماما وخليفة للمسلمين بعد أبيه صلوات الله وسلامه عليه، خاف معاوية ان يقف زياد بن أبيه مع الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ويعلن له البيعة، وحينئذ سيستعين الإمام الحسن به وبمن هو تحت سلطانه، فيمدده بالأموال والعدة والعدد في حربه صلوات الله وسلامه عليه مع معاوية بن أبي سفيان، وإذا ضم إليهم الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أهل الكوفة أو بعضهم، وبعض أهل البصرة والمدينة فسيتشكل تحت إمرة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه جيش جرار وقوي لا طاقة لمعاوية على هزيمته.

فكان ولابد لمعاوية أن يقنع زياد بن أبيه في الوقوف إلى جنبه والانضمام إلى صفه وترك التفكير في مبايعة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، وكانت أفضل وسيلة لتحقيق هذا الغرض والوصول إلى هذه الغاية الخبيثة هي استغلال ذلك النقص والعقدة التي في قلب زياد وروحه، فدس إليه من يمنيه بأن معاوية عليه اللعنة على أتم استعداد لإلحاقة نسبيا بأبي سفيان وذريته، وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير: (فلما قتل علي وبقي زياد بفارس خافه معاوية فاستلحقه في حديث طويل تركناه وذلك سنة أربع وأربعين)[1].

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٦.

وذكر ابن أبي الحديد ان معاوية قد كتب له مع المغيرة بن شعبة ما نصه: (من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب، وأنك للمرء المضروب به المثل، قاطع الرحم، وواصل العدو...حتى كأنك لست أخي، وليس صخر بن حرب أباك وأبي... فارجع إلى أصلك، واتصل بقومك، ولا تكن كالموصول بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب. ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج، فدعه عنك، فقد أصبحت على بينة من أمرك، ووضوح من حجتك، فإن أحببت جانبي، ووثقت بي، فإمرة بإمرة، وإن كرهت جانبي، ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي. والسلام)[1].

فكتب زياد جواب كتابه بعد ان أغواه المغيرة بن شعبة وأضله: (أما بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرفك الحق، وردك إلى الصلة ولست ممن يجهل معروفا، ولا يغفل حسبا... ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح، ونية حسنة، وأردت بذلك برا، فستزرع في قلبي مودة وقبولا... فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به، فدخل إليه الشام، فقربه وأدناه، وأقره على ولايته، ثم استعمله على العراق)[2] ولزيادة الرابطة وتوثيق الأواصر ما بين الطرفين (زوج معاوية ابنته من ابنه محمد بن زياد)[3].

فعلم معاوية من أين تؤكل الكتف ومن أين يرمي زياداً بمقتله، وبهذا انقلب

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) المصدر السابق ص١٨٦.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٢٦.

زياد من ابن أبيه إلى ابن أبي سفيان ومن جانب الحق إلى جانب الباطل وتغيرت تبعا لذلك جميع أقواله وأفعاله، وأصبح يتحرك من دافع الخوف والرهبة من أن يرجع إلى سابق عهده بلا أب ولا نسب، فكان يبذل الغالي والنفيس في خدمة معاوية وتثبيت ملكه لإرضاء معاوية وإبقاء هذا الاستلحاق، ومعاوية بن أبي سفيان كان يعلم بهذه النوازع النفسية لزياد، لذلك وحينما كان يريد إجباره على فعل معين أو يشجعه عليه، فانه كان يلوح له بمسألة استلحاقه تارة مشجعا وأخرى مهددا، فعلى سبيل المثال ننقل للقارئ الكريم كتابا من معاوية إلى زياد جاء فيه: (وانظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم، فخذهم بسنة ابن الخطاب، فإن في ذلك خزيهم وذلهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم، وأن يرثوهم العرب ولا يرثوا العرب، وأن يقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر... فإذا جاءك كتابي هذا فأذل العجم وأهنهم وأقصهم ولا تستعن بأحد منهم، ولا تقض لهم حاجة، فوالله إنك لابن أبي سفيان، خرجت من صلبه)[1].

ونقل العلامة الاميني عن كتاب المجتنى لابن دريد قوله: (وفد زياد على معاوية فأتاه بهدايا وأموال عظام وسفط مملوء جوهرا لم ير مثله فسر معاوية بذلك سرورا شديدا، فلما رأى زياد ذلك صعد المنبر فقال: أنا والله يا أمير المؤمنين! أقمت لك معر العراق، وجبيت لك مالها، وألفظت إليك بحرها، فقام يزيد بن معاوية فقال: إن تفعل ذلك يا زياد! فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية. فقال معاوية: اجلس فداك أبي وأمي)[2].

---

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٧ ص ١٠٩.

(٢) الغدير للشيخ الأميني ج ١٠ ص ٢٢٦ نقلا عن كتاب المجتنى لابن دريد ص٣٧.

استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إيّاه

لم يطمئن قلب زياد بن أبيه إلى أمر استلحاقه إلى نسب أبي سفيان ؛ لأنه كان يعلم يقينا ان هذا الاستلحاق هو ضحك على الذقون وان المسلمين وان كانوا يسكتون عنه في الظاهر خوف السيف ونقمة السلطان إلا أنهم في الباطن وفي مجالسهم الخاصة يضحكون ويسخرون ويتندرون بأنّ زياداً قد استرد أباه بعد طول السنين وبعد ان شاب رأسه وسقطت أسنانه ، فأراد زياد بدهائه أن ينتزع الاعتراف بنسبه الجديد وترسيخه بشتى الوسائل والطرق ولا سيما بالدينار والدرهم ، وفيما يأتي جملة من هذه المحاولات اليائسة التي كان يتشبث بها زياد بن أبيه.

منها ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : (مر زياد بن سمية ابن أبي سفيان وهو وال على البصرة بأبي العربان المخزومي وهو بمجلس فيه جماعة من قريش وهو مكفوف البصر قال أبو العربان ما هذه الجلبة قالوا زياد بن أبي سفيان قالوا والله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد ومعاوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمداً فمن أين جاء زياد؟ فبلغ معاوية كلامه فكتب إلى زياد أن سد عنا وعنك هذا الكلب فأرسل إليه زياد بمائتي دينار فقال أبو العربان وصل الله ابن أخي وأحسن جزاءه قال ثم مر به زياد من الغد فسلم فبكى أبو العربان فقال ما يبكيك قال عرفت حزم صوت أبي سفيان في صوت زياد)[1].

ومنها ما أخرجه ابن شيبة في كتابه المصنف قال : (حدثنا حسين بن علي عن أبي موسى قال : كتب زياد إلى عائشة أم المؤمنين «من زياد بن أبي سفيان» رجاء أن تكتب إليه «ابن أبي سفيان» قال : فكتبت «من عائشة أم المؤمنين إلى زياد ابنها»)[2].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٩ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٧ ص ٢٤٨.

ولكن هذا الموقف من عائشة قد تغير تبعا لتغير المصلحة ، فقد أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرى : (أخبرنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا رجل من قريش يقال له محمد بن الحارث أن مرة صاحب نهر مرة أتى عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مولاهم فسأله أن يكتب له إلى زياد في حاجة له فكتب من عبد الرحمن إلى زياد ونسبه إلى غير أبي سفيان فقال لا أذهب بكتابك هذا فيضرني قال فأتى عائشة فكتبت له من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان قال فلما جاءه بالكتاب قال له إذا كان غدا فجئني بكتابك قال وجمع الناس فقال يا غلام اقرأه قال فقرأه من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان قال فقضى له حاجته)[1].

ولا يجب ان نغفل دور الرواة المأجورين في تثبيت ما يريده الحاكم وولاته ، فقد أخرج ابن عساكر قول احد هؤلاء الرواة المأجورين وهو يحاول جاهدا ان يدخل أولاد زياد بن أبيه ضمن قريش وبيوتها فنراه يقول كذبا : (أنا الأحوص بن المفضل ابن غسان نا[2] أبي قال كان يقال أربعة كلهم عبد الرحمن وكلهم عابد وكلهم من قريش ، عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية)[3].

والعجيب ان زياد بن ابيه كان على رغم علمه وعلم جميع العالمين بهوية أمه سمية وتاريخها الطويل في محافل الفجور والمعصية وحقيقة نسبها غير العربي نراه يصر وبكل وقاحة ان نسب أمه كان يعود إلى قريش أيضا فقد أخرج العلامة الأميني نقلا

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) عبارة (أنا) أو (نا) مختصرة لقولهم (حدثنا) وهي مشهورة الاستعمال في كتب الرواية والحديث فتنبه.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٦ ص ٧٢ ـ ٧٣.

عن الاستيعاب والأغاني وغيرهما: (قال أبو عبيدة: كان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بني عبد شمس ابن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه:

فأقسم ما زياد من قريش ... ولا كانت سمية من تميم

ولكن نسل عبد من بغي ... عريق الأصل في النسب اللئيم)[1]

حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء

تبين لنا سابقا ان لولا سمية أم زياد والتقاؤها المشؤوم بأبي سفيان في ذلك الجو المنحرف الذي تقدم ذكره لما أنتج وجود طفل غير شرعي ولدت معه أنواع من العقد النفسية والاجتماعية، وكلما كبر هذا الطفل كبرت معه عقده واشتدت، وتأصلت في نفسه حالة الكراهية والحقد على مجتمع كان يشعره بطريقة أو بأخرى بحقيقة أصله وانتمائه النسبي لأمّ كان يتداولها الرجال، ولولا هذا النقص الحاد وتلك الحقارة النفسية والاجتماعية التي كان يعيشها زياد لما استطاع معاوية استغلاله وإخضاعه وتسييره كيفما شاء وأحب، ولولا خضوعه وتسليمه لمعاوية لما استلحقه ونسبه إلى أبيه، ولولا هذا الاستلحاق لما ولاه معاوية وسلطه على رقاب الناس ومقدراتهم ولا سيما أهل العراق، ولولا هذا التسلط والقهر والاضطهاد الذي مارسه زياد بن أبيه ضد شيعة أهل البيت بحيث أخلى الكوفة والبصرة من أكثرهم فقتل خيارهم وصلب أهل النفوذ منهم واخذ الناس على الظنة والتهمة، فأخلى ارض الكوفة وربوعها من أنصار أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومواليهم، لأنه كان بهم عارفاً بصيراً، لأنه وقبل التحاقه بمعاوية كان يعد واحدا منهم، فلم يبق في الكوفة في أيامه منهم إلا القلة النادرة، والباقون كانوا ما بين مداهن وساكت وخانع لا يدفع بهم ضيم ولا يشد بهم أزر.

---

(١) الغدير للشيخ الأميني ج ١٠ ص ٢٢٣.

لذلك وحينما قدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى كربلاء لم ينصره من أهلها إلا النادر، لان زياداً ومن بعده ابنه عبيد الله لعنهما الله كانا قد أخليا ارض الكوفة من الأنصار، فلم يبق منهم إلا المتستر بدينه وإخلاصه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم من أمثال حبيب وزهير بن القين وبقية الأنصار من أهل الكوفة، فلو ان زياد بن أبيه عليه اللعنة كان قد ترك حجر بن عدي وأصحابه وغيرهم من الشجعان البواسل فلم يستأصلهم لما توانى هؤلاء الأبطال عن الوقوف مع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في ثورته، ولتغيرت الكثير من موازين الصراع والقوى لصالح الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهضته.

وقد احتفظ لنا التاريخ بعدة من الشواهد المصرحة والموضحة لقسوة زياد وشدته وعظيم إجرامه بحق شيعة أهل البيت وأنصارهم نختار منها الآتي:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم)[1].

كما قتل وصلب جملة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، منهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١ ص٤٤ ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد.

ميثم التمار وجويرية بن مسهر ومنهم مسلم بن زيمر و عبد الله بن نجي الحضرميين، ومنهم رشيد الهجري، ومنهم عمرو بن الحمق الخزاعي، حيث قتله وحبس امرأته سنتين في سجن دمشق، وكان سعيد بن سرح شيعة لعلي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فطلبه زياد وأخافه فأتى سعيد الحسن بن علي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مستجيرا به فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم واخذ ماله وهدم داره، فكتب إليه الإمام الحسن في أمر سعيد ابن سرح، فأجابه زياد بجواب يعكس عظيم حقده وبغضه للإمام الحسن وشيعته ومواليه جاء فيه: (من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة: أما بعد: فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة كتبت إلي في فاسق لا يؤبه به، وشر من ذلك توليه أباك وإياك، وقد علمت أنك أدنيته إقامة منك على سوء الرأي ورضي منك بذلك، وأيم الله لا تسبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك، فإن أحب لحم إلي أن آكل منه اللحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق، والسلام)[1].

ثم ولولا ولاية زياد بن أبيه وقسوته على ارض العراق وأهلها لما كانت بنو أمية تعرف ولده المشؤوم عبيد الله عليه اللعنة، لان النصوص التاريخية تؤكد وتوضح ان الاهتمام بعبيد الله بن زياد كان في أيام معاوية بن أبي سفيان عليهما اللعنة، فعن ابن عساكر عن: (ثابت بن عبد الرحمن قال كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد إذا جاءك كتابي فأوفد إلى ابنك عبيد الله فأوفده عليه فما سأله عن شيء إلا أنفذه...)[2].

وأخرج بن عساكر أيضا: (عن بلال بن أبي رجاء قال ولى معاوية عبد الله بن

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٦ ص٣٦٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٧ ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفي ستة أشهر على البصرة ثم عزله ثم ولي عبيد الله بن زياد البصرة سنة خمس وخمسين فلم يزل واليا حتى مات معاوية بدمشق فلما قام يزيد بن معاوية أقر عبيد الله بن زياد على البصرة وضم إليها الكوفة)[1].

وقد حمل الشاعر دعبل الخزاعي في قصيدته التي ألقاها في مجلس الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه آل زياد الكثير من جرائم يوم عاشوراء وما وقع فيها من أمور فادحة ومصائب عظيمة حيث قال في إحدى قصائده الرائعة:

ديار رسول الله أصبحن بلقعا	وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول الله تدمى نحورهم	وآل زياد آمنوا السربات
وآل رسول الله تسبى حريمهم	وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول الله نحف جسومهم	وآل زياد غلظ القصرات
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم	أكفا عن الأوتار منقبضات
فلو لا الذي أرجوه في اليوم أو غد	تقطع نفسي أثرهم حسرات[2]

ومن سماع الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأبيات وعدم رده عليها وتصحيحه إياها نكتشف الإقرار من قبل المعصوم على صحة ما جاء في أبيات الشاعر دعبل الخزاعي.

حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد

ولولا زياد بن أبيه ووقوفه مع بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن، لما قرب أولاده وحفدته وتسلموا مناصب سيادية في الدولة الأموية الغاشمة، فحموا لهم

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٣٧ ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ص٦٣.

مماليكهم وعبدوا لهم الطريق وذللوا لهم العقبات وأرضخوا لهم العباد وأخضعوا لهم كل معارض لحكمهم، وقد احتفظ لنا التاريخ بذكر مجموعة منهم نذكر فيما يأتي بعضهم لعنهم الله تعالى.

فمنهم عبيد الله بن زياد قاتل الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما، ومنهم زياد بن سلم بن زياد، ومنهم أبو حرب سلم بن زياد والي خراسان في زمن يزيد بن معاوية لعنهما الله، ومنهم عباد بن زياد بن أبيه زوج رملة بنت يزيد بن معاوية، ومنهم محمد ابن عبد الله بن خالد بن عباد بن زياد كان يمسك لآل أمية بعض أعمال الشام، ومنهم معاوية بن إسحاق بن عباد بن زياد بن أبيه، ومنهم يزيد بن إسحاق بن عباد بن زياد، وهذان كانا أيضا من عمال بني أمية على بعض مناطق الشام وقراها، وقد تتبعت ما وقع بيدي من أولاد زياد بن أبيه فلم أجدهم إلا من أعوان الظلمة بل من نفس الظلمة وقد استعان بهم آل أمية في حروبهم ونزاعاتهم وأعمالهم المشينة بحق المسلمين، فاستحقوا جميعهم اللعن كما ورد التصريح به في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته

لا يخفى على معتقد بمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وجميع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون بتعليم من الله سبحانه وتعالى ما يخفى عن بقية الناس العاديين، وقد ورد في كتب الحديث روايات كثيرة تحكي هذه الحقيقة.

وعليه فيكون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى بحقيقة زياد بن أبيه وما تخفيه نفسه وينعقد عليه ضميره، وبما سيصدر منه من أفعال مشينة وجرائم خطيرة بحق المؤمنين والموالين، ويترتب على كل هذا سؤال بديهي

وهو: لماذا إذن استعمله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على ولاية أرض خراسان وكرمان وهو يعلم بما ستؤول إليه عاقبته؟.

أقول: ان الأسباب التي حدت بأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى استعمال زياد ابن أبيه كثيرة يمكن إرجاعها إلى سببين رئيسين هما:

السبب الأول: يعود إلى زياد بن أبيه نفسه، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه واحدة من أهم وظائفه ـ بوصفه إماماً منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى ولطفاً لجميع خلقه ـ هي تربية الأمة بجميع أفرادها ومحاولة استصلاح من يكون قابلا للاستصلاح منهم، وزياد بن أبيه كان يملك من الطاقات والقدرات ما تميزه عن بقية أقرانه وقد تحدثنا عن بعض منها سابقا، ولكنه كان يعاني من نقص روحي وعقدة اجتماعية تقدم توضيحها سابقا، والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حاول الاستفادة من امتيازاته لخدمة المجتمع من جهة، وحاول أيضا إيصال الخير والنفع لشخص زياد بن أبيه واستصلاحه وسد فراغ النقص في داخل نفسه، فأوكل إليه مهمة إطفاء وتهدئة الذين خرجوا على دولة أمير المؤمنين في ارض فارس وكرمان، وفي هذا الفعل خدمة جليلة للمجتمع، وفي المقابل ابعد زياد بن أبيه عن ارض العرب التي كان يشعر فيها بالضعف والامتهان والحقارة بسبب عقدة النسب، وأرسله إلى ارض بكر لا تعرفه بجميع تفاصيله ليبدأ فيها بداية جديدة تخفف آلامه ومعاناته وتساعد على علاجه من أمراضه وأزماته النفسية مع مرور الوقت، فيصبح بذلك إنسانا فعالا خدوما يستغل طاقاته لخدمة المجتمع بعيدا عن كل خلفية نفسية معقدة تستدعي فيه حالة حب الانتقام والثأر والجريمة.

فالإمام صلوات الله وسلامه عليه كان ينظر إلى زياد بن أبيه بأنه إنسان مريض يتطلب من الدولة العلوية الجديدة الرعاية والاهتمام في سبيل إزالة آلامه أو التخفيف من

معاناته، وفي المقابل كان ينظر إليه بأنه إنسان لديه من الإمكانات ما يمكن ان يستغل في خدمة المجتمع ورقيه وتكامله، فكانت ولايته على ارض فارس وكرمان خطوة تحقق هاتين الفائدتين.

ثم ان الإمام أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بفضل علمه وحكمته كان متيقنا من ان زياد بن أبيه لو لم يتم احتواؤه من قبل دولة الحق والعدل دولة أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فانه وبلا أدنى شك سيستغل ويسخر من قبل دولة معاوية دولة الباطل والجور، وستكون العاقبة اشد والخسارة اكبر، وسيتضرر المجتمع أكثر بانضمام زياد إلى معاوية، وسيخسر زياد نفسه وسيقع في مستنقع معاوية وآل أمية، فكانت الحكمة قاضية باستعمال زياد بن أبيه لفائدته الشخصية من جهة ولفائدة المجتمع من جهة أخرى.

السبب الثاني: والذي يعود إلى الظرف الحرج والصعب الذي كان يعيشه أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ في تلك الحقبة الزمنية، فإن أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لما وصلت إليه الخلافة ونحى ولاة عثمان بن عفان عن ولاياتهم ومناصبهم بعث مكانهم ثقاته من أصحابه ليحلوا محل ولاة الجور وليعيدوا تربية الأمة على وفق التعاليم الجديدة للدولة الجديدة.

ولكن أعداء أمير المؤمنين ومناوئيه أشعلوا بوجهه نيران الفتن والحروب، فما هي إلا أشهر قلائل حتى خرج عليه جيش النكث والغدر، جيش عائشة وجملها، ثم تبعته حرب صفين وما كان أشدها وأشرسها من حرب أكلت الأخضر واليابس، ثم فتنة الخوارج التي استتبعتها حرب النهروان، واستمرت هذه التقلبات وتلك المؤامرات يتبع بعضها بعضا إلى ان انتهت بمؤامرة مقتل الإمام أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وفي وسط هذه الظروف الصعبة كان الإمام أمير المؤمنين بأشد الحاجة إلى رجال مخلصين يشد بهم أزره ويرمي بهم عدوه ويستعين بهم على قيادة جيشه يملكون شعبية في أوساط الجماهير ليثيروا في نفوسهم الهمم ويستنهضوهم في أوقات الحاجة والشدة، فاستدعى من كان من أصحابه وثقاته على ولايات المملكة الإسلامية ليستعين بهم على نصرته، ثم يرسل مكانه من يدير أمر تلك المملكة مع المحافظة على نظام الرقابة الشديدة والصارمة على هؤلاء البدلاء.

وكشاهد على هذه الحقيقة نستعرض للقارئ الكريم ما نقل من استدعائه لعمر بن أبي سلمة المخزومي، وكان عامله على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: (أما بعد، فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك، ولا تثريب عليك، فلقد أحسنت الولاية، وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين، إن شاء الله)[1].

فكانت ولاية زياد من هذا الباب، فمن جهة أرسل الإمام صلوات الله وسلامه عليه زيادا إلى فارس ولم يرسل إليها أحد أصحابه الذين يستعين بهم في حربه الداخلية، وبذلك وفر قائدا من قادة جيشه فهو مكسب عسكري، ومن جهة ثانية استطاع زياد إخماد الثورة التي كانت في بلاد فارس وكرمان وهو مكسب عسكري ثان، ومن جهة ثالثة كان أمير المؤمنين شديد الحيطة والحذر والمتابعة لكل فعل من أفعال زياد فقد وضع عليه العيون ليخبروه عن كل صغيرة وكبيرة وكل خطوة يخطوها، فإذا ما رأى منه تقصيراً أو خيانة صغيرة أو كبيرة نبهه وحذره وربما هدده، كما في كتابه الذي كتبه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٧٣

ﷺ إلى زياد حيث جاء فيه: (أما بعد، فإن رسولي أخبرني بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه: إن الأكراد هاجت بك، فكسرت عليك كثيرا من الخراج، وقلت له: لا تعلم بذلك أمير المؤمنين. يا زياد وأقسم بالله انك لكاذب، ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر)[1].

وسياسة التشديد على ولاته ومراقبتهم ومحاسبتهم والاقتصاص منهم ان استلزم الأمر كانت الصفة البارزة التي ميزت حكومته عن حكومة من سبقه من الحكام، فقد كتب إلى احد عماله الآتي: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن إعتامك من أعراب قومك، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقا لتجدن لك علي هوانا، ولتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالا)[2].

وكتب إلى آخر: (فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك، فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب ... كيف تسيغ شرابا وطعاما، وأنت تعلم أنك تأكل حراما، وتشرب حراما، وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠٤ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٧٥ من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني.

اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما)[1].

وقد كان يرسل العيون لمتابعة ولاته من حيث لا يشعرون فيكتب له ذلك العين بجميع ما يقع عليه نظره من سلبيات وايجابيات كما كتب عليه السلام إلى كعب بن مالك: (أما بعد، فاستخلف على عملك، وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب، ثم ارجع إلى البهقباذات فتول معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها، واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به، فاصنع خيرا صنع الله بنا وبك خيرا، وأعلمني الصدق فيما صنعت، والسلام)[2].

فمع كل هذا التشديد والمراقبة والإحصاء لكل صغيرة وكبيرة على الولاة لا يضر تولي زياد بن أبيه ولا غيره ما دامت الخيانة منهم مأمونة، والمتابعة لهم مستمرة، وحقوق المسلمين واصلة وحدودهم وثغورهم آمنة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٦٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.



وَآلَ مَرْوَانَ

وَآلَ مَرْوَانَ

وفي هذه الفقرة أيضا مباحث مهمة نتعرض لبعض منها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

الأخبار في لعن آل مروان كثيرة لا مجال لإحصائها في هذه العجالة ، ولكن كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه : (ما لا يدرك كله لا يترك كله) ، وفيما يأتي جملة من تلك الأحاديث المصرحة بلعن مروان وأبيه وجميع من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم ، ومن هذه الأخبار ما يأتي :

قال صاحب السيرة الحلبية متحدثا عن الحكم والد مروان بن الحكم : (أسلم يوم فتح مكة وكان في إسلامه شيء ، اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة ، فخرج إليه صلى الله عليه وسلم...وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد)[1].

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج ١ ص ٥٠٩.

وقال الحاكم النيسابوري: (حدثني محمد بن صالح بن هانئ ثنا الحسين بن الفضل ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ثنا علي بن الحكم البناني عن أبي الحسن الجزري عن عمرو بن مرة الجهني وكانت له صحبة ان الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي صلى الله عليه وآله فعرف النبي صلى الله عليه وآله صوته وكلامه فقال ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[1].

وأخرج الحاكم النيسابوري أيضا: (عن الشعبي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الحكم وولده. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)[2].

وقال الحاكم النيسابوري بعد ان أخرج وصحح مجموعة من الأحاديث الصريحة بلعن الحكم وما ولد ما نصه: (ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي، وأن أول الفتن في هذه الأمة فتنتهم، ولم يسعني فيما بيني وبين الله تعالى أن أخلي الكتاب من ذكرهم)[3].

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:

(وعن الشعبي قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستند إلى الكعبة وهو يقول ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما ولد من صلبه.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص٤٨٢.

رواه أحمد والبزار إلا أنه قال لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والطبراني بنحوه وعنده رواية كرواية أحمد، ورجال أحمد رجال الصحيح)[1].

وقال العيني في عمدة القاري: (وروى ابن مردويه عن عبد الرزاق عن أبيه عن مينا، مولى عبد الرحمن بن عوف: أن عائشة رضي الله عنها، قالت لمروان: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لك ولأبيك ولجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن، وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عمرو: أن الشجرة الملعونة في القرآن الحكم بن أبي العاص وولده)[2].

وقال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور: (وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعنى الحكم وولده)[3].

وهم ملعونون بأدلة أخرى عامة قد مر توضيحها من قبل، فهم يندرجون تحت عنوان الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم والمزيلين لهم عن مراتبهم، ومن القاتلين والأشياع والأتباع والأولياء، وهؤلاء جميعهم قد حقت عليهم اللعنة والخزي الأبدي.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ٢٤١.

(٢) عمدة القاري للعيني ج١٩ ص٣٠، وراجع أيضا الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٤ ص١٩١.

(٣) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج ٤ ص ١٩١ ومثله تجده في فتح القدير للشوكاني ج٣ ص٢٤٠.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَآلَ

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق ومعنى الفقرة (ولعن الله آل مروان) وقد مر في الفقرة السابقة توضيح هذه المفردات لغويا.

٢: مَرْوَانَ

و(مَرْوَانَ) الوارد ذكره في هذه العبارة، هو كما عرفه ابن سعد في طبقاته بقوله: (مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي)(١).

المبحث الثالث: آل مروان من موقف العداء إلى مناصب الأمراء

لا يسع الباحث حينما يريد الكلام عن آل مروان أن يغض النظر عن (الحكم ابن أبي العاص) والد مروان، لان الحكم كبيرهم وأصلهم الذي منه ورثت آل مروان العداوة والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبسببه أيضا استحق آل مروان اللعن وهم في صلبه قبل أن يولدوا ويروا نور الوجود، وبسببه نفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مروان عن أرض المدينة المنورة، وبسببه صار يسمى مروان بطريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن طريده، ويسمى أولاد مروان أبناء طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسببه بقيت اللعنة تناله وتنالهم إلى آخر يوم من أيام الدنيا، فالكلام عن الحكم بن أبي العاص كلام عن أصل آل مروان، ومعرفة أخباره ستشارك وبدرجة كبيرة في معرفة سر آل مروان وكيف انتقل هؤلاء من منزلة الطريد اللعين إلى منزلة الحاكم والأمير.

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٥.

الحكم بن العاص وأذاه للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على ارض مكة والمدينة

كانت أرض مكة معقلا من معاقل الطغاة والجبابرة الذين وقفوا وبكل ما أوتوا من قوة بوجه النبي الأعظم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورسالته المباركة، وقد عد التاريخ مجموعة امتازت بكبير أذاها وعظيم صدها للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودينه، وقد عرفت هذه المجموعة باسم المستهزئين، قال الحلبي متحدثا عن الحكم بن أبي العاص في سيرته الحلبية: (قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل)[1]وقد احتفظ التاريخ للحكم بن العاص بأخبار مخزية وصور مخجلة غير خافية على من يتتبع سيرة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أيام دعوته في مكة.

ولما فتح النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مكة آخر معقل من معاقل الكفر والإلحاد، وصار طغاة مكة بين حدين إما السيف وإما الإسلام، فاختاروا الإسلام وبعبارة ثانية اختاروا الاستسلام ظاهرا وأبطنوا الكفر، وتغير نمط حربهم للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودينه من تجهيز الجيوش ورفع السلاح إلى إثارة الفتن وبث أفكار الانحراف من داخل صفوف المسلمين أنفسهم، وقد نجح هذا الأسلوب الكافر أيما نجاح، وصار هؤلاء المستسلمون يتحينون الفرصة للقضاء والانقضاض على حياة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهيبته في أعين العالم عموما وأصحابه على وجه الخصوص، وبث السموم في جسد الإسلام، ففي معركة حنين وكمثال على ما ذكرنا ظهرت هذه الحقيقة جلية لا تقبل الشك والتأويل، قال اليعقوبي في تاريخه متحدثا عن واقعة حنين بما نصه: (ثم كانت وقعة حنين...فخرج إليهم رسول الله في جيش عظيم عدتهم اثنا عشر ألفا: عشرة

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج١ ص٥٠٨.

آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكة وألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعا وكرها...وكان يوما عظيم الخطب وانهزم المسلمون عن رسول الله حتى بقي في عشرة من بني هاشم، وقيل تسعة، وهم: علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب... وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه. فقال أبو سفيان: لا تنتهي، والله، هزيمتهم دون البحر، وقال كلدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمدا...)[1].

ولم يكن الحكم بن أبي العاص بمستثنى عن هذه القاعدة فقد اثبت تاريخه الطويل بعد فتح مكة بان الإسلام لم يدخل في قلبه لحظة واحدة، وان الكفر ما زال مخالطا للحمه ودمه إلى آخر ساعة من ساعات حياته غير المباركة، فقد كانت له مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبار وأحداث يندى لها جبين الإنسانية، فقد كان يتجسس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في داخل بيته مع نسائه وأهله، حتى أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأيام ان يفقأ عينه، وكان يمشي خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقلده ويعيب عليه مشيته، وكان يقف خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا ما تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام لوى بفمه وغمز بعينيه، يريد بذلك ان يضحك الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج ابن حجر عن: (هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه فالتفت فرآه فقال اللهم اجعله ورعا[2] فزحف مكانه)[3].

قال الحلبي: (أسلم يوم فتح مكة وكان في إسلامه شيء اطلع على رسول الله

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٢ وقعة حنين.

(٢) وفي بعض الكتب الأخرى وزغا بدل ورعا.

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٩١.

صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج إليه صلى الله عليه وسلم ... وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة)[1].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فقيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبار الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وكان يحكمه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها)[2].

فمروان وآل مروان من ظهر ملعون كهذا قد نزلوا، وفي مثل هذه البيوت المبغضة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإسلام عاشوا وتربوا وترعرعوا، ولا يجب أن ننسى دور أمهم الزرقاء التي كانت تعد من ذوات الرايات اللاتي يتداولهن رجال العرب بالزنا والفاحشة، قال ابن الأثير متحدثا عن مروان بن الحكم ما نصه: (وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها)[3].

وحينما بلغ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في أحد الأيام ان مروان بن الحكم يسب علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (فقام الحسين مغضبا حتى دخل على مروان فقال له: يا ابن الزرقاء ويا ابن آكلة القمل...)[4].

---

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج ١ ص ٥٠٩.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص١٩٤ ذكر صفته ـمروان ـ ونسبه وأخباره.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٤ ص٢١١.

فمروان وآل مروان أبناء هذا البيت العفن، نشأوا ما بين كفر وفجور، نزلوا من أصلاب اللعناء وتربوا في حجور المومسات ذوات الرايات، فماذا عسى ان يكون حالهم غير ما أصبحوا عليه من بغض الأنبياء وأولاد الأنبياء والإعانة على قتلهم وقتالهم؟!.

دور عثمان بن عفان في صناعة آل مروان وإعلاء نجمهم

لم يكن مروان وأبوه الحكم وأولاده يتصورون ان يعودوا إلى ارض المدينة في يوم من الأيام، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان طرد الحكم وأولاده من أرض يثرب شدد على عدم رجوعهم إليها مرة أخرى، وحتى الذين تولوا الإمارة والسلطة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رغم تغييرهم لكثير من الثوابت النبوية إلا أنهم لم يستطيعوا بحال من الأحوال القبول بعودة الحكم بن العاص إلى المدينة، ولم يسمحوا كذلك بوساطات عثمان بن عفان الذي كان كثير الإلحاح على النبي وعلى أبي بكر وعمر بشأن إرجاعهم مرة أخرى إلى المدينة، وكم من مرة ومرة اسمعوه الكلام الخشن الشديد بسبب إصراره وإلحاحه على مسألة كانت في نظر المسلمين محسومة النتيجة، قال الحلبي متحدثا عن محاولات عثمان الفاشلة: (وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمي فقال عمك إلى النار هيهات هيهات أن أغير شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله)[1].

---

(١) السيرة الحلبية للحلبي ج ٢ ص ٢٧٠.

ولكن ما إن وصل عثمان بن عفان إلى دكة الحكم والسيادة حتى خلا له الجو وأدخلهم ارض المدينة على رغم أهلها من المهاجرين والأنصار، وعلى رغم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومن تلاه من الأمراء، قال الحلبي: (فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه)[1].

ولم يكتف عثمان بن عفان بإدخالهم المدينة فحسب، لكنه وزيادة في إغاظة الصحابة والمعارضين مكنهم وقربهم وزادهم أموالا ونفوذا، قال ابن سعد: (واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر وأعطى أقرباءه المال)[2].

وقال ابن الأثير: (ثم إن عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر...وحمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبد الله ابن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم، وظهر بهذا أنه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية والله أعلم)[3].

وقال الحلبي: (وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية)[4].

(١) المصدر السابق.
(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٣ ص ٦٤ذكر المصريين وحصر عثمان.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٩١ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية.
(٤) السيرة الحلبية للحلبي ج ٢ ص ٢٧٢.

وروى ابن أبي الحديد: (عن أم بكر بنت المسور، قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك. لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت على الصدقات، فأخذت أموال المسلمين)[1].

ولم يكتف عثمان بن عفان بجعل مروان وإخوته وأبيه من أصحاب الملايين وممن يكسر ذهبهم وفضتهم بالفؤوس على حساب المسلمين ورغما على أنوفهم، حتى صيره وأهل بيته من سادات المسلمين وأوكل إليه منصب كاتب الخليفة بعد أن زوجه ابنته عائشة بنت عثمان فصار بذلك صهر الحاكم وكاتبه ومن طبقة الأغنياء وأصحاب الملايين، فصارت لهم بفضل عثمان كلمة مسموعة وسطوة وشكيمة يتصرفون ما يحلو لهم بمقدرات المسلمين وقضاياهم المهمة، من بعد قلتهم وذلتهم وفقرهم وتشردهم.

وقد لعبت الملايين المختلسة من أموال المسلمين والمناصب السيادية التي أعطيت لمروان وأهل بيته، وبفضل مؤازرة عثمان بن عفان لهم في تجنيد الرواة المأجورين في محاولة لتلميع صورة مروان بن الحكم وتحسينها وتغيير نظرة الناس تجاهه وتجاه أهل بيته الملعونين المطرودين، فوضعوا لهم روايات تبيض صفحتهم فجعلوه تارة سيد شباب قريش، في مقابل لقب سيد شباب أهل الجنة الذي لقب به كل من الإمام الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، وتارة أخرى وصفوه بالقارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق رواية مكذوبة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٧ ـ ٣٨.

عن: (محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول: لما انهزم الناس بالبصرة يوم الجمل كان علي بن أبي طالب يسأل عن مروان بن الحكم فقال رجل يا أمير المؤمنين إنك لتكثر السؤال عن مروان بن الحكم فقال تعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش)[1].

وأخرج ابن عساكر رواية أخرى: (عن قبيصة بن جابر عن معاوية أنه قال لما سأله من ترى لهذا الأمر بعدك وأما القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله مروان بن الحكم)[2].

وصيروه صاحب فقه وقضاء، قال ابن عساكر عن: (حنبل بن إسحاق قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول مروان بن الحكم كان عنده قضاء وكان يتبع قضاء عمر)[3].

فصار مروان بفضل كل هذا يرى في نفسه الأهلية لقيادة الأمة وزعامتها، وصار يرى إمارة عثمان بن عفان إمارته وإمارة أهل بيته، وان كل من يحاول انتزاع الملك من عثمان ومنه، فانه ينتزع حقا من حقوقهم، فتغيرت نظرته إلى نفسه من نظرة الطريد الملعون المبعد بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى نظرة السيد المهاب الذي يجب على الجميع إطاعته في كل ما يأمر وينهى، فصار بفضل دهائه وبفضل الضعف الذي كان يعانيه عثمان بن عفان المدير الذي يحرك المملكة الإسلامية باسم عثمان وأختامه، وهذا ما يتضح في النص التالي الذي نقله الطبري في تاريخه فحينما اجتمع الناس على عثمان يستنكرون عليه أفعاله: (خرج مروان إلى الباب والناس يركب

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص ٢٣٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ج ٥٧ - ص ٢٣٩.

بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بإذن صاحبه ألا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا)[1].

وقد كان مروان احد أهم الأسباب التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان وهو ما حذر منه كل من أمير المؤمنين ونائلة ابنة الفرافصة زوجة عثمان، قال الطبري: (فجاء علي عليه السلام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك... فلما خرج علي دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت أتكلم أو أسكت فقال تكلمي فقالت...وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء...فإنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان)[2].

مروان بن الحكم الحاضر في كل فتنة

منذ ان رجع مروان بن الحكم من الطائف إلى المدينة لم تكن من فتنة قد نشبت بين مجموعتين من المسلمين إلا ووجدنا مروان بن الحكم كان احد أطرافها، فقد كان

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٩٧ ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق، وراجع أيضا الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص١٦٥ ذكر مسير من سار إلى حصار عثمان، وراجع أيضا البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص١٩٣ في ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية.

(٢) المصدر السابق.

له القدح المعلى في إذكاء العداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين، وقد كان معروفا بين المسلمين بهذه الصفة الخبيثة، فهو الذي اهلك عثمان بن عفان وأورده المنية كما صرح بذلك الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ونائلة زوجة عثمان.

مروان يحرض الناس على نكث بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لما قتل عثمان بن عفان ووصل أمير المؤمنين إلى الخلافة وثار الثائرون بوجهه ونكث المبايعون بيعتهم، كان مروان بن الحكم يؤلب الجماهير على رفض بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ويحرض على بيعة معاوية أو إرجاع الأمور إلى غير صف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد كتب إليه معاوية بن أبي سفيان: (...فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلا غيلة، ولا يتشازر إلا عن حيلة، وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا. واخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند فقاسها، وأنغل الحجاز فإني منغل الشام. والسلام)[1].

مروان على ميسرة جيش عائشة يوم الجمل

فلما نجحت مساعيه ومساعي معاوية وسارع كل من طلحة والزبير وعائشة إلى نقض البيعة وإشعال نار الفتنة كان مروان بن الحكم من اشد المحرضين على اتباعهم والالتحاق بجيش الناكثين، وتم تعيينه على ميسرة ذلك الجيش الغادر، قال ابن عساكر: (وقال أبو عبيدة: وعلى الميسرة يعني يوم الجمل وهم أهل اليمن مروان بن الحكم)[2].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ذكر أقوال من طعن في سياسة علي والرد عليها.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص ٢٤١.

وكان في أثناء المعركة يرمي بالسهام تارة على جيش أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وتارة أخرى على نفس جيش عائشة الذي كان هو احد أفراده بل من قواده، وكان يقول: (نضرب بعضهم ببعض فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي فنطلبه وهو واهن ضعيف)[1].

مروان يقتل طلحة بسهم أثناء انهزام جيش الجمل

ولما ظهرت بوادر النصر ولاحت الغلبة لجيش أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وتخلخل جيش النكث وضع مروان سهما في قوسه ورمى به طلحة الذي كان مروان يقاتل تحت إمرته وفي ظل رايته فأصابه برجله فنزف حتى هلك، قال محمد بن سعد: (فلما قتل عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا فقال والله إن دم عثمان إلا عند هذا هو كان أشد الناس عليه وما أطلب أثرا بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله)[2].

مروان يشد ملك معاوية ويتولى إدارة ثلاث مناطق إسلامية مهمة

فلما استشهد أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وتولى معاوية بن أبي سفيان لعنه الله صار مروان من أمرائه يشد له ملكه ويقويه، وصار يترقى شيئا فشيئا في مناصب الدولة الأموية، قال ابن عساكر: (وفيها يعني سنة إحدى وأربعين ولى يعني معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم المدينة وعبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة مكة...ثم جمعهما والطائف لمروان بن الحكم وأقام الحج يعني سنة ثلاث وأربعين

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٥ ص٣٥ مروان بن الحكم.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٨ - ٤٣.

مروان بن الحكم وأقام الحج يعني سنة خمس وأربعين مروان بن الحكم...)[1].

مروان يسب الإمام علياً صلوات الله وسلامه عليه على المنبر

واستغل مروان بن الحكم منصبه كوالٍ للمدينة لإفراغ حقده وبغضه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأعلن وشجع وأظهر السب واللعن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه على منابر الجمعة والجماعة في مكة والمدينة والطائف، قال ابن عساكر: (عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال كان مروان بن الحكم أميرا علينا ست سنين فكان يسب عليا كل جمعة على المنبر ثم عزل فاستعمل سعيد بن العاص سنتين فكان لا يسبه ثم عزل وأعيد مروان فكان يسبه)[2].

مروان يسب الحسنين ويمنع من دفن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه

وكان مروان يتحين الفرص لأذى الإمامين الحسنين صلوات الله وسلامه عليهما ويعرض بهما بقوله (أهل بيت ملعونون)[3]ولما استشهد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه وأراد أهل بيته دفنه إلى جوار جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم عارضهم مروان بن الحكم وعائشة بنت أبي بكر كما روى ذلك اليعقوبي بقوله: (ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فمنعا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة. وقيل إن عائشة ركبت بغلة شهباء، وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد. فأتاها القاسم بن محمد ابن أبي بكر، فقال لها يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت. واجتمع مع الحسين بن علي جماعة وخلق من

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص ٢٤١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص ٢٤٣.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج٥ ص٢٤٠ باب غضب السلطان، باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة.

الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس. فقال: إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم. فدفن الحسن في البقيع)[1].

مروان يشارك في قتل أهل المدينة في واقعة الحرة

قال محمد بن سعد: (فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا عثمان بن محمد وبني أمية من المدينة فأجلوهم عنها إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم وأخذوا عليهم الأيمان ألا يرجعوا إليهم وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجه إليهم مع مسلم ابن عقبة المري أن يفعلوا فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرضه عليهم فقال له مسلم ما ترون تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي فقالوا بل نمضي إلى أمير المؤمنين وقال مروان من بينهم أما أنا فأرجع معك فرجع معه مؤازرا له معينا له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وقتلوا وانتهبت المدينة ثلاثا وكتب مسلم بن عقبة بذلك إلى يزيد وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إياه ومناصحته وقيامه معه وقدم مروان على يزيد بن معاوية الشام فشكر ذلك له يزيد وقربه وأدناه فلم يزل مروان بالشام حتى مات يزيد بن معاوية)[2].

مواقف مروان قبل وبعد قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كانت لمروان تجاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مواقف ومواقف يندى لها جبين الأحرار، وليس بغريب على مروان هذه المواقف وهو الطريد ابن الطريد والملعون ابن الملعون، وللإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في ذلك أسوة بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه فقد كان مروان

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٥ وفاة الحسن بن علي.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٨ ـ ٤٣.

وأبوه يجرعونهم الغصص والآلام فيصفح عنهم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تارة تكرما، وتارة أخرى يتركون فيهم أثرا تكوينيا كما حدث مع الحكم والد مروان حينما دعا عليه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فاختلج وزحف مكانه عسى ان يعود وأهل بيته الملعونون إلى رشدهم ويتعظوا بما فُعل بهم، ولكن الحكم وابنه مروان وآل مروان كانت قلوبهم منكوسة ترى الأمور معكوسة فعلى رغم كل تلك اللعنات والآثار النبوية التي تركت فيهم بقوا إلى ان ماتوا يرون الحق في أذاهم للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والباطل في الإيمان بهم والإقرار بفضلهم.

مروان يحرض معاوية على قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كانت واحدة من طباع معاوية غير المحمود شأنها شان بقية طباعه هي الفتك والغدر بكل من يتيقن بأنه بات يشكل خطرا حقيقيا على الدولة الأموية، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة لا مجال لإحصائها بهذه العجالة، فكثير هم الذين قتلوا سما وغدرا بشربة من عسل دسها إليهم معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة حتى كان معاوية يتبجح ويفتخر بنجاح هذه الوسيلة الماكرة في تثبيت ملكه بقوله (ان لله جنودا من عسل) وللشيخ محمد أبو رية المصري في كتابه (شيخ المضيرة أبو هريرة) كلام مهم يستعرض فيه بعض من تم قتلهم بالسم على يد معاوية بن أبي سفيان جاء فيه: (صرف معاوية كيده وبغيه أول الأمر إلى الحسن رضي الله عنه الذي كان يزاحمه بحقه في الخلافة وما زال يراوغه بكيده حتى تخلص منه بالسم...وممن سمهم معاوية: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذلك عندما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا له: رضينا بعبد الرحمن بن خالد وكان أهل الشام يحبونه، فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه ثم مرض عبد الرحمن بعد ذلك فأمر معاوية طبيبا يهوديا

وكان مكينا عنده. أن يأتيه فيسقيه سقية تقتله، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات. وعلى أثره مات عبد الرحمن بن أبي بكر... بالسم، وكان سبب ذلك أنّ معاوية حينما كان يدعو إلى بيعة يزيد قال له عبد الرحمن هذا: أهرقلية إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا نفعل والله أبدا، فبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم، فردها عبد الرحمن وقال: أبيع ديني بدنياي. وما لبث أن مات فجأة بموضع يقال له الحبشي ـ جبل بأسفل مكة ـ وحمل إلى مكة فدفن فيها. وممن سمهم معاوية كذلك مالك بن الأشتر الذي ولاه الإمام علي على مصر وكان سمه في عسل ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك إن لله جنودا من عسل[1]. ولا نحصي من تخلص منهم معاوية بالسم)[2].

ومروان بن الحكم الذي هو مورد كلامنا في هذه الأسطر كان يعلم بسياسة معاوية تجاه معارضيه ومن يشعر تجاههم بالخطر، فحاول ان يحفز في نفس معاوية الشعور بالانتقام تجاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عسى أن يفلح في استحصال قرار أموي بقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما قُتل أخوه بالسم قبل وقت ليس بالطويل، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية في واحدة من رسائله التحريضية ما يأتي: (إني لست آمن أن يكون حسين مرصدا للفتنة، وأظن أن يومكم من حسين طويلا)[3]. لكن الوقت لم يسعف معاوية بن أبي سفيان؛ لأنه وكما يقول الشيخ

(١) كثيرة هي المصادر التي صرحت بان كلمة (ان لله جنودا من عسل) هي لمعاوية كان يقولها كلما سمع بموت احد ضحاياه، ومن هذه المصادر التاريخية كتاب معجم البلدان للحموي حيث قال في ج١ ص٤٥٤: (الأشتر مات بالقلزم في طريقه إلى مصر، وكان علي، رضي الله عنه، وجهه أميرا، فيقال إن معاوية دس إليه عسلا مسموما فأكله فمات بالقلزم، فقال معاوية: إن لله جنودا من عسل) وعلى كلا التقديرين يبقى كل من عمرو بن العاص ومعاوية وجهين لعملة واحدة، فلا يهمنا القائل بقدر ما يهمنا الطريقة الخبيثة الماكرة التي كان يتبعها معاوية ضد كل من يشعر معه بالخطر.

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو رية ص ١٧٥ ـ ١٧٦انصراف معاوية إلى أولاد علي.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٤٧ صفة مخرج الحسين إلى العراق، سير أعلام النبلاء ←

أبورية: (مات معاوية قبل أن يلحق الحسين بأخيه الحسن...وترك ذلك لابنه يزيد)[1].

مروان يأخذ من الناس البيعة ليزيد

قد لعب مروان بن الحكم دورا هاما في تسهيل وصول يزيد إلى الإمارة بعد أبيه معاوية، فمنذ أن كان معاوية بن أبي سفيان على قيد الحياة طلب من مروان وكان عامله على الطائف ومكة والمدينة أن يمهد الطريق ليزيد ويروض نفوس الجماهير لقبول ولاية عهده، وان يحتال في استحصال تأييدهم بحجة طلب النصيحة والإعانة على المشورة منهم لا بعنوان القسر والغصب، فكتب إليه كتابا جاء فيه: (إني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون إليك)[2].

قال ابن اعثم الكوفي: (فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الطاعة وحض عليها وذكر الفتنة وحذر منها. ثم قال في بعض كلامه: أيها الناس إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ورق جلده وعظمه، وخشي الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأيا حسنا، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون من بعده لكم مفزعا، يجمع الله به الألفة ويحقن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك من مشورة منكم وتراض، فماذا تقولون فقال الناس من كل جانب: إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضا)[3].

للذهبي ج٣ ص٢٩٤.

(١) شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو رية ص ١٧٥انصراف معاوية إلى أولاد علي.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٥٠٦.

(٣) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٤ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

وقال ابن الأثير: (فقام مروان في الناس فأخبرهم به فقال الناس أصاب ووفق وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألوا)[١].

فكتب مروان إلى معاوية يخبره بأن النفوس مهيأة والأجواء مناسبة لتقبل خبر ولاية عهد يزيد بعد معاوية، فأعاد معاوية عليه الجواب وأمره بأن يصرح علنا باسم يزيد ويعلم القاصي والداني بأن يزيد خليفته وان الاختيار قد وقع عليه: (فكتب مروان إلى معاوية بذلك فأعاد عليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده، قال ابن الأثير: (فكتب مروان إلى معاوية بذلك فأعاد عليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده)[٢].

أما ابن اعثم فقال: (فقال مروان: إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وهو ابنه يزيد)[٣].

وكان ينادي يوم بويع يزيد كما يقول الذهبي : (وقال سالم بن عبد الله : لما أرادوا أن يبايعوا ليزيد قام مروان فقال: سنة أبي بكر الراشدة المهدية)[٤].

وقد اجتمع مروان بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم فقال له: (أطعني ترشد، قال: قل، قال: بايع أمير المؤمنين يزيد فهو خير لك في الدارين فقال الحسين: وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي يقول الخلافة محرمة على آل أبي سفيان)[٥].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٥٠٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٥٠٦.

(٣) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٤ ص ٣٣٤.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ١٤٨.

(٥) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص١٥.

مروان بن الحكم كان السبب في خروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خائفا يترقب

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: (فلما مات معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ـ وكان على المدينة من قبل معاوية ـ أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له، ولا يرخص له في التأخر عن ذلك. فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه، فعرف الحسين الذي أراد فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمرا لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه مني. فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قرأ كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أبايعه جهرا، فيعرف الناس ذلك، فقال الوليد له: أجل، فقال الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أو هو؟! كذبت والله وأثمت. وخرج يمشي ومعه مواليه حتى أتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبدا، فقال الوليد: يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا أن قال لا أبايع؟! والله إني لأظن أن امرءا يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة...فلما كان آخر

نهار يوم السبت بعث الرجال إلى الحسين بن علي عليهما السلام ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية، فقال لهم الحسين: أصبحوا ثم ترون ونرى فكفوا تلك الليلة عنه ولم يلحوا عليه. فخرج عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته...فسار الحسين عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1])[2].

الدولة الأموية كادت أن تندثر لولا أن مروان وآله أحيوها

اضطربت الأوضاع السياسية كثيرا بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وصارت الأمة تشعر يوما بعد يوم بفداحة ما وقع وعظيم ما ارتكب من جريمة بحق الإسلام أولا وبحق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثانيا، وشاهد الناس بأم أعينهم صدق ما كان يقوله سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه من ان يزيد بن معاوية ما هو إلا مستهتر بكل القيم الأخلاقية، لا يعظم كبيرا ولا يرحم صغيرا، لكن هذه الصحوة لجزء من ضمير الأمة كانت ولشديد الأسف بعد فوات الأوان، فالأمة التي رفضت أن تعطي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه النصرة والعون والمساندة في سبيل إخراجها من الظلم الأموي، هاهي في واقعة الحرة تعطي دماء رجالها وأعراض نسائها وأرواح أطفالها، والرجال الذين رفضوا الوقوف في صف الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم انتدبهم لنصرته هاهم يندمون ويخرجون في ثورة عرفت بعد ذلك بثورة التوابين.

إن أمر هذه الأمة لعجيب حقا، قد هربوا من الشهادة مع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لكنهم قتلوا أنفسهم يوم الحرة في معركة خاسرة، وسمحوا بأن يخرج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعياله ونسائه، ولم يحركوا ساكنا يوم سبيت حرائر

(١) سورة القصص الآية رقم ٢١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٣٣ محاولة اخذ البيعة من الحسين عليه السلام وفشلها.

الرسالة من بلد إلى بلد ومن طاغية إلى آخر، حبا للسلامة وخوفا على النساء والأطفال، فدخل الطغاة إلى عقر دورهم، فسبيت نساؤهم واعتدي على عفتهن في خدورهن، فما خافوه بالأمس وقعوا بشر منه اليوم، وقد صدق قول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيهم وفي غيرهم: (أما بعد فإنه من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح)[1] فلم ينالوا ما ناله الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه الذين بلغوا الشهادة والسعادة الدنيوية والأخروية، ولم يحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه ويتمنونه من السلامة والحفاظ على النفس والأهل والعرض والمال فضيعوا عليهم طريق السعادة وطريق السلامة، فأعقبهم ذلك شقاء وذلة وخسرانا في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وعلى أي الأحوال فإن السياسة الظالمة ليزيد بن معاوية والضعف الإداري لحكومته وغير ذلك من أسباب قد أدى إلى ظهور تيارات وقوى غير خاضعة لسلطة الدولة، وأقوى تلك التيارات هو تيار عبد الله بن الزبير الذي اتخذ مكة المكرمة مقرا لثورته التي خرجت بمرور الأيام عن عنوان الثورة لتصبح دولة، إذ صار له ولاة وجيوش وغير ذلك من مقومات الدولة أو الدويلة، والذي يهمنا من كل هذا السرد هو أن يزيد بعد أن مات مسودا وجهه ملعونا ذكره، تولى الإمارة ابنه الضعيف معاوية ابن يزيد، (وأتته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير وأهل مكة فولي ثلاثة أشهر ويقال أربعين ليلة ولم يزل في البيت لم يخرج إلى الناس كان مريضا فكان يأمر الضحاك بن قيس الفهري يصلي بالناس بدمشق فلما ثقل معاوية بن يزيد قيل له لو عهدت إلى رجل عهدا واستخلفت خليفة فقال والله ما نفعتني حيا فأتقلدها ميتا وإن

---

(1) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص502 باب 9 في الأئمة أنهم يعرفون متى يموتون ويعلمون ذلك قبل ان يأتيهم الموت الحديث رقم 5.

كان خيرا فقد استكثر منه آل أبي سفيان لا تذهب بنو أمية بحلاوتها وأتقلد مرارتها والله لا يسألني الله عن ذلك أبدا ولكن إذا مت فليصل علي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم ويقوم بالخلافة قائم)[1].

ولما مات معاوية بن يزيد وتركت الدولة الأموية بلا ولي عهد تضعضعت أركانها واختلف قادة جيوشها واختلفت الناس وظهر التصدع والتشقق في أركان السلطة، وعلا نجم ابن الزبير واشتدت شكيمته والتحق به العديد من قادة الجيش الأموي، وفي هذا الصدد يقول محمد بن سعد: (واختلف الناس بالشام فكان أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا إلى ابن الزبير النعمان بن بشير بحمص، وزفر بن الحارث بقنسرين ثم دعا الضحاك بن قيس بدمشق الناس سرا ثم دعا الناس إلى بيعة ابن الزبير علانية فأجابه الناس إلى ذلك وبايعوه له وبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى الضحاك بن قيس بعهده على الشام فكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه)[2].

ومروان صاحب حديثنا في هذه الفقرة كان يرى موازين القوى تميل وبشكل ملحوظ إلى كفة عبد الله بن الزبير، وانه بات يمتلك أكبر قوة عسكرية في الساحة وقد بايعه أكثر أمراء الجند، فقرر والحال هذه أن يستبق غيره بالذهاب إلى مكة وإعلان الولاء والبيعة لابن الزبير من اجل أن يحظى عنده بالقرب أولا، وليحصل على تأمين على أرواح وممتلكات البقية الباقية من آل مروان، وانطلق مروان فعلا إلى مكة وكاد أن يقع ما خطط له لولا أن عبيد الله بن زياد صادفه بالطريق وأقنعه بعدم الذهاب وان

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٣٩ ـ ٤٠.

يطالب هو بالإمارة وعرض عليه المساعدة هو وعمرو بن سعيد بن العاص بشرط ان يبايع لعمرو بن سعيد من بعده، قال ابن سعد: (فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير بمكة ليبايع له ويأخذ منه أمانا لبني أمية وخرج معه عمرو بن سعيد بن العاص فلما كانوا بأذرعات وهي مدينة البثنية لقيهم عبيد الله بن زياد مقبلا من العراق فقال لمروان: أين تريد؟ فأخبره، فقال سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا تبايع لأبي خبيب وأنت سيد بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه، فقال له مروان: فما الرأي قال أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قريشا ومواليها ولا يخالفك منهم أحد فقال عمرو بن سعيد صدق عبيد الله إنك لجذم قريش وشيخها وسيدها وما ينظر الناس إلا إلى هذا الغلام خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون في حجرك وادع إلى نفسك فأنا أكفيك اليمانية فإنهم لا يخالفوني وكان مطاعا عندهم على أن تبايع لي من بعدك قال نعم)[1].

وبعد مكر وحيلة وقتل وقتال وإعانة من شياطين الأنس والجان وصل مروان ابن الحكم إلى مناصب الأمراء بعد أن كان من اللعناء أولاد اللعناء، فابتدأت بذلك الدولة المروانية، التي أنقذت الدولة الأموية من الانحلال والتلاشي لتبدأ بذلك صفحة سوداء جديدة تضاف إلى صفحات بني أمية التي ما زالت الأمة الإسلامية إلى الآن تئن من ثقل تبعاتها وجرائمها.

أبناء مروان أئمة الجور وأرباب الضلالة

بعد ان لم يبق مروان بن الحكم في إمارته إلا تسعة أشهر وعدة أيام، حيث مات خنقا من قبل زوجته كما صرح بذلك ابن عساكر بقوله: (وقتل مروان قتلته

(١) المصدر السابق.

امرأته أم معاوية بن يزيد لثلاث خلون من رمضان فولي تسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما وتوفي وله أحد وثمانون سنة)[١]، فكانت ولايته كما وصفه ووصفها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة ـ كلعقة ـ الكلب أنفه)[٢] إشارة إلى قصر مدتها وضحالة حقيقتها.

ووصل ابنه المشؤوم عبد الملك بن مروان إلى سدة الحكم واستولى على ما كان تحت يد أبيه، لان الدولة الإسلامية كانت مقسمة إلى جزأين، فمروان كان يسيطر على مصر والشام، وعبد الله بن زياد كان يسيطر على الحجاز والعراق، وقد خاض عبد الملك مع ابن الزبير معارك شرسة ونزاع شديد دام سبع سنين انتهى بمقتل ابن الزبير، وانهزام جيوشه وسيطرة عبد الملك بن مروان على جميع ما كان تحت يده وولايته، قال ابن عساكر: (وبايع أهل الشام بعده لعبد الملك بن مروان فكانت الشام ومصر في يد عبد الملك كما كانت في يد أبيه وكانت العراق والحجاز في يد ابن الزبير وكانت الفتنة بينهما سبع سنين ثم قتل ابن الزبير بمكة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اثنين وسبعين سنة واستقام الأمر لعبد الملك بن مروان بعده)[٣] فمروان بن الحكم وان كان مؤسس الدولة المروانية المشؤومة إلا ان عبد الملك ابنه هو من أرسى قواعدها وشد أزرها وقضى على معارضيها وأعاد شوكة الدولة وشكيمتها.

وقد حكم بعد عبد الملك بن مروان كل من:

١: الوليد بن عبد الملك.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص ٢٥٥.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج٥ ص٤٣ مروان بن الحكم.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥٧ ص٢٦٣.

٢ : سليمان بن عبد الملك.

٣ : عمر بن عبد العزيز .

٤ : يزيد بن عبد الملك.

٥ : هشام بن عبد الملك.

٦ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

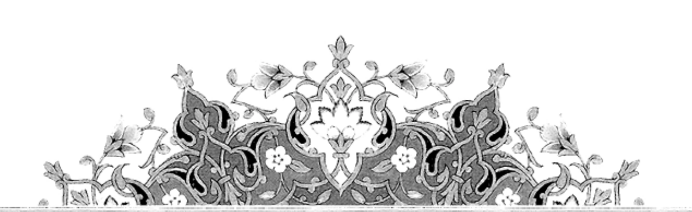
٧ : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما لعن الحكم بن العاص وكل من يخرج من صلبه بقوله : (عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق)[1] وقد صدق نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال فإنهم ساموا الأمة سوء العذاب ، فقتلوا صلحاءهم وصلبوا قراءهم وحبسوا خيارهم وشردوهم في البلاد ، وقد كانوا كما وصفهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في إحدى خطبه حيث قال : (وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي ... لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه...)[2] وتفصيل أخبارهم وشرح جرائمهم وجرائرهم مشروح في كتب التاريخ غير خاف على من يتصفحها لذلك اعرضنا عن تفصيل ذلك واكتفينا بما مر من كلام.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧ ص٤٤ من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنة الخوارج وما يصيب الناس من بني أمية.



وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً

المبحث الأول: إثبات هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللَّهُ

٢: بَنِي أُمَيَّةَ

٣: قَاطِبَةً

المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبني أمية المؤمن منهم؟

المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس

المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بني أمية بدلا من سنة الشيخين

المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجئة

المبحث السابع: معلومات إضافية حول بني أمية

وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً

وفي هذه الفقرة الشريفة من الزيارة أيضا بحوث مهمة نستعرض فيما يأتي بعضا منها.

المبحث الأول: إثبات هذه الفقرة الشريفة

لم أجد من علماء الطائفة الإثني عشرية من خالف وأنكر شمول اللعن لبني أمية قاطبة، حتى أنّ جملة كبيرة منهم رضوان الله تعالى عليهم استشهدوا بهذه الفقرة بالذات في كتبهم الأصولية، منهم الشيخ الخوانساري قدس الله روحه في كتابه منية الطالب الذي هو تقرير لبحث المحقق الميرزا النائيني قدس الله روحه[1]، ومنهم الآخوند الخراساني قدس الله روحه في كفاية الأصول[2]، ومنهم المولى محمد كاظم الخراساني قدس الله روحه في نهاية النهاية[3]، والشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني قدس الله روحه في فوائد الأصول[4]، وغيرهم

(١) منية الطالب تقرير بحث النائيني للخوانساري ج٢ ص١٢٧ يشترط في خيار الغبن أمران.

(٢) كفاية الأصول للآخوند الخراساني ص٢٣٣ التمسك بالعام في غير الشك في التخصيص.

(٣) نهاية النهاية للمولى محمد كاظم الخراساني ج١ ص٢٨٩.

(٤) فوائد الأصول للشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني ج١ ـ ٢ في ما يصح التمسك فيه بالعموم من المخصص اللبي.

الكثير رضوان الله تعالى عليهم حيث استشهدوا بهذه الفقرة واستفادوا منها في كتبهم الأصولية والفقهية كل حسب غرضه الخاص ولولا اعتقادهم رضوان الله تعالى عليهم بصحة مضمونها لما جاز لهم الاستشهاد بها.

وقال المحقق الكركي قدس الله روحه: (والحاصل أن بني أمية قاطبة ملعونون مطرودون، وبذلك وردت النصوص عن أهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[1] المراد بها: شجرة بني أمية)[2].

وقد تواتر الخبر عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان بني أمية لعنهم الله هم الذين عبر عنهم القرآن الكريم بالشجرة الملعونة بقوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[3] فأطلق القرآن الكريم اللعن على هذه الشجرة بجملتها وتفصيلها، ولم يستثن منها غصنا ولا ورقة، فثمرها ملعون ونتاجها خبيث، وهذا المعنى هو عين ما جاء في هذه الفقرة من الزيارة.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أن بني أمية تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه والسلام لهم، نحو ما روي عنه في تفسير، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ فإن المفسرين قالوا: إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لهم الآية به، فساءه ذلك ثم قال: الشجرة الملعونة

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٦٠.

(٢) رسائل الكركي للمحقق الكركي ج ٢ ص ٢٢٧ ذكر بني أمية وعمرو بن العاص.

(٣) سورة الإسراء الآية رقم ٦٠.

بنو أمية وبنو المغيرة)[1].

وقال الآلوسي في تفسيره: (والشجرة الملعونة الحكم وولده وفي عبارة بعض المفسرين هي بنو أمية...وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملا وللخبائث عاملا أو ممن كان من أعوانهم كيفما كان، ويحتمل أن يكون المراد ما جعلنا خلافتهم وما جعلناهم أنفسهم إلا فتنة، وفيه من المبالغة في ذمهم ما فيه...وجعل ضمير (نخوفهم) على هذا لما كان له أولا أو للشجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة والفروج المحصنة وأخذ الأموال من غير حلها ومنع الحقوق عن أهلها وتبديل الأحكام والحكم بغير ما أنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام، وجاء لعنهم في القرآن إما على الخصوص كما زعمته الشيعة أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[2] وقال عز وجل ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[3] إلى آيات آخر ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولا أوليا)[4].

وسيأتي في المباحث اللاحقة تفصيل أكثر لمسألة لعنهم ومن يشمله اللعن منهم ومن يستثنى من لفظ (قاطبة).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٧.

(٣) سورة محمد الآية رقم ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) تفسير الآلوسي ج ١٥ ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللّٰهُ

الواو هنا عاطفة وما بعده معطوف على ما مر في الفقرة السابقة، وقد تبين مما سبق معنى هاتين اللفظتين فراجع.

٢: بَنِي أُمَيَّةَ

(بَنِي) جمع أبناء ومفرده ابن، وابن الرجل هو ولد الرجل، قال ابن منظور: (والابن: الولد)[١]، وقال الفيروز آبادي: (والابن: الولد أصله: بني أو بنو ج: أبناء والاسم: البنوة)[٢].

أو يكون الابن هو كل من ينسب إلى الرجل قال أبو هلال العسكري: (ويجوز أن يقال إن قولنا هو ابن فلان يقتضي أنه منسوب إليه ولهذا يقال الناس بنو آدم لأنهم منسوبون إليه وكذلك بنو إسرائيل)[٣].

و(أُمَيَّةَ) هو ابن عبد شمس بن عبد مناف، وسيأتي تفصيل لبعض أخباره لاحقا.

٣: قَاطِبَةً

و(قَاطِبَةً) لفظ يدل على العموم وهو بمعنى جميعا، قال الجوهري: (وتقول: جاء القوم قاطبة، أي جميعا، وهو اسم يدل على العموم)[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٨٩ فصل الباء الموحدة.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٤ ص ٣٠٥.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٢ ـ ١٣.

(٤) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٠٤.

وقال ابن منظور: (وجاء القوم بقطيبهم أي بجماعتهم. وجاؤوا قاطبة أي جميعا، قال سيبويه: لا يستعمل إلا حالا)[1].

فيصبح المعنى العام لهذه الفقرة الشريفة هو (ولعن الله جميع أولاد وأبناء أمية ابن عبد شمس وكل من ينتسب إليه).

المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبني أمية المؤمن منهم؟

الظاهر من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان لبني أمية خصوصية وامتيازاً يمتازون به عن جميع بيوت العرب، بل عن جميع بيوت قبائل العالم بأسره، فالمتعارف في كل بيوت العرب وغيرهم ان هذه البيوت تضم بين أفرادها المؤمن وغير المؤمن، والطيب والخبيث، والنافع والضار، وربما زاد فيها عدد الطيبين والمؤمنين على غيرهم وربما يكون العكس، أما في بني أمية فالحال مختلف بالكلية؛ إذ إن كلمات القرآن والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أجمعت أو كادت أن تجمع على أن لا خير يرجى من أهل هذا البيت، وان الخبث والكفر والكيد بالرسول والرسالة صفة لا تفارقهم ولا يستثنى منها أحد منهم، حتى أن القرآن حينما لعنهم لم يلعنهم كأفراد محدودين، وإنما لعنهم جملة واحدة ومثلهم بالشجرة وحكم على جميع أجزائها وأبعاضها باللعنة، والإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه في إحدى كلماته أكد هذه الحقيقة حيث قال: (ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجا)[2].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٦٨١.

(٢) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص١٩٠ الباب الرابع باب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

والواقع التاريخي يصدق هذه المقولة بالكامل، فلو تأمل منصف واقع أفعالهم ابتداءً من أرض مكة فإنه يرى أن آل أمية كانوا أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته، وأعظمهم له مخالفة، لا تضرم حرب بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته إلا وكان بنو أمية في مقدمتها، ولا تشب فتنة إلا وهم على رأسها، ولا ترفع راية لهدم الإسلام وقواعده إلا وكان آل أمية قادتها وساستها، فكم حرب قد أضرموا وكم من جيش قد أسسوا، فلما لم يقدروا ان يطفئوا نور الله بأفواههم وأفعالهم وكيدهم وحروبهم، دخلوا في الدين مستسلمين غير مسلمين، فكادوا الإسلام من الداخل حتى وصلت بهم الحال ان صيروا مال الله دولا وعباده خولا، ودين الله عوجا.

ولكن يبقى الكلام حول هل يمكن أن يخرج من هذه الشجرة الخبيثة مؤمن، ونقصد بالمؤمن المؤمن في الاصطلاح الشيعي الإمامي المقيد بالإقرار بولاية وإمامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان غير المؤمن بهذا المعنى لا يخاف عواقب شموله بعموم قول الزيارة (فلعن الله بني أمية قاطبة).

والعقل كما لا يخفى لا يمانع من خروج المؤمن من أصلاب رجال ونساء هذه الشجرة الملعونة، ولكن الواقع الخارجي لا يكاد يذكر من هؤلاء المؤمنين إلا النزر القليل والفرد النادر، وهم على فرض وجودهم والتيقن من إيمانهم فإنهم مستثنون من عموم اللعن قطعا، إما بالقرائن اللبية كما ذهب إلى ذلك جمع من المحققين من علمائنا، واما بأدلة أخرى خارجية تخصص أو تقيد وتستثني المؤمن من غيره، لبداهة ان اللعنة لا تجوز على المؤمن كما هو مذكور في جملة من النصوص والآثار النبوية.

كل ذلك فيما لو تيقنا بإيمان ذلك المنتسب إلى أمية أو احد أولاده، أما لو وقع الشك في إيمان فرد منهم أو عدم إيمانه فانه لا يخرج حينئذ من ذلك العموم ويشمل بإطلاق اللعن عليه كما يشمل من هو متيقن الكفر أو متيقن النفاق، وفي هذا الصدد يقول الميرزا حسن السبزواري قدس الله روحه: (ففي مثل «لعن الله بني أمية قاطبة» مع أن العقل حاكم بعدم جواز لعن المؤمن يستكشف العقل بأنه ليس فيهم مؤمن من جهة ترتيب القياس، وهو أن الشخص المشكوك إيمانه يجوز لعنه بمقتضى العموم، ولو كان مؤمنا لما جاز لعنه، فينتج أنه ليس مؤمنا، فتأمل)[1].

وقال الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني في فوائد الأصول: (...وذلك كما في مثل قوله عليه السلام: اللهم العن بني أمية قاطبة، حيث يعلم أن الحكم لا يعم من كان مؤمنا من بني أمية، لان اللعن لا يصيب المؤمن، فالمؤمن خرج عن العام لانتفاء ملاكه، لمكان أن ملاك اللعن هو الشقاوة، فكأن قوله عليه السلام: «اللهم العن بني أمية قاطبة» قد تكفل ملاك الحكم بنفسه وهو الشقاوة، ومعلوم ان السعيد يقابل الشقي، فليس في السعيد ملاك الحكم)[2].

وقال الشيخ الفياض في تقريره لأبحاث السيد الخوئي قدس الله روحه: (إذا لم يكن إحراز الموضوع موكولا إلى نظر المكلف كما هو الحال في مثل قوله عليه السلام «لعن الله بني أمية قاطبة» فإن هذه القضية بما انها قضية خارجية صادرة من الإمام عليه السلام من دون قرينة تدل على إيكال إحراز الموضوع فيها في الخارج إلى نظر المكلف فبطبيعة الحال تدل على أن المتكلم لاحظ الموضوع بتمام أفراده وأحرز أنه لا مؤمن

(١) وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول للميرزا حسن السبزواري وهو تقرير لأبحاث السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس الله روحه ص ٣٧٩.

(٢) فوائد الأصول للشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني ج ١ ـ ٢ ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

بينهم، وعليه فلا مانع من التمسك بعمومه لإثبات جواز لعن الفرد المشكوك في إيمانه أو فقل انا إذا علمنا من الخارج ان فيهم مؤمنا فهو خارج عن عمومه فلا يجوز لعنه جزما، وأما إذا شك في فرد انه مؤمن أوليس بمؤمن فلا مانع من التمسك بعمومه لإثبات جواز لعنه، ويستكشف منه بدليل انه ليس بمؤمن)[1].

فيتلخص مما سبق ان آل أمية قد لعنوا جميعا نتيجة لعلم الله سبحانه الأزلي الذي علمه لأوليائه وحججه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيث تم إحراز ان لا مؤمن بينهم، ولو فرض وجود المؤمن فيهم فإنه خارج عن اللعن قطعا، أما المتيقن بعدم إيمانه أو المشكوك الإيمان فانه داخل في عموم اللعن الوارد في قوله صلوات الله وسلامه عليه: (ولعن الله بني أمية قاطبة).

المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس

أمية هو ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وقد رويت في ترجمته أخبار غير ممدوحة وصفات مذمومة، والظاهر من تخصيصه باللعن في الزيارة هو ان بلاء أولاده وصفاتهم الذميمة وقبائحهم الفظيعة كانت متوارثة منه فهو أساس بلائهم وبسببه وبسبب تربيته المعوجة لأبنائه صارت الرذيلة ديدنهم والتعصب ضد الحق مذهبهم، ثم انتقلت هذه التربية الخاطئة من الأبناء إلى الأحفاد ثم إلى أبنائهم وأبناء أبنائهم وهلم جرا، فصاروا مثل قوم نوح الذين وصفهم القرآن بقوله: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2]، وفيما يأتي جملة من أخبار أمية التي منها يعرف دناءة الرجل وسوء سيرته والتي انتقلت من بعده إلى أولاده بالوراثة والتربية.

---

(١) محاضرات في أصول الفقه تقرير بحث الخوئي للشيخ الفياض ج ٥ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) سورة نوح الآية رقم ٢٧.

كان أمية مضعوفا صاحب عهار وكان يسرق الحجيج

قال ابن أبي الحديد: (قال أبو عثمان: وشرف هاشم متصل، من حيث عددت كان الشرف معك كابرا عن كابر، وليس بنو عبد شمس كذلك، فإن الحكم بن أبي العاص كان عاديا في الأعلام، ولم يكن له سناء في الجاهلية. وأما أمية فلم يكن في نفسه هناك، وإنما رفعه أبوه، وكان مضعوفا، وكان صاحب عهار يدل على ذلك قول نفيل بن عدي جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم، فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدام حرب عليه وقال له:

أبـــوك معـــاهر وأبـــوه عـــف ... وذاد الفيـــل عـــن بلـــد حـــرام)[1]

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي أيضا: (وروى هشام بن الكلبي أن أمية بن عبد شمس لما كان غلاما، كان يسرق الحاج فسمي حارسا)[2].

أمية يزوج ابنه من زوجته في حياته

وفي خطوة لم يسبق لها مثيل في العرب والعجم فقد زوج أمية بن عبد شمس ولده أبا عمرو بن أمية من زوجته وهو ما زال على قيد الحياة، فولدت له أبا معيط بن أبي عمرو بن أمية، علما ان بعض العرب كانت تتزوج نساء آبائهم بعد موت آبائهم، وكان هذا النكاح يسمى بنكاح المقت، أما ان يزوج رجل منهم زوجته من ابنه في حياته وتنجب له أبناء وهو ينظر غير مكترث بذلك ولا متحرج فهذا فعل غير مسبوق حتى في أرذل رجال الجاهلية.

وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الحديد: (وصنع أمية في الجاهلية شيئا لم يصنعه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢٠٦ ـ ٢١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢٣٣.

أحد من العرب، زوج ابنه أبا عمرو امرأته في حياته منه، فأولدها أبا معيط بن أبي عمرو بن أمية، والمقيتون في الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم، فأما أن يتزوجها في حياة الأب ويبنى عليها وهو يراه، فإنه شيء لم يكن قط)[١].

وقال الشريف الرضي في حقائق التأويل: (فأولدها أبو عمرو أبا معيط. وهي آمنة بنت أبان بن كلب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وإياها عنى النابعة الجعدي بقوله:

وشاركنا قريشا في تقاها ... وفي أنسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان)[٢]

علما ان أبا معيط هذا هو والد عقبة بن أبي معيط الشديد الأذى للنبي في مكة وهو الذي تفل بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل فيه قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[٣] قال مقاتل بن سليمان: (﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[٤] يعني ندامة، يعني عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال له خليله وهو أمية بن خلف الجمحي: يا عقبة، ما أراك إلا قد صبأت إلى حديث هذا الرجل، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لم أفعل، فقال: وجهي من وجهك حرام إن لم تتفل في وجه محمد صلى الله عليه وسلم، وتبرأ منه حتى يعلم قومك وعشيرتك أنك غير مفارق لهم، ففعل ذلك عقبة، فأنزل الله عز وجل في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ ص ٢٠٧.

(٢) حقائق التأويل للشريف الرضي ص ٣١٩.

(٣) سورة الفرقان الآية رقم ٢٧.

(٤) سورة الفرقان الآية رقم ٢٧.

وجل في عقبة بن أبي معيط ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[1] من الندامة)[2].

وعقبة بن أبي معيط هو والد الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لامه، وهو الذي سماه القرآن فاسقا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[3] وهو الذي ولاه عثمان إمارة الكوفة وكان سكيرا قلما يصحو من سكره فخرج يوما وصلى (بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم)[4] ولا عجب في ذلك فمن شابه أباه فما ظلم، والولد كما يقول المثل سر أبيه.

حسد أمية لهاشم جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن سعد في طبقاته عند ذكر هاشم بن عبد مناف: (أخبرنا هشام بن محمد ابن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان اسم هاشم عمرا وكان صاحب إيلاف قريش وإيلاف قريش دأب قريش وكان أول من سن الرحلتين لقريش ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه فأصابت قريشا سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده، ونحر تلك الإبل، ثم أمر الطهاة فطبخوا ثم كفأ القدور على الجفان فأشبع أهل مكة، فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم، فسمي بذلك هاشما، وقال عبد الله

(١) سورة الفرقان الآية رقم ٢٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٤٣٥.

(٣) سورة الحجرات الآية رقم ٦.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ ص١٥٥٥.

بن الزبعرى في ذلك:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال وهب بن عبد قصي في ذلك:

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... وأعيا أن يقوم به بن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات ... من أرض الشام بالبر النفيض

فأوسع أهل مكة من هشيم ... وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكللات ... من الشيزاء حائرها يفيض

قال فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش واحفظوه قال فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشما عليه فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية)[1].

المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بني أمية بدلا من سنة الشيخين

قبل الدخول في صلب الموضوع لابد من توضيح عدة أمور مهمة هي:

أولا: إلزامية أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لا شك في ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت له سياسة خاصة ومنهج محدد

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ١ ص ٧٥ ـ ٧٦.

يتعامل من خلاله مع وقائع الحياة الخارجية سواء الوقائع العسكرية أو الاجتماعية أو النزاعات والصراعات الداخلية ما بينه وبين المنافقين أو ما بين الصحابة أنفسهم، وان جميع هذه المواقف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت إما بوحي من الله سبحانه وتعالى أو تطبيقا للقواعد الشرعية والأصول القرآنية قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[2] فلذلك صارت كلماته وخطاباته ورضاه وغضبه وجميع أفعاله وانفعالاته هي حجة ملزمة لجميع المسلمين؛ لأنها وكما قلنا مستمدة من الوحي ومبنية على الأصول الشرعية، وان مفهوم السنة النبوية شامل لجميع تلك الأشياء، إذ لا فرق في ان يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلسانه الشريف عن الغيبة بأنها حرام أو ان يغضب على شخص قد اغتاب أخاه المؤمن بمحضره، فمن كليهما نستطيع استكشاف حرمة ومبغوضية الغيبة عند الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: ان السنة النبوية قد استوعبت جميع احتياجات الحياة

لا شك في ان الله سبحانه قد أكمل الشريعة من جميع جوانبها وكل جهاتها، ولم يخرج النبي الأعظم من الدنيا حتى بين بقوله وفعله وتقريراته جميع معارف الإسلام وعقائده ووظائفه وأحكامه، فعن حماد بن أبي أسامة قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرية فسئل عن شيء من السنن فقال ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنة من الله ومن رسوله ولولا ذلك ما احتج فقال المغيري: وبما احتج؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام قوله: اليوم أكملت

(١) سورة النجم الآية رقم ٣ ـ ٤.

(٢) سورة الحاقة الآية رقم ٤٤ ـ ٤٧.

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، حتى فرغ من الآية فلو لم يكمل سنته وفرايضه وما يحتاج إليه الناس ما احتج به)[١].

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس انه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به وانه ليس شيء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه)[٢].

وقال ابن حزم: (قال تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٦] ...وقد شهد الله تعالى بان النص لم يفرط فيه شيئا وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل ما نزل إليهم وان الدين قد كمل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فإذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بأحد إلى قياس ولا إلى رأيه ولا إلى رأي غيره)[٧].

ثالثا: لا يحق لأحد من الخلق ان يسن سنة أو يشرع حكما إلا بإذن الهي

بعد ان ثبت ان السنة المطهرة لم تترك مفصلا من مفاصل الحياة إلا وقد أشبعته وعالجته، وبعد ان لم يترك التشريع حادثة من حوادث هذا العالم إلا وكان لله سبحانه وتعالى فيها حكم في الكتاب الكريم او السنة النبوية المطهرة، فلا يحق لإنسان حينئذ ان يشرع

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٢) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج ٥ ص ٩٤.

(٣) سورة الأنعام الآية رقم ٣٨.

(٤) سورة النحل الآية رقم ٨٩.

(٥) سورة النحل الآية رقم ٤٤.

(٦) سورة المائدة الآية رقم ٣.

(٧) المحلى لابن حزم ج ١ ص ٥٦.

أو يسن من عند نفسه حكما لم يأت على لسان الشريعة، ولم يكن مأذونا فيه من قبل الله سبحانه وتعالى، وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[1] تصريح بـ(أن حق التشريع مختص بالله، وكل من يقدم على مثل هذا العمل بدون إذنه وأمره، فإنه يكون قد افترى على الله...ـ و ـ أن التشريع مقابل شريعة الله دين الجاهلية، حيث كانوا يعطون لأنفسهم الحق في وضع الأحكام مع ضيق أفكارهم وضحالتها، ولكن لا يمكن أن يكون المؤمن الحقيقي كذلك مطلقا)[2].

ولا وجه لما اعتقده البعض من ان هذه الآية خاصة بأهل الشرك دون المسلمين كما رواه ابن أبي حاتم الرازي: (عن عبد الله بن عباس قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾[3] قال: هم أهل الشرك كانوا يحلون الأنعام ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا)[4] إذ لا خصوصية لأهل الشرك لينفردوا بحكم الافتراء على الله سبحانه وتعالى دون غيرهم، لان خصوصية المورد لا تخصص الوارد، فمن شارك أهل الشرك بالعلة فحرّم وأحلّ من دون إذن الهي يكون قد شاركهم بحكم الافتراء على الله سبحانه وتعالى.

ظهور سنة جديدة بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمها سنة الشيخين

بعد ان استشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ان اعتلى مقامه من اعتلى وبعد ان ابعد وأقصي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومنازلهم التي أنزلهم الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة يونس الآية رقم ٥٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) سورة يونس الآية رقم ٥٩.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم الرازي ج ٦ ص ١٩٦٠.

فيها، وجد الزعماء الجدد للدولة الإسلامية أنفسهم أمام تراث نبوي ضخم من الأحكام الشرعية، والتفسيرية وأحاديث المناقب وأحاديث الوصية بالعترة، ووجوب تقديمهم وتفضيلهم، وانهم الأمان من الاختلاف، وان بهم النجاة من الفتنة والانحراف، وانهم المرجع العلمي المأذون له من قبل الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدين، وسن التشريعات للأمة على وفق حاجاتها المستقبلية، فعلم الزعماء الجدد ان لا استقامة لإمارتهم ولا دوام لملكهم ما لم تتغير هذه المنظومة الفكرية والشرعية والعقائدية التي تركها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وإبدالها بمنظومة فكرية وشرعية وعقائدية جديدة تتناسب والوضع الجديد، وقد سميت هذه المنظومة الجديدة بعد ذلك بـ (سنة أبي بكر وعمر) ونستطيع على عجالة من الأمر ان نجد ملامح عامة لهذه السنة الجديدة نلخصها بالنقاط الآتية:

أولا: سنة الشيخين لا قداسة فيها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

ان أعظم جريمة ارتكبها المسلمون هي أنهم اقروا كبراءهم وسادتهم على المساس والنيل من شخصية وعظمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والذنب كل الذنب يعود بالدرجة الأولى على تلك الأمة التي عاصرت وعاشت في زمن كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإمارة الشيخين، فهم المؤسسون والمعينون لتأصيل مبدأ عدم قداسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأول بوادر هذا الجريمة النكراء قد ظهرت وأسس أساسها ونبي الله صلى الله عليه وآله وسلم على فراش موته، يوم اتهمه عمر بن الخطاب بأنه يهجر ولا يعقل ما يقول.

ثم لما وصلوا إلى الإمارة بالطريقة المعروفة وسع هذا المبدأ وادعم بروايات مكذوبة موضوعة وظهر النبي الأعظم بالجهاز الإعلامي للدولة الجديدة بأنه بشر

كسائر البشر وانه الشخص الذي يسب ويلعن أصحابه وسائر الناس من دون سبب ومبرر للعنة والسب، ثم يعتريه الندم بعد ذلك ويعود إلى رشده ــ حاشاه ــ ويطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ان يجعل لعناته وسبابه وأذيته للعباد رحمة ومغفرة وأجراً وثواباً، وقد ألف أنصار سنة الشيخين وعقدوا أبوابا في صحاحهم روجوا فيها هذه الأكاذيب، كما فعل مسلم في صحيحه حيث عقد بابا في جزئه الثامن اسماه (باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة) روى فيه عن عائشة انها قالت: (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشيء لا أدرى ما هو فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان قال وما ذاك قالت قلت لعنتهما وسببتهما قال أوما علمت ما شارطت عليه ربي قلت اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا)[1]وروى عن أبي هريرة: (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة)[2].

والعجيب في الأمر ان مسلما في صحيحه قد روى قبل هذه الأحاديث أحاديث أخرى تكذّب قول كل من عائشة وأبي هريرة على لسان أبي هريرة نفسه وغيره جاء فيها: (عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال إني لم ابعث لعانا وإنما بعثت رحمة)[3] وعن (زيد بن أسلم ان عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بانجاد من عنده فلما إن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤ باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة.

(٢) المصدر السابق ص٢٥.

(٣) صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلعنه فلما صبح قالت له أم الدرداء سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)[1] وهذان الحديثان هما الأنسب والأكثر انسجاما مع قوله سبحانه وتعالى في وصفه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

وسنة الشيخين أكدت وبشدة على بشرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من دون ان تعطي لشخصيته مصداقية غيبية، إلا في جانب يسير من جوانب حياته المباركة، وهو الجانب التبليغي للأحكام الشرعية، أما ما يتعلق بتدبير الأمور وسياسة البلاد وإدارة شؤون الناس وبقية الأمور المتعلقة بدنيا المكلفين فقد جعلوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرا كسائر البشر بل دون سائر البشر يرى فيها الرأي ثم يتبين له خطأه فيطلب من المسلمين السماح والغفران[3]، ويصلي بأصحابه فيتوقف فجأة ويأمرهم بالانتظار وسط الصلاة ثم يذهب إلى بيته ليغتسل ويعود ليخبرهم بأنه كان جنبا ونسي ان يغتسل[4]، ويصلي بهم فلا يدري كم صلى وكم ركع وسجد فيعتذر بأنه بشر مثلهم

---

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٢) سورة القلم الآية رقم ٤.

(٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم، شرح مسلم، النووي ج ٥ ص ٦١ ـ ٦٢: (قوله صلى الله عليه وسلم ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني، فيه دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث... قال القاضي واختلفوا في جواز السهو عليه صلى الله عليه وسلم في الأمور التي لا تتعلق بالبلاغ وبيان أحكام الشرع من أفعاله وعاداته وأذكار قلبه فجوزه الجمهور).

(٤) في مسند احمد بن حنبل ج ٥ ص ٤١: (عن أبي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استفتح الصلاة فكبر ثم أومأ إليهم ان مكانكم ثم دخل فخرج ورأسه يقطر فصلى بهم فلما قضى الصلاة قال إنما أنا بشر واني كنت جنبا).

ينسى كما ينسون ويسهو كما يسهون[1]، ويأمرهم بعدم تلقيح نخل المدينة ثم يتبين له ان النخلة لكي تثمر فانها لا يمكن ان تستغني عنه النخلة فيعتذر لهم ويفوض لهم أمر التصرف بما يتعلق بأمور دنياهم لأنهم اعرف بها منه[2]، والظاهر ان التأكيد المبالغ فيه على بشرية النبي صلى الله عليه وآله، وانه كغيره ينسى ويسهو، ويلعن ويسب، ويصلي مجنبا، بل ويترك صلاة الصبح، ويبول واقفا، وأمثال ذلك، سببه سلب قدسية النبي صلى الله عليه وآله من نفوس المسلمين، وتحطيم مصداقية أقواله وأفعاله، وبمعنى آخر تحطيم السنة النبوية، حتى يمكن للسلطة وأتباعها مناقشتها ومعارضتها وعدم الاعتقاد بإلزاميتها، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل المخطط وهو ما سنتكلم عنه في النقطة الثانية.

ثانيا: تضخيم شخصية السلطة وإعطاؤها مقام الأنبياء

بعد ان نجحت السلطة في سحق وقتل قداسة النبي صلى الله عليه وآله إعلاميا، جاءت الخطوة المكملة لهذه المهمة وهي تضخيم شخصية الخليفة المغتصب وبعض الحاشية المشاركة له في الأهداف والمصالح، وجعله وإياهم مرجعا يرجع إليه في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكتفوا بأن جعلوهم أفضل الصحابة حتى صيروهم أفضل أهل

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٤٢٠: (عن عبد الله بن مسعود قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا الظهر أو العصر فلما انصرف قيل له يا رسول الله أزيد في الصلاة قال لا قالوا فإنك صليت خمسا قال فسجد سجدتي السهو ثم قال إنما أنا بشر أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون).

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص ٩٥: (عن رافع بن خديج قال قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما انا بشر).

السماوات والأرض، كما نقل عن أبي هريرة قوله: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر وعمر خير أهل السماوات و الأرض، وخير الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين)[1].

ومنحوهما مقام الإفتاء في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل عن ابن عمر: (أنه سئل عمن كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما)[2].

وجعلوا الخليفة يلقى في روعه ولا يتكلم إلا بإلهام من الملائكة، واختلقوا في هذا المجال عدة أحاديث منها ما عن عائشة: (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)[3]قال العيني: (المحدث الملهم الذي يلقى الشيء في روعه فكأنه قد حدث به يظن فيصيب، ويخطر الشيء بباله فيكون، وهي منزلة جليلة من منازل الأولياء، وقيل: المحدث هو من يجري الصواب على لسانه، وقيل: من تكلمه الملائكة...وقد وقع ذلك بحمد الله تعالى. وفيه منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب)[4] وقال المناوي: (كأنه جعله في انقطاع قرينه في ذلك كأنه نبي)[5] وقال

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٢ ص٣٣٣، وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٥٦٧ فضائل أبي بكر وعمر من الإكمال.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج٩ ص٧٧، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان المسلمون بحاجة إلى من يفتيهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قيد الحياة وهو صلى الله عليه وآله وسلم معروف بعدم رد أي سائل يطلب التفقه في الدين، فإذا كان الحال هذا فما الداعي إلى ان يسأل الناس الفتوى من أبي بكر وعمر؟!.

(٣) صحيح مسلم ج٧ ص١١٦ باب من فضائل عمر.

(٤) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٥٥.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤ ص٦٦٤حرف القاف.

الشيخ الاميني نقلا عن الحافظ محب الدين الطبري: (ويجوز أن يحمل على ظاهره وتحدثهم الملائكة لا بوحي وإنما بما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة)[1].

وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف ان ينتقل جبرائيل عليه السلام بالوحي إلى عمر بن الخطاب، حتى كان يجهر بالقول: (ما أبطأ عني جبريل إلا خشيت أنه ذهب إلى عمر)[2].

وان الخليفة أعطي تسعة أعشار العلم وترك بقية الخلق يتشاركون في جزء واحد، قال ابن مسعود: (لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة)[3].

وفي مقارنة سريعة بين ما سطروه هنا للسلطة من صفات ترتفع بهم عن مرتبة سائر المخلوقين، وبين ما نسبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من موبقات عظام تتضح اللعبة وتتبين تفاصيلها ويتيقن المسلم ان ذلك التمجيد للسلطة وهذا الانتقاص من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان الهدف منه استبدال القدسية ليتسنى للخليفة ان يتمتع بمقام التشريع وحتى إذا ما سن سنة يطاع ويتبع ما دام هو خير أهل السماوات والأرض وما دام ملهما محدثا من قبل الملائكة، ولكي إذا ما خالفت سنته سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم سنة الخليفة وتشريعاته لأنه ملهم بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صوره إعلام الدولة يسهو وينسى ويخطئ ويعتذر بأنه بشر مثل غيره من البشر.

---

(١) الغدير للشيخ الاميني ج٥ ص٤٤ نصوص العامة حول المحدث.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١٢ ص١٧٨ ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٤٩ ـ ١١٥٠.

ثالثا: إيجاد التغطية الإعلامية وشراء ذمم المغطين

ان الحديث عن سنة الشيخين لا ينبغي ان ينفصل عن مسألة مهمة للغاية وهي ان هذين الشيخين ما كانا لينجحا لولا إيجادهم لشبكة إعلامية قوية وفعالة تروج ما يسن ويبتدع من فتاوى وسنن، وتعطي زخما شرعيا وتغطية إسلامية لكل ما يقوم به الحاكم، وقد وقع اختيار السلطة على مجموعة من الأشخاص كان كل واحد منهم يتمتع بميزة خاصة ومهمة معينة محددة، فعائشة لتغطية الجانب الشرعي وإعطاء الأحكام وقد منحت مرتبة من قبل السلطة لم يمنح مثلها إنسان بسبب الخدمات الجليلة التي بذلتها في هذا المجال حتى ضخمت شخصيتها كما ضخمت شخصية الشيخين ورووا ان النبي قال لامته وأوصاهم بقوله: (خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء)[1] وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر)[2] وحتى فتحت أمامها أبواب بيت المال وتميزت براتبها الشهري عن جميع نساء المسلمين، قال ابن سعد: (عن مصعب بن سعد أن عمر أول من فرض الأعطية فرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف وفرض لأزواج النبي عليه السلام ففضل عليهن عائشة فرض لها في اثني عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف غير جويرية وصفية فرض لهما في ستة آلاف ستة آلاف)[3].

وأعطي القضاء لزيد بن ثابت فعن سليمان بن يسار قال: (ما كان عمر ولا

---

(١) تفسير الرازي ج٣٢ ص٣٢ في تفسير قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وقريب من هذا اللفظ تجده في المبسوط للسرخسي ج٤ ص٢١٣ باب نكاح الصغير والصغيرة.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٢ ص ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٣٠٤ ذكر استخلاف عمر.

عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة)[1]مع العلم ان زيد بن ثابت يصرح بما لا يقبل الشك ان جميع ما كان يقضي به هو اجتهادات شخصية لا تمت للشريعة بصلة فعن الشعبي قال: (إن مروان دعا زيد بن ثابت، وأجلس له قوما خلف ستر، فأخذ يسأله، وهم يكتبون؛ ففطن زيد، فقال: يا مروان، أغدرا، إنما أقول برأيي)[2]وقد استفاد زيد بن ثابت من بحبوحة بيت المال لان الدولة لم تكن تبخل على من يخدمها بإخلاص، قال ابن حجر: (وروى البغوي بإسناد صحيح عن خارجة بن زيد كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر فقلما رجع إلا اقطعه حديقة من نخل)[3]ولا نريد الدخول بتفصيل القول حول طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وآل أبي سفيان وغيرهم ممن قدم خدمات للدولة فمنحتهم الدولة من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس.

ولم تكن السلطة في قوانين سنتها الجديدة ترى بأسا في ان يرى رجالها المعتمدون ما يشاءون ما دامت هذه الآراء لا تخل بأمن الدولة ولا تزعزع كرسي الخليفة، قال ابن عبد البر: (وعن ابن عمر أنه سئل عن شيء فعله أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذا أو شيء رأيته قال بل شيء رأيته وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا قال في شيء برأيه قال هذه من كيسي ذكره ابن وهب عن سليمان بن بلال عن كثير بن زيد عن وليد بن رباح عن أبي هريرة وعن ابن مسعود أنه قال في غير ما مسألة أقول فيها برأي)[4].

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٤٣٨.

(٣) الإصابة لابن حجر ج٢ ص٤٩٢.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٨.

كما ان السلطة وأعوانها لم تكن ترى بأسا في ان تطمس كثيرا من النصوص النبوية فيما تعلقت مصلحة الدولة بطمسها وإخفائها، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وقد أطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكر في الكتاب والسنة، كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا، ولم يحد رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة)[1].

وكذلك كانت السلطة وأتباعها يرون حلية وجواز إخفاء الحقائق والأحاديث التي تؤدي إلى تفرق الناس عنهم كما جاء على لسان عثمان بن عفان حيث خطب في أيام إمارته فقال: (أيها الناس إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كراهة تفرقكم عني...)[2].

وبمعاونة السلطة وبجهود بعض الصحابة وبسكوت الأمة انتهت السنة النبوية بذلك وحلت محلها الآراء الشخصية المنسجمة مع خط السلطة وتوجهاتها الفكرية،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٨٣ ـ ٨٤ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

(٢) مسند احمد بن حنبل ج١ ص٦٥ مسند عثمان بن عفان.

ثم أكملت هذه الخطوة بخطوة أخرى قاضية أردت فيها السلطة السنة النبوية صريعة ألا وهي قيام السلطة بحرق كل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كتبت في حياته الشريفة، فعن عائشة قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت خمسمائة حديث، فبات ليله يتقلب كثيرا، قالت: فغمني فقلت: تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها)[1] وبهذه الخطوات المدروسة من قبل السلطة، تم القضاء على آخر رمق للسنة النبوية، ومع قتل السنة النبوية، قتلت حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأوسمتهم وفضائلهم والوصية بتقديمهم، وأحييت فضائل جديدة لطبقة جديدة من الصحابة واخترعت أحاديث جديدة منحت غير أهل البيت مراتب السبق والفضل والوصية، وأُسس منهج فقهي وعقائدي لا يرى أي ضير أو خجل في معارضة الثوابت التي رسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلغها لامته وصلاة التراويح ومنع زواج المتعة وغيرها من آلاف الشواهد دليل على ما نقول.

محاولات عثمان تغيير سنة الشيخين وبناء سنة جديدة

قد مر علينا فيما سبق ان عبد الرحمن بن عوف وآخرين رفضوا ان يبايعوا عثمان بن عفان الا حينما ضمن لهم انه سيسير على سنة أبي بكر وعمر، وهو دليل على ان المسلمين أصبحوا لا يعرفون من سنة النبي شيئا، وان السنة الجديدة لابي بكر وعمر قد حلت محل سنة الله ورسوله، إذ لو كانت سنة الشيخين هي نفسها سنة الله ورسوله لما كان ضروريا ان تسمى بسنتهما ولقال القائل واشترط على عثمان المضي والعمل على وفق سنة الله ورسوله لان تسميتها بسنة رسول الله اولى من تسميتها

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٠ ص٢٨٥ باب في أدب العلماء فصل في رواية الحديث.

بسنة الشيخين لأنّه ﷺ أشرف وأكمل والتسمية باسمه أوجب، ولكن إطلاقهم على تلك السنة بسنة الشيخين دليل على أنها لا تمت إلى رسول الله بصلة لا من قريب ولا من بعيد وانها آراء ورؤى شخصية ارتآها الحاكم وألبست لباسا شرعيا من قبل الشبكة الإعلامية التي كان يستعين بها الخليفة وفرضت على الناس بالقوة والسيف ومع مرور الوقت صارت دينا يدان به ومنهجا يكبر عليه الصغير ويهرم عليه الكبير.

محاولات يائسة للتغيير والخروج عن سنة أبي بكر وعمر

وعثمان بن عفان ولاعتقاده بان سنة الشيخين ما هي إلا عبارة عن آراء الحكام الذين سبقوه وانها ما فرضت على الناس ولا سنت ولا روجت إلا لان القائل لها هو الحاكم وليس شخصا آخر، وها هو قد وصل إلى ما وصل إليه كل من أبي بكر وعمر، فمن حقه حينئذ ان يضع لمساته كخليفة على الفقه والعقيدة والاقتصاد وغير ذلك ليكون له اثر يذكر كما لغيره، وليدخل اسمه في ضمن موسوعة المبتدعين وليسمي الناس بعده السنة باسم سنة أبي بكر وعمر وعثمان، لذلك حاول بعد فترة ليست بالطويلة من توليه الإمارة ان يشرع بعض الأحكام التي يناقض فيها كلاً من النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، نظير ما رواه الطبري بقوله: (عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمه قال صلى عثمان بالناس بمنى أربعا فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعا فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع عمر ركعتين قال بلى قال ألم تصل صدرا من

خلافتك ركعتين... فقال عثمان هذا رأي رأيته)[1].

وقال ابن الأثير: (أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسعه، وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم)[2].

والملاحظ في النصين السابقين ان عثمان بن عفان كان يعاني المعارضة الشديدة من بعض الصحابة الذين كانوا ينغصون عليه محاولاته لتغيير السنة، مع ان أكثر هذه الأصوات لم تكن ترفع ضد تغيير كل من أبي بكر وعمر للسنة النبوية، مع العلم ان تغييرهما للسنة النبوية كان اشد وأعظم، وقد واجه عثمان بن عفان أولئك المعترضين بهذه الحقيقة علانية فقال في إحدى خطبه: (ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا)[3].

عثمان لم يفهم قواعد اللعبة فلذلك اعترض عليه

حينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك، وحينما أضرت دعوته المباركة بمصالح قريش وطغاتها قرر أصحاب القرار في مكة ان يقتلوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لكنهم خافوا من ان يصطدموا مع بني هاشم ويدخلوا في

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٧٧.

مواجهة دامية، لكنهم وبمكر شيطاني وصلوا إلى ان يختاروا من كل قبيلة رجلا ثم يضربوا النبي ضربة رجل واحد ليضيع دمه وحقه بين القبائل، لان بني هاشم لا يستطيعون حينئذ مواجهة كل العرب، فيضطرون إلى السكوت والقبول بعدم المواجهة، ونفس هذا المخطط الشيطاني قد نفذ من قبل أصحاب السقيفة، لأنهم ادخلوا في لعبتهم كل قبائل العرب وجميع من كان له مطمع من الصحابة وغيرهم، فأعطوا الأموال العظيمة وقسموا الهدايا الجسيمة، وولوا البلدان لمن كان يتشوق للإمارة، واشتروا الذمم فأحبهم الناس وأحبوا بقاءهم وصبروا على ما فيهم من العلل والنقص رجاء أعطياتهم وصلاتهم، والأهم من ذلك كله هو إيجادهم لشبكة إعلامية قوية تغطي جميع تصرفاتهم وتغييراتهم وتبررها وتلبسها لباسا شرعيا، وبذلك ضاع حق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بين القبائل، كما أراد مشركو مكة ان يضيعوا دم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين القبائل.

واستمر العمل بهذا المنهج طوال إمارة أبي بكر وعمر بن الخطاب، لكن لما تولى عثمان بن عفان الإمارة، خالف قواعد اللعبة وأراد ان يستفرد بالغنيمة كاملة هو واهل بيته من بني أمية دون أهل الحل والعقد من الصحابة الذين كانوا يمنحون الدولة المساندة مقابل نظام المحاصصة، فصيرهم أسوة بغيرهم من الناس، وأعطى الأموال الجسيمة إلى قرابته واهل بيته، فثارت لذلك ثائرة الذين تم إقصاؤهم ومساواتهم بغيرهم وشعروا بأن مصالحهم وقارونيتهم باتت مهددة بالزوال والضياع وان منازلهم ومقاماتهم التي تمتعوا ببحبوحتها لسنوات طويلة صارت عرضة للانتهاك من قبل الأمير الجديد، فوقفوا بوجه كل محاولة من محاولات تغييره مهما كانت صغيرة وتافهة بالنسبة لما تم تغييره في زمن كل من أبي بكر وعمر، فلو كان عثمان قد فهم اللعبة جيدا، ولو كانت مصالح تلك الشبكة الإعلامية مضمونة من قبل الخليفة، ولو

تقاسم بالغنيمة مع غيره لما تجرأ عليه متجري، ولدعمت وأسندت وألبست جميع تغييراته للسنة لباسا شرعيا ولاستحدثت فتاوى وأحاديث جديدة تلبي جميع رغباته وتغييراته.

وكشاهد على ما قدمنا من ان الصراع ما بين عثمان ومحاولاته لتغيير السنة وإيجاد سنة بديلة عن سنة الشيخين وما بين معارضيه لم يكن صراع الخوف على الأمة وعلى سنة نبيها الكريم بل كان جوهر الصراع وحقيقته هو صراع مصالح شخصية ومنافع آنية لكن البس لباسا شرعيا واستغل اسم النبي ﷺ وسنته لاستمالة قلوب الجهال والبسطاء من الناس، قال اليعقوبي في تاريخه: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فقام عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته! فقال عثمان: رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)[1].

معاوية بن أبي سفيان يكتشف الخطأ ويمرر سنة عثمان

بقي عثمان بن عفان غير راضخ لقواعد اللعبة إلى ان مات اما تغافلا منه عنها أو عنادا منه لها، لكن معاوية بن أبي سفيان لما وصل اليه الملك الدنيوي اتخذ درسا من أيام عثمان وما مر عليه، وتيقن بأنه سوف لن يكتب له النجاح ما لم يرجع العمل بنظام القواعد القديمة، فأعاد فتح باب الامتيازات الاستثنائية لمن بقي من أصحاب الشبكة الإعلامية القديمة، وبالخصوص عائشة بنت أبي بكر، فأغرقها بالهدايا والأعطيات وفي المقابل أغرقته بالقبول والرضا والمساندة، قال ابن كثير:



(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص١٧٥ أيام عثمان بن عفان.

(قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه...وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)[1].

وبسبب هذه الأموال الضخمة لم يعد يهتز عند عائشة وجدان من كل جرائم معاوية بن أبي سفيان، فإذا ما أرادت ان تظهر غيظها وحنقها لا تظهره إلا على شكل عتاب خجول سرعان ما ينتهي بهدية كبيرة من جانب معاوية تنسيها سنة رسول الله ودماء المسلمين كما حصل بينها وبينه بعد قتل الشهيد حجر بن عدي وأصحابه، قال الطبراني: (عن مروان بن الحكم قال دخلت مع معاوية على عائشة أم المؤمنين فقالت يا معاوية قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذي فعلت أما خشيت أن أخبئ لك رجلا فيقتلك بمحمد بن أبي بكر قال لا إني في بيت آمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين كيف أنا في حوائجك ورسلك وأمرك قالت صالح قال فدعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله)[2].

وبهذا وغيره صارت عند معاوية الفرصة السانحة والغطاء الإعلامي المناسب في إرجاع ما سنه عثمان بن عفان وجعل سنته وتعديلاته على الأحكام هي دين الدولة الجديد، مع علمه وعلم جميع الصحابة ان هذه السنة الجديدة تخالف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة وتخالف سنة كل من ابي بكر وعمر من جهة أخرى، قال الهيثمي: (عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا مكة قال فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة قال وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا فإذا خرج إلى منى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج ١٩ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ مروان بن الحكم عن معاوية.

وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج فلما صلى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به فقال لهما ويحكما وهل كان غير ما صنعت قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فقالا فان ابن عمك قد كان أتمها وان خلافك إياه عيب له قال فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا)[1].

قال الشوكاني: (إن أول من ترك تكبير النقل أي الجهر به عثمان، ثم معاوية، ثم زياد، ثم سائر بني أمية)[2].

المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجئة

ابتلي بنو أمية قاطبة بمعضلة عظيمة كانت تحط من قدرهم ومنزلتهم في أعين الناس، فهم مذ أسلموا ودخلوا في هذا الدين كرها لم تظهر عليهم آثار العبادة وأداء الواجبات والاجتهاد في الطاعات ومراعاة الحقوق، ومن استقصى حالهم وأقوالهم وأفعالهم لم يجد إلا الجرأة على الحدود وإراقة الدماء وانتهاك الحدود، فهم من سن المجالس العامة للطرب والغناء والخمور والزنا، حيث كانت تصرف على هذه المجالس والمغنين والمغنيات وكؤوس الذهب والفضة التي يوضع فيها الخمر والنبيذ ما تكفي لإشباع آلاف المسلمين، ومنهم من مزق القرآن بالسهام لا لشيء إلا لأنه استخار بكتاب الله سبحانه وتعالى فخرجت الخيرة على خلاف مراده، وهم من أراق دماء الأزكياء

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧وقد علق الهيثمي على هذا الحديث بقوله: (رواه أحمد وروى الطبراني بعضه في الكبير ورجال أحمد موثقون).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٢٦٩.

على ثرى كربلاء وسبى منهم النساء وذبح الرضعان وشال الرؤوس على الرماح يطوف بها وبهن شرق الأرض وغربها.

فوجدت نتيجة لكل هذه الأفعال المشينة المخزية هوة عظيمة ما بين آيات القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته، بل وحتى ما بين سنة كل من أبي بكر وعمر وما بين أفعال الأمويين وعباداتهم وطريقة إدارتهم لشؤون العباد والبلاد، فالمتابع لسيرة النبي وسنته والملم بأخلاقيات القرآن وآدابه وأحكامه يجدهما يتناقضان بالكلية مع السيرة الأموية وأخلاق أبناء هذه العائلة الملعونة والشجرة الخبيثة، وبطبيعة الحال لم يكن هذا التناقض خافيا على بني أمية، ولاسيما على أمرائهم والمتنفذين فيهم، وكذلك لم يكن هذا التناقض والتنافر يخفى على عامة المسلمين.

ثم إن بني أمية قد تنّبهوا إلى أمر مهم للغاية وهو: ان كل من خرج عليهم بالسيف ثائرا ولتغييرهم طالبا كان يستغل مسألة مجونهم وفسادهم وقتلهم للمسلمين ومخالفة أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم للقرآن والسنة، مما أوقعهم بحرج شديد، فاخترعوا لحل هذه المعضلة مذهبا سمي واصطلح عليه فيما بعد بمذهب المرجئة.

وقد أوضح ابن حجر الزمن الدقيق لنشوء هذا المذهب ففي رواية: (عن شعبة عن زبيد قال لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له فظهر من هذا ان سؤاله كان عن معتقدهم وان ذلك كان حين ظهورهم وكانت وفاة أبي وائل سنة تسع وتسعين وقيل سنة اثنتين وثمانين ففي ذلك دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة)[1]، فيظهر ان هذا المذهب قد وجد قبل سنة اثنين وثمانين، مما يعني انه وبالتحديد قد وجد في ما بين إمارة عبد الملك بن مروان الذي ملك من سنة خمس وستين إلى سنة ست

(١) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص١٠٣.

وثمانين وما بين إمارة ابنه الوليد بن عبد الملك الذي حكم إلى سنة ست وتسعين للهجرة، قال اليعقوبي: (وملك عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، جداه جميعا طريدا رسول الله، وكانت البيعة له بالشام في اليوم الذي توفي فيه مروان، وذلك في شهر رمضان سنة ٦٥)[١].

وقال أيضا: (ثم ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأمه ولادة بنت العباس ابن جزء العبسية، للنصف من شوال سنة ٨٦)[٢] واستمرت إمارته إلى حين تولي أخيه سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين[٣].

وقد حمل هذا المذهب الأموي عدة سمات كان أهمها ما يأتي:

أولا: ان (المرجئة تدعي أن الذنوب كلها صغائر واقعا، وإنما توصف ما توصف بالكبيرة منها بالإضافة، وإلا فلا كبيرة في المعاصي عندهم، وذلك لأن الأعمال لا أهمية لها عند المرجئة سواء كانت طاعات أو معاصي)[٤].

ثانيا: انهم (يقولون الأفعال كلها بتقدير الله تعالى وليس للعباد فيها اختيار وإنه لا يضر مع الإيمان معصية... هم الجبرية القائلون بأن إضافة الفعل إلى العبد كإضافته إلى الجمادات سموا بذلك لأنهم يؤخرون أمر الله ونهيه عن الاعتداد بهما ويرتكبون الكبائر)[٥].

ثالثا: انهم يقولون ان الإيمان قول بلا عمل، وان الإيمان لا يزيد ولا ينقص بل

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦٩ أيام عبد الملك بن مروان.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ أيام الوليد بن عبد الملك.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٣ أيام سليمان بن عبد الملك.

(٤) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٥) تحفة الأحوذي للمباركفوري ج ٦ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

هو درجة واحدة، وان النفاق لا وجود له، وان كل من أسلم ولو باللسان فمصيره الجنة مهما ارتكب من الكبائر والجرائم وان النار قد خلقت للكفار، فعن سفيان الثوري انه قال: (خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث. نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: الإيمان قول ولا عمل ؛ ونقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص ؛ ونحن نقول النفاق، وهم يقولون: لا نفاق)[1]

وقال العلامة المجلسي: (وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلا وإنما النار للكفار تمسكا بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل " قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى)[2].

فجعلوا الحاكم من أهل الجنة مع ارتكابه للمآثم والمعاصي، بل هو معذور لانه مجبور على ارتكاب المعاصي وقتل الأبرياء، وان الحاكم الفاسق الخمار المتهتك متساوٍ بالدرجة مع المؤمن العابد المتهجد الحافظ لكتاب الله والقائم بأمر الله، وان النفاق الذي اشتهر به آل أمية قد ارتحل من عالم الوجود، وان الدماء التي أريقت في سبيل الملك والدنيا كلها مغفورة وان كلاً من القاتل والمقتول في الجنة لا تفاضل بينهما، وان قتلة الأنبياء والأوصياء على رغم ما ارتكبوه وما جنوه مؤمنون كما هو حال قتلة الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما فقد روي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة قال: قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم في كتابه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ

(١) صفة المنافق لجعفر بن محمد الفريابي ص ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٨ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1] قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا)[2].

المبحث السابع: معلومات إضافية حول بني أمية

نستطيع ومن خلال الروايات الشريفة ومن خلال أقوال العلماء الأعلام رضوان الله تعالى عليهم ان نحصد جملة من المعلومات المفيدة والقيمة التي تخص بني أمية، وهي لا تندرج تحت مبحث موحد لذلك أدرجناها تحت عنوان معلومات إضافية، وهي على اختصار كالآتي:

أولا: أبغض الأحياء إلى النبي صلى الله عليه وآله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف

قال الحاكم النيسابوري: (عن أبي حمزة قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[3].

ثانيا: اهلك الله بني أمية بعد إحراقهم زيد بن علي بسبعة أيام

قال الشيخ الكليني قدس الله روحه عن: (عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن علي الوشاء، عمن ذكره، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إن الله عز ذكره أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام)[4].

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٨٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٤٠٩.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

(٤) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ١٦١.

ثالثا: لم يعط الله الملك لبني أمية وإنما اغتصبوه

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه: (عن إبراهيم بن أبي بكر بن أبي سماك، عن داود بن فرقد، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قلت له: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[1] أليس قد آتى الله عز وجل بني أمية الملك؟ قال: ليس حيث تذهب إليه إن الله عز وجل آتانا الملك وأخذته بنو أمية بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر فليس هو للذي أخذه)[2].

رابعا: بقاء وجودهم بالشام إلى حين خروج القائم صلوات الله وسلامه عليه

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه عن: (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأسدي قال: سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول في قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾[3] قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم فيقول لهم الروم: لا ندخلنكم حتى تتنصروا فيعلقون في أعناقهم الصلبان فيدخلونهم فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا، قال: فيدفعونهم إليهم فذلك قوله: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال: يسألهم الكنوز وهو أعلم بها قال: فيقولون ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٢٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٦٦.

(٣) سورة الأنبياء الآية رقم ١٢ ـ ١٣.

فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[1] بالسيف)[2].

خامسا: ان في كثرة لعن بني أمية سببا من أسباب التقرب للإمام المهدي عليه السلام

قال الميرزا محمد تقي الأصفهاني: (إكثار اللعن على بني أمية سرا وعلانية في المجالس وعلى المنابر، ما لم يكن خوف وتقية، ويدل على كون ذلك مما يتقرب به إلى مولانا «عليه السلام» مضافا إلى أنه من أفضل الأعمال، وأحبها، وأهمها ما رواه الشيخ الصدوق «رضي الله عنه» في الخصال عن أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذكر مناقبه السبعين، قال «عليه السلام»: وأما الرابعة والخمسون، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «يا علي سيلعنك بنو أمية، ويرد عليهم ملك بكل لعنة ألف لعنة، فإذا قام القائم «عليه السلام» لعنهم أربعين سنة» الخبر.

أقول[3]: لا يخفى عليك أن المراد باللعن أربعين سنة أمره «عليه السلام» شيعته وأتباعه بلعن بني أمية في جميع البلاد، والقرى، والأمصار على المنابر، وفي المجامع، وشيوع ذلك بين الناس في تلك المدة كما فعل ذلك بنو أمية لعنهم الله تعالى في زمن استيلائهم معاندة لأمير المؤمنين «عليه السلام». ففعل القائم جزاء بما كسبوا في هذه الدنيا ولو كان المراد لعنه بني أمية بنفسه فقط لما كان محدودا بالمدة المعينة، وما اختص بزمان ظهوره «عليه السلام» لأنه يلعنهم في جميع عمره. والحاصل أن هذا الحديث الشريف يدل على فضل كثير في الاهتمام بلعن بني أمية، وإكثاره، وأنه مما يتقرب به إلى صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وظهوره فينبغي للمؤمن الاهتمام والمواظبة عليه في سائر أوقاته وحالاته، خصوصا في صباحه ومسائه، وأعقاب صلواته.

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ١٤ ـ ١٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٥١ ـ ٥٢.

(٣) الكلام ما زال للميرزا محمد تقي الأصفهاني قدس الله روحه.

ويشهد لما ذكرناه ما رواه الشيخ بإسناده عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» قال: إذا انحرفت عن صلاة مكتوبة، فلا تنحرف إلا بانصراف لعن بني أمية.

ومما يدل[1] على أن اللعن عليهم وعلى سائر أعداء الأئمة من أقسام نصرة الإمام باللسان ما في تفسير الإمام العسكري عليه الصلاة والسلام، أنه قال رجل للصادق «عليه السلام»: يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن عليهم، فكيف حالي: فقال له الصادق «عليه السلام» حدثني أبي عن أبيه عن جده عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، ولعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعنا ساعدوه، فلعنوا من يلعنه، ثم ثنوه، فقالوا اللهم صل على عبدك هذا، الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار» انتهى.

هذا كله مضافا إلى أن موالاة الأئمة لا تتم إلا بالبراءة من أعدائهم، واللعن عليهم، ولا ريب أن بني أمية من أعدائهم، وقد فعلوا بالأئمة وأوليائهم ما فعلوا من الظلم والقتل، وأنواع الإيذاء فلعنة الله عليهم ما دامت الأرض والسماء)[2].

---

(١) ما زال الكلام للميرزا الأصفهاني قدس الله روحه.

(٢) مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الأصفهاني ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢.



وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ



وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ

وفي هـذه الفقـرة مباحـث مهمـة كمـا في غيرهـا مـن فقـرات الزيـارة الـشريفة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لم أجد أحداً من أعلام الطائفة رضوان الله تعالى عليهم قديما وحديثا شك أو تردد في جواز بل في وجوب لعن هذا الشرير قاتل أولاد الأنبياء وذراري الأئمة الأطهار النجباء، فكلمة الطائفة الحقة مجمعة على لعنه ومن هذا الإجماع نستطيع وبأدنى تأمل أن نستكشف رضا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، هذا فيما لو أعوزنا الدليل اللفظي على إثبات وقوع لعنهم في كلمات الأئمة الأطهار وأحاديثهم.

ثم انه لعنه الله مشمول باللعن بعدة عناوين أخرى، فهو ممن قتل النفس المحترمة، وقد أثبتنا في مباحث سابقة ان قاتل النفس ملعون محكوم عليه يوم لقيامة

بالخلود في نار جهنم صاغرا، ولو لم يكن إلا قتله لسيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته وأصحابه وأطفاله رضوان الله تعالى عليهم لكفى بها عظيمة تتفطر من هول خطبها السماوات العلى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[1] .

وهو أيضا وان افردته الزيارة بالذكر في هذه العبارة لأسباب سنأتي على ذكرها لاحقا إلا أنه يدخل تحت عدة جماعات قد تم الحكم عليها باللعن في فقرات سابقة من الزيارة أو ستأتي لاحقا، فهو من أوضح مصاديق قوله صلوات الله وسلامه عليه (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ).

وهو أيضا مشمول بكونه ممن دفع أهل البيت عن مقاماتهم وحال بينهم وبين وصولهم لمنازلهم التي أنزلهم الله فيها وإحدى أهم هذه المقامات والمراتب والمنازل هي مرتبة تولي رعاية الأمة وقيادتها نحو التكامل، فلولا وقوف هذا الشخص وغيره من الأجلاف والحيلولة ما بين سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وبين وصوله للكوفة، والوقوف مع أئمة الكفر والضلالة، لاستطاع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استرجاع مقام الخلافة المغصوب من قبل أعدائه وأعداء الدين، ولتمتعت الأمة بنعمة حكم المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولسنحت الفرصة بقيام الإمام بتربية الأمة وإعادة بث الشريعة التي طال غيابها، ولبث من العلوم الإلهية مثل ما بث أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فجريمة هؤلاء الأجلاف لا تغتفر ولا تقتصر على زمن دون آخر، فالأجيال إلى آخر الزمان تئن من عظيم جريمتهم، وتستشعر أهمية وعظمة تلك الثروة الفكرية والمعرفية التي سلبت منهم جراء حيلولة هؤلاء القتلة الأوباش فيما بينهم وبين دولة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه التي كادت أن تكون في الكوفة.

(١) سورة مريم الآية رقم ٩٠.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

وَلَعَنَ اللّهُ ابْنَ مَرْجَانَة

مر في الفقرات السابقة توضيح معنى عبارة (وَلَعَنَ اللّهُ) فنرجو من القارئ العزيز مراجعتها، وأما (ابْنَ مَرْجَانَةَ) فهو عبيد الله بن زياد، وزياد هذا هو زياد بن أبيه أو ابن عبيد أو ابن أبي سفيان الذي سبق ذكره والكلام عنه في فقرة (وَلَعَنَ اللّهُ آلَ زِيَادٍ)، و(مَرْجَانَةَ) هي كما قال العيني في عمدة القاري: (...مرجانة وهي أمه...وكانت مجوسية، وقال البخاري: وكانت مرجانة سبية من أصفهان)[1]وسيأتي تفصيل أكثر لبعض أحوالها في محله إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: ابن مرجانة تاريخ يندى له الجبين

قد مر في شرح فقرة (وَلَعَنَ اللّهُ آلَ زِيَادٍ) تفصيل شافٍ عن أحوال وأوضاع زياد بن أبيه والد عبيد الله المسمى في هذه الفقرة بابن مرجانة، وعلى الرغم من ان الشواهد التاريخية تشير إلى ان زياداً هو الوالد الظاهري لعبيد الله بن مرجانة، إلا أننا نقطع بأن عبيد الله هذا كان مجهول الأب وقد تولد نتيجة الزنا والعياذ بالله، ويشهد على هذه المسألة ما نطقت به الأحاديث الشريفة للمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن قتلة أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا من المتولدين من الزنا والفاحشة فعن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ان الله جعل قتل أولاد النبيين من الأمم الماضية على يدي أولاد الزنا)[2].

(١) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٤٠.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١٦١ الباب (٢٥ ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليه السلام.

ويشهد على ذلك أيضا ما روي بأن مبغض أمير المؤمنين والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يولد إلا من حرام منها ما عن إبراهيم القرشي قال: (كنا عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض)[1].

عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى فانظروا في شأن أمه)[2].

وعن أبي أيوب الأنصاري انه قال: (اعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي طامث)[3].

ويشهد على ذلك أيضا وصف أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه له في قصة إخباره لميثم التمار بخبر قتله على يد عبيد الله بن زياد بقوله: (ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد...)[4].

وقد اشتهر في كتب التاريخ وصف عبيد الله بالدعي، أو الدعي ابن الدعي، فحينما طلب عمر بن سعد لعنه الله من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان ينزل على

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٤٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص١٤٥.

(٤) الاختصاص للشيخ المفيد ص٧٦ ميثم بن يحيى التمار رحمه الله تعالى.

حكم عبيد الله بن زياد لعنه الله، قال ﷺ: (أأنزل على حكم ابن مرجانة الدعي؟ الموت والله عندي دون ذلك أشهى وأحلى)[1].

وقال ﷺ في مناسبة أخرى: (ألا وان الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني)[2] وقد فهمنا في مبحث سابق ان زياداً ليس له من أب معروف وقد ادعاه معاوية بن أبي سفيان وصيره بذلك أخا له، والظاهر ان عبيد الله كان يعاني نفس المشكلة فادعاه زياد وصيره ابنا له، وبهذا صار دعيا ابن دعي.

وقد قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري في قصيدة يهجو فيها عبيد الله وعبادا ابني زياد بن أبيه:

أعباد ما للؤم عنك تحول ... ولا لك أم من قريش ولا أب

وقل لعبيد الله ما لك والد ... بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب[3]

والأشد من كل ما تقدم هو ان عبيد الله بن زياد هذا كان وكما ينقل تاريخيا يعمل فيه عمل قوم لوط والعياذ بالله وقد أخرج الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرك سفينة البحار[4] أبيات شعر ليزيد بن مفرغ الحميري لم ننقلها تنزيها للكتاب عنها، وفحواها ان عبيد الله بن مرجانة لم يبق اسود ولا ابيض إلا ومارس معه عمل قوم لوط، وهو للمبالغة بكثرة أولئك لعنه ولعنهم الله سبحانه.

وفيما يأتي أيضا جملة من أخباره وجرائمه التي توضح بمجموعها معالم شخصيته وميوله غير الإنسانية.

---

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص٤٤ الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٢٤ احتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٩٢ نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره.

(٤) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٨ ص ١٨٦.

أولا: ابن مرجانة السفيه السفاك للدماء

اشتهر عبيد الله بن مرجانة بقسوته التي لم يدانِه ولم يجارِه فيها سوى أبيه زياد بن أبيه، وسوى الحجاج بن يوسف الثقفي لعنهما الله، وهذه القسوة والشدة التي كانت تصل إلى حالة الإجرام هي التي أهلته لان يتمسك به آل أمية بعد موت زياد بن أبيه، وقد احتفظت تلك المناطق التي خضعت تحت إمارة عبيد الله بن مرجانة بذكريات مرة وحكايات مرعبة تحكي بمجموعها النفسية الطاغوتية السفاحة لهذا الموجود المسخ، فعن الحسن قال: (قدم إلينا عبيد الله بن زياد أميرا أمره علينا معاوية غلاما سفيها يسفك الدماء سفكا شديدا)[1].

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: (ان عبيد الله بن زياد لما أفرط في سفك الدماء وكان معقل بن يسار حينئذ مريضا مرضه الذي مات فيه، فأتى عبيد الله يعوده فقال له معقل: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره. وفي مسلم أنه لما حدثه بذلك قال: ألا كنت حدثتني قبل هذا اليوم ؟ قال: لم أكن لأحدثك قبل سبب ذلك، والمراد بهذا السبب هو ما كان يقع منه من سفك الدماء)[2].

ثانيا: تكذيب ابن مرجانة بأحاديث الحوض

روى احمد بن حنبل في مسنده: (قال يزيد بن حيان حدثنا زيد بن أرقم في مجلسه ذلك قال بعث إلي عبيد الله بن زياد فأتيته فقال ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجدها في كتاب الله تحدث ان له حوضا في الجنة

---

(١) سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ج ٤ ص٩٠.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٤٧.

قال قد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدناه قال كذبت ولكنك شيخ قد خرفت قال إني قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من جهنم وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وقال ابن حجر في حديثه عن الحوض: (وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ولا حاجة تدعو إلى تأويله فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف (قلت) أنكره الخوارج وبعض المعتزلة وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده فعن أبي داود من طريق عبد السلام بن أبي حازم قال شهدت أبا برزة الأسلمي دخل على عبيد الله بن زياد فحدثني فلان وكان في السماط فذكر قصة فيها أن ابن زياد ذكر الحوض فقال هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا فقال أبو برزة نعم لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه)[2].

ثالثا: ابن مرجانة ووحشية الوقوف بوجه الثورة الحسينية

بعد رحيل كبير طغاة بني أمية معاوية بن أبي سفيان ارتجت أوضاع الدولة الأموية، وتخلخل استقرارها بسبب عدم رضا المسلمين المسبق بولاية الفاجر يزيد بن معاوية لعنه الله، وما كان سكوتهم عن ولايته إلا خوفا من سيف وسم معاوية بن أبي سفيان، هذا بالنسبة لعامة المسلمين، أما بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

(١) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ٤٠٦ ـ٤٠٧.

فسكوته[1] وسكوت شيعته وأنصاره كان بسبب المعاهدة التي وقعت ما بين أخيه الإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وبين معاوية بن أبي سفيان، والقاضية بأن يبقى معاوية بن أبي سفيان في الإمارة مدة حياته فإذا مات كانت للإمام الحسن صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فإن حدث حادث ومات الإمام الحسن حل محله الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فلما ارتحل معاوية بن أبي سفيان عن الدنيا موزوراً غير مأجور، وخلف بعده يزيد المشهور بين جميع أطياف المسلمين بفسقه وتجرئه على الحدود الإلهية، والمعروف كذلك بعدم حنكته ودهائه كأبيه ذي المكر والشيطنة، انفتحت حينئذ قريحة المعترضين فمنهم من اكتفى بكلمات خجولة سرعان ما تلاشت بعد رؤية بريق الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، ومنهم من استغل هذا الإرباك في الدولة الجديدة ليبدأ بتأسيس دولة جديدة كما فعل ابن الزبير في مكة، ولكن الضربة الأقوى التي كانت تقض مضاجع الدولة الأموية هي رفض الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الانصياع والرضوخ والبيعة للحاكم الجديد، وقد ازدادت المخاوف أكثر حينما علمت أجهزة الدولة وعيونها ان أهل الكوفة قد رفضوا أيضا البيعة والدخول تحت سلطان يزيد وحكمه، وكتبوا إلى الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بالقدوم والبيعة، فأوجست الدولة الأموية الخيفة من اجتماع الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أقوى خصومها على الإطلاق وأوسعهم شعبية، مع أهل الكوفة القاعدة الشعبية التي شاركت ولوقت طويل في حروب طاحنة ضد الأمويين وقواعدهم الشامية، فقدر يزيد بن معاوية لعنه الله ومستشاروه ان لو اجتمعت هاتان القوتان لقضي على الدولة الأموية وقوضت أركانها، وعليه ولكي تبقى

(١) نقصد بالسكوت هنا هو عدم التحرك العسكري والثورة، أما الاعتراض اللفظي والرفض العملي لبيعته صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ليزيد في زمن معاوية فهو أشهر من ان يؤتى بشاهد عليه.

الدولة الأموية قائمة حية كان لابد أن تضرب وبيد من حديد وبأقسى ما يمكنها للحيلولة دون حصول هذا الاجتماع ما بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والقواعد الشعبية في الكوفة.

حيرة يزيد بن معاوية ومشورة سرحون النصراني

لكن السؤال الذي حير يزيد بن معاوية عليه اللعنة هو من هذا الشخص الذي يحول دون وصول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، ويطفئ الثورة المشتعلة على ارض الكوفة ، وكان سرحون الأنصاري المستشار الأول لمعاوية بن أبي سفيان يملك الجواب الشافي لحل هذه المعضلة التي وقعت فيها الدولة الأموية ، قال ابن حجر : (دعا يزيد مولى له يقال له سرحون قد كان يستشيره فأخبره الخبر فقال له أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا قال نعم قال فاقبل مني انه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولها إياه وكان يزيد عليه ساخطا وكان قد همّ بعزله وكان على البصرة فكتب إليه برضاه عنه وانه قد ولاه الكوفة مع البصرة وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل ويقتله إن وجده)[1].

وكتب إليه أيضا : (إلى عبيد الله بن زياد ...إنه قد بلغني أن حسينا قد سار إلى الكوفة وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبدا كما تعتبد ـ تعبد ـ العبيد)[2].

وزاد السيد محسن الأمين في لواعج الأشجان : (فضع المناظر والمسالح واحبس على الظنة وخذ على التهمة واكتب إلي في كل ما يحدث)[3].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٣ باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام.

(٣) لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص ٦٩.

البدء بقتل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه

فاتبع ابن مرجانة لإثبات ولائه وإخلاصه ليزيد بن معاوية عليه اللعنة أبشع الطرق وأكثرها وحشية في القضاء على رموز الثورة، فحينما تم اعتقال مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه وبعد الضرب المبرح والإهانة له من قبل ابن مرجانة وأتباعه ضربت عنقه بمرأى ومسمع أهل الكوفة ثم رمي به من أعلى القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه.

رمي هاني بن عروة من أعلى القصر بعد ذبحه

وأحضر ابن مرجانة هاني بن عروة الذي آوى مسلم بن عقيل في داره، فضربه على وجهه بقضيب من حديد تكسرت منه أسنانه وأنفه، وسال الدم من كل ناحية من بدنه، ثم حبس مثقلا بالأغلال، ثم شد وثاقه وضربت عنقه وجر من رجله هو ومسلم بن عقيل بحبل وطيف بجثتيهما في أسواق الكوفة وشوارعها.

رمي سفير الإمام الحسين من أعلى القصر وهو حي ثم ذبحه

ورمى عبد الله بن بقطر سفير الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إلى مسلم بن عقيل وعامة أهل الكوفة من سطح قصر الإمارة وهو على قيد الحياة، والطبري في تاريخه يروي قصة استشهاده بقوله: (عبد الله بن بقطر وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية فسرح به إلى عبيد الله بن زياد فقال اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي قال فصعد فلما أشرف على الناس قال أيها الناس إني رسول الحسين ابن فاطمة بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتوازروه على ابن

مرجانة ابن سمية الدعي فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه وبقى به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه)[1].

رمي قيس بن مسهر الصيداوي من أعلى القصر وهو حي حتى تقطع

وقيس بن مسهر الصيداوي هو الذي حمل رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقد أرجعه الإمام الحسين إلى الكوفة مرة أخرى حاملا رسالة منه صلوات الله وسلامه عليه إلى أهل الكوفة يخبرهم بقدومه واستجابته لدعواتهم وتوسلاتهم، وقد روى الطبري خبر استشهاده بقوله: (وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب فصعد ثم قال أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب قال فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمى به فتقطع فمات)[2].

ما الهدف من وراء كل هذه القسوة؟

ان الذين قتلهم عبيد الله بن مرجانة والذين عذبهم والذين حبسهم في تلك الحقبة أكثر بكثير ممن ذكرناهم سابقا، وربما يثار هاهنا سؤال مهم يدور حول سبب هذه الطريقة الوحشية التي اتبعها ابن مرجانة في قتل هؤلاء الثوار مع العلم ان فيهم

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجها إلى الكوفة وما كان من أمره في مسيره.

من الصحابة كعبد الله بن بقطر، وفيهم كذلك من الوجهاء كهاني بن عروة، وبمعنى آخر، ألم يكن باستطاعة ابن مرجانة ان يتخلص من هؤلاء الثوار بطريقة أكثر رحمة وإنسانية، فقد كان بإمكانه لعنه الله ان لم يكن له دين أن تكون له إنسانية، فيضرب أعناقهم ـ وان كان هذا بحد ذاته عظيما عند الله ـ من دون رميهم من أعلى القصر أو سحبهم من أرجلهم في الأسواق أو ذبحهم بعد رميهم؟!.

والجواب هو نعم كان باستطاعته ذلك، لكنه لعنه الله أراد أن يحقق من هذا النهج الوحشي عدة أهداف أهمها:

أولا: تحطيم نفسية الثوار عن طريق بث الخوف والرعب في أرواحهم، فإن الصورة والتأثير النفسي الذي يتركه مشهد الذبح أو رمي الإنسان من على شاهق أكثر بكثير من ألف كلمة تنديدية يوجهها الحاكم للجماهير.

ثانيا: ان ابن مرجانة يريد من خلال مشاهد الرعب هذه ان يرسل رسالة واضحة وصريحة لكل الثائرين ولكل من يريد التغيير بأن مصيرهم وقدرهم سيكون مصير وقدر أولئك الذين تم ذبحهم ورميهم من أعلى القصر فيما لو استمروا وأصروا على المطالبة بالتغيير.

ثالثا: ان هذا النوع من العنف البشع يخلق صدمة كبيرة في نفوس الذين كانوا يعتقدون ان حالة الخلاص من الكابوس الأموي يمكن ان تتم بسهولة وبساطة من دون التعرض للعقاب الوحشي.

رابعا: انتهاج هذه الطريقة الوحشية في التعامل مع المعارضين والثائرين فيه محاولة متعمدة لعزل القيادة الحسينية ووكلائها ومعتمديها وإبعادهم عن كل من يحاول مد يد المعونة لهم.

خامسا: ان هذه العمليات الوحشية التنكيلية بالثوار تهز ثقة الجماهير الكوفية وتوصل إليهم رسالة واضحة بأن خطة التغيير التي ابتدأها الثوار باتت في انهيار، وان هذا الانهيار معناه نجاح وقوة سلطة الدولة الأموية مما يعني عبثية الوقوف بوجهها ومساندة الثائرين.

سادسا: الذي يثير الانتباه ان ابن مرجانة عليه اللعنة لم يكن يقتل الثائرين جملة واحدة وبوقت واحد، وإنما كان يختار لهم أوقاتاً متفرقة فقد قتل مثلا مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، ومن ثم وفي وقت آخر ـ زاد أو قل ـ قتل هاني بن عروة رحمه الله، مما يعني ان ابن مرجانة كان يتعمد قتلهم على مراحل زمنية متفرقة، وذلك لخلق العجز النفسي في نفوس القاعدة الشعبية نتيجة تكرار تعرضهم لعوامل الإحباط والألم مما ينتج عنه شعور باليأس من إمكانية التغيير للواقع الفاسد.

سابعا: ان تكرار عمليات القتل والذبح والعنف يجعل منها أمرا عاديا ومعها يفقد المجتمع الإحساس بكونها أعمال غير إنسانية، ومعها يفقد المجتمع الإحساس بآلام الآخرين وعدم المبالاة تجاه أي مأساة إنسانية تقع نصب عينيه. وما وقع يوم عاشوراء خير شاهد على هذه الحقيقة فإن المجتمع ونتيجة الضغط الذي مورس عليه فقد الإحساس تجاه مأساة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته، ووقف موقف اللامبالاة تجاه آلام أطفال ونساء وأصحاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وجعل من تلك الجريمة النكراء أمرا هينا مستساغا، لان المجتمع وبجهله كان يتصور ان المعاناة التي كان يعانيها ستزول حالما يتم القضاء على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وان كابوس الرعب سينزاح حالما تنزاح عنهم تهمة النصرة والتأييد لثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فسارع الجميع وشارك رغبة أو رهبة في القضاء عليه وعلى ثورته ليزول عنهم ضغط ابن مرجانة وليتوقف نهر الدم ومشاهد العنف والذبح.

ثامنا: والسبب الأهم في نظري ان ابن مرجانة أراد من انتهاجه لهذا المنهج الوحشي ان يوصل رسالة إلى نفس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوضح له فيها عظيم خطر استمرار تقدمه نحو الكوفة وان المصير الذي ينتظره هو نفسه الذي وقع على مسلم بن عقيل وغيره، ليحول بذلك دون استمرار تقدمه، ودون التحاق الأنصار بركبه، وقد نجح ابن مرجانة بهذه الطريقة نوعا ما فقد تفرق جمع ليس بالقليل عن الإمام حالما وصلهم خبر مقتل مسلم بن عقيل وتردي الأوضاع في الكوفة، لكن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استمر في مسيره قاصدا الكوفة لأمر هو أعلم به.

رابعا: ابن مرجانة يتقلب في أحضان الظلمة

قد ذكرنا في مبحث سابق ان معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة هو أول من اكتشف المواهب الشاذة والإجرامية التي كان يتمتع بها عبيد الله بن مرجانة، فما ان بلغ مبلغ الشباب ولاه معاوية على البصرة، قال خليفة بن خياط في تاريخه: (سنة خمس وخمسين فيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة، وولاها عبيد الله بن زياد. فلم يزل واليا حتى مات فأقره يزيد)[1].

ثم انقلب بعد موت معاوية بن أبي سفيان إلى صف يزيد بن معاوية وقد مر الخبر الدال على ذلك فيما سبق، ثم انتقل بعد موت يزيد لعنه الله إلى صف مروان بن الحكم عليه اللعنة، وقد مر علينا سابقا ذكر ان الذي اقنع مروان بن الحكم بالتصدي للإمارة بعد موت يزيد هو عبيد الله بن زياد، وهو الذي اخذ البيعة لمروان من أهل الشام وكان على ميمنة مروان بن الحكم في حربه مع الضحاك بن قيس، قال محمد بن سعد: (كانت بيعة مروان بالجابية يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٩ - ١٧٠.

وبايع عبيد الله بن زياد لمروان بن الحكم أهل دمشق وكتب بذلك إلى مروان فقال مروان إن يرد الله أن يتمم لي خلافة لا يمنعنيها أحد من خلقه فقال حسان بن مالك صدقت وسار مروان من الجابية في ستة آلاف حتى نزل مرج راهط ثم لحق به من أصحابه من أهل دمشق وغيرهم من الأجناد سبعة آلاف فكان في ثلاثة عشر ألفا أكثرهم رجالة ولم يكن في عسكر مروان غير ثمانين عتيقا أربعون منهم لعباد بن زياد وأربعون لسائر الناس وكان على ميمنة مروان عبيد الله بن زياد)[1].

وبعد ان تم الأمر لمروان بن الحكم لعنه الله، أمر ان يسير عبيد الله بن مرجانة إلى الكوفة التي اضطربت مرة أخرى وثارت بعد سماعها بموت يزيد بن معاوية، وبعد ان استقر المختار بن عبيدة الثقفي فيها، فأمره ان يسير إليهم فإذا ظفر بهم جعل الكوفة نهبا ثلاثة أيام، قال ابن نما الحلي: (وكان مروان بن الحكم لما استقامت له الشام بالطاعة بعث جيشين: أحدهما إلى الحجاز، والآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ لينهب الكوفة إذا ظفر بها ثلاثة أيام)[2].

خامسا: ابن مرجانة ضرب رأس الحسين بالقضيب ضربا اثر فيه

الكل يعلم ان اللعين ابن مرجانة لما جيء إليه برأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه أخذ ينكت الرأس الشريف بقضيب من حديد أو خيزران كان بيده الآثمة، فعن الشيخ الطوسي عن: (الحكم بن محمد بن القاسم الثقفي، قال: حدثني أبي، عن أبيه: أنه حضر عبيد الله بن زياد حين أتي برأس الحسين ـ صلوات الله عليه ـ، فجعل ينكت بقضيب ثناياه ويقول: إنه كان لحسن الثغر. فقال له زيد بن أرقم: ارفع قضيبك،

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلي ص ١١٠.

فطالما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يلثم موضعه)[1].

ولكن الذي لا يعلمه كثير من الناس هو معنى (فجعل ينكت) لان النكت هو الضرب الذي يؤدي إلى ترك الأثر، قال الخليل الفراهيدي: (نكت: النكت: أن تنكت بقضيب في الأرض، فتؤثر فيها بطرفه)[2]، فيكون معنى (فجعل ينكت بقضيب ثناياه) هو فجعل ابن مرجانة يضرب بقضيب ضربا يؤثر في رأس وثنايا سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

وقد حاول غير واحد من المخالفين التعمية والتضليل على هذه الجريمة الشنعاء وتبريرها وتوجيهها بشكل لا يخدش سمعة ابن مرجانة، ومن هذه المحاولات ما قام به البخاري الذي حاول ان يحذف المكان الذي كان ينكت عليه ابن مرجانة بقضيبه فقال: (عن أنس بن مالك أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين ابن علي فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئا فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم)[3] فلم يبين البخاري على أي شيء جعل ينكت ابن مرجانة بقضيبه.

وجاء العيني ليقول ان النكت بقضيب ابن مرجانة لم يكن على رأس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثناياه، بل كان النكت على الأرض، والأرض هي التي كانت تتأثر بضرب قضيبه، قال في عمدة القاري: (فجعل ينكت: أي: فجعل عبيد الله بن زياد ينكت أي: يضرب بقضيب على الأرض فيؤثر فيها)[4].

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٥٢.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٥ ص ٣٣٩.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٦ باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

(٤) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٤١.

سادسا: ابن مرجانة يبني أربعة مساجد يسب بها أمير المؤمنين

روى ابن أبي الحديد المعتزلي عن أبي غسان البصري: (قال: بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب والوقيعة فيه: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد)[1].

سابعا: خبر مقتله وقصة الحية التي كانت تدخل وتخرج في رأسه

قال العيني في عمدة القاري: (ثم إن الله تعالى جازى هذا الفاسق الظالم عبيد الله بن زياد بأن جعل قتله على يدي إبراهيم بن الأشتر يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين على أرض يقال لها: الجازر، بينها وبين الموصل خمسة فراسخ، وكان المختار بن أبي عبيدة الثقفي أرسله لقتال ابن زياد، ولما قتل ابن زياد جيء برأسه وبرؤوس أصحابه وطرحت بين يدي المختار، وجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وهو ابن زياد وخرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه بين الرؤوس)[2].

وقال ابن الأثير: (عن عمارة بن عمير قال لما جئ برأس ابن زياد وأصحابه نضدت في المسجد فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة)[3].

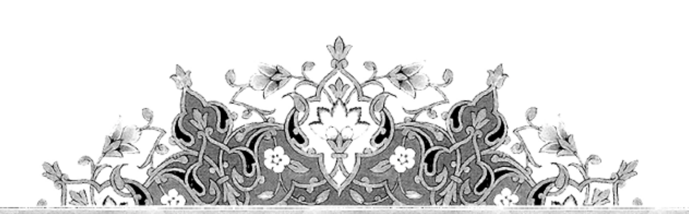
فلعنه الله يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا فيحشر إلى النار وبئس القرار.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) عمدة القاري للعيني ج ١٦ ص ٢٤١.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣.



وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللَّهُ ٢: عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله

عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه

عمر بن سعد يختار بلاد الري على قتل ريحانة رسول الله

هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين مكرها؟

زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين .يتفاوض مع عمر بن سعد

الشروط المزعومة هي في مصلحة عمر بن سعد دون الإمام

الناس قد تحدثوا بالشروط دون ان يعلموها يقينا

لو كان الإمام .يريد البيعة ليزيد لبايع وهو في المدينة

شاهد رافق الإمام .من المدينة إلى كربلاء يكذب هذه الشروط

ما هي حقيقة المطالب التي أرادها الإمام الحسين

عمر بن سعد لعنه الله يشارك في القتال والسلب والنهب

عمر بن سعد يسبي النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد

هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة؟

عمر بن سعد يلاقي مصيره على يد المختار



وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

وفي هذه الفقرة مباحث مهمة كما في غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ان عمر بن سعد وإن أفرد له ذكر في هذه الفقرة من الزيارة وخص باللعن فيها، إلا انه يدخل في جملة من الفقرات السابقة للزيارة، فهو ملعون بعموم قوله صلوات الله وسلامه عليه: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ)، فهو ممن قتلهم وقاتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو ممن مكن ومهد لغيره سبيل قتالهم، وهو من أشياع وأولياء وأتباع المؤسسين لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وغير ذلك من العموميات الشاملة له ولأمثاله من الظلمة.

وفوق ذلك فقد وردت مقاطع كثيرة في متون الزيارات والأدعية والأحاديث عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تصرح باسمه وتنص على لعنه، منها ما أخرجه

الشيخ الصدوق قدس الله روحه وغيره عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (...ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار)[1].

ومنها ما أخرجه الميرزا النوري قدس الله روحه في مستدرك الوسائل عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انه قال: (اللهم فصل على محمد وآل محمد، واجعل محياي محياهم ومماتي مماتهم، ولا تفرق بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء، اللهم وهذا يوم تجدد فيه النقمة وتنزل فيه اللعنة على اللعين يزيد، وعلى آل يزيد، وعلى آل زياد، وعمر بن سعد والشمر، اللهم العنهم والعن من رضي بقولهم وفعلهم...)[2].

ويدل على صحة لعنه ما قاله السيد حسن الحسيني آل المجدد الشيرازي في موضوع بعنوان (النصال الخارقة لنحر المارقة) نشرته مجلة تراثنا والذي جاء فيه: (أنه قد تقرر في علم الميزان أن الكلي الطبيعي لا استقلال له بالوجود، وإنما وجوده في ضمن أفراده وبتبعها، فليس معنى قولنا: لعنة الله على الكافر والفاسق والمبتدع و... إلى آخره، إلا لعن أفراد ذلك الكلي ومصاديقه، وإلا فلا معنى للعن الكلي نفسه. فتحصل من ذلك جواز لعن يزيد وابن زياد وعمر بن سعد وشمر وغيرهم، لأن كلا منهم فرد من أفراد كلي الكافر والفاسق والظالم و... إلى آخره. فلا مناص من الإذعان لجواز لعن المعين، إذ المانعون يجيزونه في نفس الأمر، وإن كانوا ينكرونه بألسنتهم، بل إن تجويزهم اللعن بصيغة ومنعه بأخرى سفسطة ظاهرة...)[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ج٢ ص٢٦٨ في كراهة السعي في الحوائج في يوم عاشوراء.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١٠ ص٤١٤ باب نوادر ما يتعلق بأبواب المزار.

(٣) مجلة تراثنا تصدر عن مؤسسة آل البيت ج٥٠ ص٢٣٠.

وقال علي محمد فتح الدين الحنفي: (قال العلامة وحيد الزمان في المشرب الوردي: ...وقال الله تعالى " إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا "، فإذا قلنا إن معاوية، ويزيد، وعمرو بن العاص، وشمراً، وعمر بن سعد، وسناناً، وخولى آذوا الله ورسوله، وكل من كان كذلك فهو ملعون، فالذي ينتج أنهم ملعونون)[1].

ويمكن لعنه أيضا بالاستناد إلى الحديث الذي رواه هو عن أبيه سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)[2]، وإجماع المسلمين قائم على ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو من المؤمنين بل من أئمتهم وساداتهم، والإجماع أيضا قائم على ان ابن سعد لعنه الله قد قاتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واهل بيته وأصحابه، فيكون بقتالهم كافراً محارباً والكافر المحارب ملعون بنص القرآن في آيات كثيرة قد مر ذكرهن في مباحث سابقة.

وقال الآلوسي في تفسيره عند كلامه عن لعن يزيد بن معاوية عليه اللعنة ومن جوزه من علماء السنة: (ومن كان يخشى القال والقيل من التصريح بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله من رضي بقتل الحسين ومن آذى عترة النبي صلى الله عليه وسلم بغير حق ومن غصبهم حقهم، فإنه يكون لاعنا له لدخوله تحت العموم دخولا أوليا في نفس الأمر)[3] وهذا الكلام وان أورده الآلوسي بحق يزيد إلا انه قابل للانطباق على جميع من شارك في قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن رضي بقتله ومن آذى عترة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون دخول عمر بن سعد في كلامه بديهيا.

---

(١) فلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص ٨٥.

(٢) مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٧٦.

(٣) تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٧٤.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللّهُ

مر تبيان هذه العبارة في أثناء شرحنا للعبارات السابقة.

٢: عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

وعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ هو: (عمر بن سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة وأمه مارية بنت قيس بن معدي كرب بن أبي الكيسم بن السمط بن امرئ القيس من كندة)[١]، وقال ابن عساكر: (عمر بن سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو حفص القرشي الزهري أصله من المدينة وسكن الكوفة)[٢]، وسيأتي في المبحث الآتي تفصيل كامل عن أعماله ومواقفه قبل واقعة عاشوراء الأليمة وفي أثنائها وبعدها.

المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله

ان الحديث عن عمر بن سعد لعنه الله هو حديث عن صميم واقعة عاشوراء وما وقع فيها من الفجائع، فهو من قاد فصول مآسيها، وهو من تزعم جيوش البغي فيها، وهو من رض الصدر وسحق الجسم، وفصل الرؤوس وسبى العيال وأيتم الأطفال، وحرق البيوت وسلب النساء ...، ففي كل موقف من مواقف عاشوراء الرهيبة كان عمر بن سعد حاضرا، يكتب الكتب، ويحرض الجيش، ويوجه القتلة،

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ١٦٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٥ ص ٣٧.

ويشارك في السلب والنهب والحرق، ويمنع الماء عن آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كانت قلوبهم تحترق وأكبادهم تذوب من العطش.

ونظرا لحضور هذه الشخصية الملعونة في كل فصول الثورة الحسينية وفعاليته الكبيرة في إيجاد وقيادة فاجعة الطف الأليمة، واستمرار دوره حتى إلى ما بعد انتهاء المعركة وبقاء تأثيره الخبيث إلى حين مقتله رأينا من المناسب ان نتعرض إلى أخباره ونكشف عن حاله، من حين بدء الثورة الحسينية إلى حين مقتل هذا اللعين واجتثاث أصله الخبيث من فوق الأرض.

عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه

كان أول ظهور لاسم عمر بن سعد لعنه الله في أحداث الثورة الحسينية حين قدوم مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه إلى أرض الكوفة ومبايعة الناس له وكتابتهم للكتب التي تحث الإمام الحسين عليه السلام وتطلب منه تعجيل القدوم إليهم وغير ذلك من الأحداث المعروفة المشهورة، فلما رأى أنصار يزيد بن معاوية ان البساط سينسحب من تحت أقدامهم، وان مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه يقود الجماهير، وان المبايعين للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد بلغوا ثمانية عشر ألف رجل أو يزيدون، وان بيعة يزيد قد نقضت، وان الكوفة ستخرج من أيدي السلطة الأموية وأنصارها، وان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يعد العدة للخروج من مكة قاصدا أرض الكوفة، كتبوا إليه يحذرونه من مغبة ما يجري ويحرضونه على التحرك والوقوف بوجه الثورة الحسينية التي صارت تكبر ويكثر أنصارها يوماً بعد يوم، وكان عمر بن سعد لعنه الله من ضمن الذين كتبوا إلى يزيد بن معاوية بشأن مسلم بن عقيل وأخذه البيعة للحسين صلوات الله وسلامه عليه من الناس، قال البلاذري: (كتب وجوه أهل

الكوفة : عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ومحمد بن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل ، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه ، وبما ظهر لهم من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن أمره)[1].

وقال الطبري : (وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى يزيد بن معاوية : أما بعد فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف فكان أول من كتب إليه ، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك ، قال هشام قال عوانة فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال ما رأيك فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ وأقرأه كتبهم فما ترى من أستعمل على الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال سرجون أرأيت معاوية لو نشر لك أكنت آخذا برأيه قال نعم فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وضم المصرين إلى عبيد الله وبعث إليه بعهده على الكوفة ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكان عنده فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة وكتب إليه معه أما بعد فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتى أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام)[2].

---

(١) انساب الأشراف للبلاذري ص ٧٧ـ ٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٥.

وقول يزيد بن معاوية لعنه الله: (أما بعد فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة...) فيه تصريح واضح وإقرار علني بأن عمر بن سعد لعنه الله كان يعد من أركان الدولة وقادتها، وان كتابته ليزيد نابعة من شعوره بأن أي خطر يهدد كيان الدولة الأموية فانه يهدد مصالحه الشخصية.

وهو نابع أيضا من علمه بأن يزيد بن معاوية لعنه الله هو في بداية عهد حكم جديد وهو بحاجة إلى من يثبت له حكمه، وبحاجة إلى رجال يديرون له البلدان فبكتابته إلى يزيد بأمر مسلم بن عقيل يكون قد برهن عمليا على إخلاصه وتفانيه في سبيل خدمة يزيد بن معاوية عليه اللعنة، وهو ما سيكافأ عليه من قبل يزيد لعنه الله وهو ما حصل فعلا فقد تم اختياره فيما بعد لشغل منصب حاكم بلاد الري والمناطق المحيطة بها، كما سيأتي ذكره لاحقا.

فيتضح مما سبق ان عمر بن سعد لعنه الله كان سببا مباشرا ورئيسا للقضاء على مسلم بن عقيل وقتله وكان أيضا سببا أساساً ومهما للقضاء على الثورة في الكوفة، وهو أيضا سبب أساس لمجيء ابن مرجانة وتعيينه واليا على الكوفة، وهو أيضا سبب فيما وقع بعد ذلك من أحداث وفجائع.

وليست هذه المرة الوحيدة التي يكتب فيها عمر بن سعد كتابا يؤدي الى سفك دم مسلم وولي من أولياء الله سبحانه، فقد كتب قبل ذلك كتابا إلى معاوية بن أبي سفيان يشهد فيه على حجر بن عدي الكندي صاحب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالكفر ومفارقة الجماعة مما أدى إلى مقتله ومقتل ثلة من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في قضية مفصلة ذكرتها مصادر التاريخ[1].

---

(١) راجع على سبيل المثال تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

عمر بن سعد يختار بلاد الري على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما أحس يزيد بن معاوية لعنه الله الوفاء والنصيحة من عمر بن سعد بعد كتابته له بأمر مسلم بن عقيل عليه السلام قرر مكافأته بتوليته ولاية بلاد الري[1] وثغر دستبي والديلم، وكتب له عبيد الله بن مرجانة نيابة عن يزيد كتاب التولية، وأمره بالخروج إلى عمله، وجهز معه أربعة آلاف فارس، فاحتال عليه عبيد الله بن مرجانة بأن شرط عليه أن يسلمه ولاية الري بشرط أن يمضي ويقضي على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته وجميع من خرج بصحبته، قال الطبري: (وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها فكتب إليه ابن زياد عهده على الري وأمره بالخروج فخرج معسكرا بالناس بحمام أعين فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك فقال له عمر بن سعد إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل فقال له عبيد الله نعم على أن ترد لنا عهدنا قال فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد أمهلني اليوم حتى أنظر قال فانصرف عمر يستشير نصحاءه

(١) قال الحموي في معجم البلدان ج٣ ص ١١٦- ١١٨: (وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال... والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها...وللري قرى كبار كل واحدة أكبر من مدينة...وحكى ابن الفقيه عن بعض العلماء قال: في التوراة مكتوب الري باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق. وقال الأصمعي: الري عروس الدنيا وإليه متجر الناس...وكان عبيد الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الري إن خرج على الجيش الذي توجه لقتال الحسين بن علي، رضي الله عنه، فأقبل يميل بين الخروج وولاية الري والقعود، وقال: أأترك ملك الري والري رغبتي، أم ارجع مذموما بقتل حسين وفى قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عين فغلبه حب الدنيا والرياسة حتى خرج فكان من قتل الحسين، رضي الله عنه، ما كان).

فلم يكن يستشير أحدا إلا ...فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال أصلحك الله إنك وليتني هذا العمل وكتبت لي العهد وسمع به الناس فان رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه فسمى له أناسا فقال له ابن زياد لا تعلمني بأشراف أهل الكوفة ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث إن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا فلما رآه قد لج قال فإني سائر)[1].

ويحتمل أيضا ان تكون ولاية الري مجرد طعم لاصطياد عمر بن سعد من خلاله، فيزيد بن معاوية وعبيد الله بن مرجانة لعنهما الله كانا على علم وإحاطة تامة بنفسية عمر بن سعد لعنه الله، وانه كان طموحا للرئاسة محبا للمنصب، قال عنه ابن كثير: (وكان عمر بن سعد هذا يحب الإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه)[2] فاستغلا هذه الخصلة الذميمة ليصلا من خلالها إلى إجباره على المسير إلى قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وجميع أصحابه، فنيتهما في تأمير ابن سعد على بلاد الري لم تكن جدية، بدليل ان ابن سعد حتى بعد قتله للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وارتكابه تلك المجزرة الفظيعة لم تسلم له ولاية الري، والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء أراد تنبيهه إلى هذه الحقيقة، ولفت نظره إلى انه بوقوفه في وجه الثورة الحسينية سوف لن يجني شيئا سوى الإثم والخسران وانه سوف لن ينال من وعود يزيد بن معاوية وابن مرجانة لعنهما الله شيئا، وهو ما أوضحه الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقوله وندائه يوم عاشوراء: (أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر! فدعي له، وكان كارها لا يحب أن يأتيه فقال: يا

(١) تاريخ الطبري ج ٤ – ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣١٣.

عمر أنت تقتلني ؟ تزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك أبدا، عهدا معهودا، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضا بينهم. فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة)[١].

هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مكرها؟

لقد حاول بعض مؤرخي أهل السنة تبرير خروج عمر بن سعد لعنه الله إلى قتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأنه خرج مكرها، قال الدينوري: (فأمره ابن زياد أن يسير إلى محاربة الحسين، فإذا فرغ منه سار إلى ولايته. فتلكأ عمر بن سعد على ابن زياد، وكره محاربة الحسين)[٢].

وبحسب وصف الذهبي انه خرج كالمكره، قال: (وأخذ الحسين طريق العذيب، حتى نزل قصر أبي مقاتل، فخفق خفقة، ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارسا يسايرنا، ويقول: القوم يسيرون، والمنايا تسري إليهم. ثم نزل كربلاء، فسار إليه عمر بن سعد كالمكره)[٣].

وقد حاول ابن كثير المتعصب للباطل دوما، أن يخفف جريمة عمر بن سعد لعنه الله، ويهون شناعة فعله بقوله: (وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط)[٤].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٥ ص١٠ فيما قاله مولانا الحسين عليه السلام في يوم عاشورا لجماعة الكوفي من النصايح والمواعظ.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ١٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٠٤.

وحاول ابن تيمية أن يلتف على موبقة قتاله للإمام الحسين بطريقته المعروفة في المراوغة والتضليل فقال: (ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين)[1].

و(عدم الطعن في عمر بن سعد لما فعل، بل الاعتذار له بما ذكر، يكشف عن نصب شديد وعداء مقيت)[2]، إضافة إلى ان الطبري صرح بأن عمر بن سعد خرج إلى قتال الحسين راضيا، حيث قال: (وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري وعهد إليه عهده فقال اكفني هذا الرجل قال اعفني فأبى أن يعفيه قال فأنظرني الليلة فأخره فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضيا بما أمر به)[3].

وابن كثير المتعصب على رغم قوله السابق فقد كذب نفسه في مكان آخر من كتابه واعترف برضا عمر بن سعد بقتال الحسين والخروج إليه، حيث قال: (فقال: اعفني. فأبى أن يعفيه، فقال: أنظرني الليلة، فأخره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضيا بما أمره به)[4]وقد صدق من قال (لا حافظة لكذوب).

وشعر عمر بن سعد الذي تمثل به يوم عزم على الخروج إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لقتله صريح بان هذا اللعين كان على علم تام ودراية كاملة بعواقب وبنتائج فعله الدنيوية والأخروية، وعلى يقين ومعرفة كاملة بشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعظيم انتهاك حرمته وسفك دمه، ولكنه مع ذلك أصر على الخروج

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٢ ص٦٨.

(٢) شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة للسيد علي الميلاني ج١ شرح ص٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢١٤.

والإقدام على قتل خير الأنام، وشعره الذي تمثل به هو:

فوالله ما أدري وإني لحائر	أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أرجع مأثوما بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمة	لعمري ولي في الري قرة عين
وإن إله العرش يغفر زلتي	ولو كنت فيها أظلم الثقلين
ألا إنما الدنيا بخير معجل	وما عاقل باع الوجود بدين
يقولون إن الله خالق جنة	ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني	أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة	وملك عظيم دائم الحجلين[1]

وحينما أراد برير بن خضير رضوان الله تعالى عليه ان يثني عمر بن سعد عن القتال وبعد ان سمع ترديده لهذه الأبيات رجع إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقال له: (يا ابن بنت رسول الله إن عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري)[2].

زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كان نزول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى أرض كربلاء (يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين، فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد ابن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف من الفوارس فنزل نينوى)[3].

---

(١) الأبيات بهذه الصيغة والترتيب تجدها في شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة للسيد علي الميلاني ج١ شرح ص٧٢.

(٢) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج٥ ص٩٦ ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن علي.

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ١٨١.

وبقي عبيد الله بن مرجانة لعنه الله يمده بالخيل والرجال من اليوم الثالث الى اليوم العاشر من المحرم، وأغلق كذلك جميع الطرق التي يمكن من خلالها أن يتسلل من يحاول اللحاق بركب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن هلال بن أساف قال: (أمر زياد فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يترك أحد يلج ولا يخرج)[1].

وقال أيضا: (ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له، ورتب المسالح حولها وجعل على حرس الكوفة والعسكر زخر بن قيس الجعفي، ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قبله يأتيه في كل وقت)[2].

وكان عبيد الله بن مرجانة يحرض الناس للخروج إلى قتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تارة بالترهيب وأخرى بالترغيب، فزاد في أعطيات من يخرج مائة دينار وحذر كل من يتخلف عن الخروج بالعقاب والقتل ومحو اسمه من ديوان الأعطيات[3] وغير ذلك، قال البلاذري: (ولما سرح ابن زياد عمر بن سعد من حمام أعين، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم، وصعد المنبر فقرظ معاوية وذكر إحسانه وإدراره الأعطيات، وعنايته بأمور الثغور، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده، وقال: إن يزيد ابنه المتقيل له، السالك لمناهجه المحتذي لمثاله، وقد زادكم مائة مائة في أعطيتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً

(1) انساب الأشراف للبلاذري ج1 ص415.

(2) انساب الأشراف للبلاذري ج1 ص416.

(3) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص 69.

عن العسكر برئت منه الذمة)[1].

وجاء في ترجمة الإمام الحسين من الطبقات: (فلما رأى الحسين عمر بن سعد قد قصد له فيمن معه قال: يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله، ما لنا ولكم! ما هذا بكم يا أهل الكوفة؟ قالوا: خفنا طرح العطاء، قال: ما عند الله من العطاء خير لكم وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلا..)[2].

ولم يكتف ابن مرجانة لعنه الله بالجيش الذي مع عمر بن سعد والذي قوامه أربعة آلاف مقاتل، ولا بأهل الكوفة الذين أخرجهم عن بكرة أبيهم طوعا أو كرها، حتى بعث يستمد الرجال من مناطق أخرى، قال البلاذري: (ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم، وكان بالقادسية في أربعة آلاف فقدم النخيلة في جميع من معه)[3].

وقال أيضا: (وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين، ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف، وتمارض شبث بن ربعي، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل... ووجه أيضاً يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل... ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة، يمد بهم عمر ابن سعد)[4].

---

(١) انساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٤١٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص ٦٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ولكن هذه الكثرة الكثيرة من الخيل والرجال والعدة، لما كانت ترسل إلى كربلاء للالتحاق بجيش عمر بن سعد لعنه الله لم تكن تصل بكاملها، فقد كان الملتحقون في ذلك الجيش يفرون ويتخلفون ولا يصل من الألف إلا ثلاثمائة أو أربعمائة رجل، وفي هذا الصدد يقول البلاذري: (وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلا في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه)[1].

وقال الدينوري في الأخبار الطوال: (وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء، ولم يبق منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون، ويتخلفون. فبعث ابن زياد سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل إلى الكوفة، وأمره أن يطوف بها، فمن وجده قد تخلف أتاه به. فبينا هو يطوف في أحياء الكوفة إذ وجد رجلا من أهل الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميراث له، فأرسل به إلى ابن زياد، فأمر به، فضربت عنقه. فلما رأى الناس ذلك خرجوا)[2].

وهذا التخلف والفرار من الالتحاق أرغم عبيد الله بن مرجانة لعنه الله على إرسال دورات من جيشه تدور في أزقة وطرقات الكوفة وأحيائها ليكلموا الناس ويحذروهم مغبة التخلف وعدم الالتحاق بالجيش والخروج لنصرة عمر بن سعد لعنه الله، ومن لم يخضع للنصيحة أرغم على الالتحاق، فان بقي متخفيا متخلفا قتل، وفي هذا الصدد يقول البلاذري: (ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي، ومحمد بن الأشعث بن قيس، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري، وأسماء بن خارجة الفزاري، وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة وخوفوهم عواقب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الأمور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة. فخرجوا فعذروا وداروا بالكوفة ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة، ويخذل عن الحسين... ثم ان ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة)[1].

ثم كتب عبيد الله بن مرجانة لعنه الله إلى عمر بن سعد لعنه الله قبل مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أيام ان يقطع عنهم سبل الوصول إلى الماء، ليضعف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه تمهيدا لبدء القتال، قال الشيخ المفيد: (وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى عمر بن سعد: أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة)[2].

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتفاوض مع عمر بن سعد

بقي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأطفاله وأصحابه في كربلاء تحت طائلة الحصار ستة أيام امتدت من اليوم الثالث من شهر محرم حينما ورد عليه عمر بن سعد لعنه الله، والى يوم العاشر حيث دارت معركة الحق مع الباطل، وقد التقى

(١) انساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٤١٦.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٨٦.

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خلال هذه الستة أيام عدة مرات بعمر بن سعد لعنه الله، حاول الإمام صلوات الله وسلامه عليه من خلالها ثنيه عن القتال ونصرة وطاعة عبيد الله بن مرجانة، قال ابن الأثير: (التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا)[1]، وعن (هانئ بن ثبيت الحضرمي وكان قد شهد قتل الحسين قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن القني الليل بين عسكري وعسكرك قال فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارسا وأقبل حسين في مثل ذلك فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك قال فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه)[2].

وفي رواية البحار للعلامة المجلسي قدس الله روحه ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يكن وحده مع عمر بن سعد، حيث حكى قصة اللقاء بقوله: (ثم أرسل الحسين إلى عمر بن سعد لعنه الله: أني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له)[3].

وقد وقع الاختلاف بين المؤرخين حول المواضيع التي تناولها الطرفان عند الاجتماع، فكتب السنة مجمعة على ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه طلب من عمر بن سعد ثلاثة أشياء هي كما قال الطبري: (وتحدث الناس فيما بينهما ظنا يظنونه أن

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

حسينا قال لعمر بن سعد أخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين قال عمر إذن تهدم داري قال أنا أبنيها لك قال إذن تؤخذ ضياعي قال إذن أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز قال فتكره ذلك عمر قال فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئا ولا علموه)[1].

وابن كثير زاد على كلام الطبري ما نصه: (وقال بعضهم: بل سأل منه إما أن يذهبا إلى يزيد، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك)[2].

وروى ابن الأثير ما قاله الناس بشكل آخر بقوله: (وقيل بل قال له اختاروا مني واحدة من ثلاث إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبين رأيه وإما أن تسيروا بي إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلا من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم)[3].

أما البري فقد جزم بصدور هذه المطالب من الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، إذ إنه لم يروها بصيغة قال الناس، أو تحدث الناس، أو غير ذلك كما فعل غيره، فروى القصة كالتالي: (فأتاه عمر بن سعد فقال: ما هذا المسير يا أبا عبد الله؟ قال: سرت إلى قوم غروني بكتبهم، ولا مرد للقضاء. وإني أسأل منكم إحدى ثلاث خلال: إما أن تتركوني أرجع من حيث جئت. وإما أن تخلوا بيني وبين الطريق إلى الأعاجم، أقاتل فيهم حتى أموت، وإما أن أسير إلى يزيد فأضع يدي في يده)[4].

والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا هو: أمن المعقول أن يطلب الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ من عمر بن سعد لعنه الله ان ينطلقا سوية إلى يزيد بن معاوية ليصير

---

(1) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٩.

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٥٤.

(4) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص ٤٣.

تحت حكمه ورحمته؟ أو ان يسيروه إلى ثغر من الثغور فيقاتل الترك؟ أو يكون كأحد أهلها له ما لهم وعليه ما عليهم؟ وهل يعقل ان يتوسل إليهم الإمام صلوات الله وسلامه عليه بان يتركوه يرجع لأنه صلوات الله وسلامه عليه اكتشف حين محاصرته بأن أهل العراق قد خدعوه وغروه حتى صار يدعو آنذاك بقوله: (اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، وصنعوا بأخي[1] ما صنعوا)[2]؟ أم ان هذه المقولات إنما جاءت ضمن خطة مدروسة للقضاء على الثورة الحسينية إعلاميا؟ وهذا ما سنعرفه في العنوان التالي.

الشروط المزعومة هي في مصلحة عمر بن سعد دون الإمام صلوات الله وسلامه عليه

لقد قمت باستقراء النصوص المتوفرة بين يدي والتي تحدثت عن مسألة لقاء الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعمر بن سعد لعنه الله وما جرى بينهما من كلام فوجدت ان المصادر السنية المعتمد عليها عندهم أجمعت على ان اللقاء الذي انعقد لم يضم سوى شخصين فقط هما كل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعمر بن سعد لعنه الله، وان جميع من كان معهما قد تنحى جانبا بحيث لا يسمعون أصواتهما ولا كلامهما، مما يعني ان احد الطرفين هو الذي أخرج هذه المقولة.

ولكن أي الطرفين من مصلحته ان تتحقق هذه الشروط الثلاثة أو واحدا منها، وبقليل من التدبر أو التأمل نجد أنّ عمر بن سعد لعنه الله هو المستفيد الوحيد من وقوع احد هذه الشروط، لان من سمات عمر بن سعد لعنه الله الشخصية انه كان محبا للمنصب، كما قال عنه ابن كثير: (وكان عمر بن سعد هذا يحب الإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه)[3]، وبلغ

(١) يقصد بأخيه مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٠٢

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣١٣.

من طمعه انه رضي بقتل سيد شباب أهل الجنة من اجل ملك الري، فتحقيق احد تلك الشروط الثلاثة كان كافيا لوصوله إلى مطمعه، من دون حاجة إلى تجشم العناء في خوض معركة ربما تكون في غير صالحه، فهو يريد ان يزيل هذه العقبة التي تحول دون وصوله لملك الري بصورة سلمية، وبأسرع وقت ممكن.

أما بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد كان القبول ببيعة يزيد، أو الذهاب إليه، أو الفرار إلى احد الثغور ليقاتل فيها حتى يقتل، معناه التنازل الصريح والامتهان الواضح والذلة التي لا ريب فيها، وكل هذه تضر وتسيء إلى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته وشعاراته التي رفعها منذ خروجه من مكة إلى حين استشهاده صلوات الله وسلامه عليه، وعليه فليس من مصلحة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يخرج هذه الفرية على نفسه، إذن فالمستفيد من إخراج هذه الفرية هو عمر بن سعد لعنه الله وحده، دون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

الناس قد تحدثوا بالشروط دون ان يعلموها يقينا

إضافة إلى ان الروايات التي نقلت هذه القصة صرحت بأن الناس تحدثوا عن ظن يظنونه ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قال لعمر بن سعد لعنه الله أخرج معي إلى يزيد بن معاوية لعنه الله، ثم ان هذا النص وغيره يصور الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأنه إنسان غير مبالٍ وانه لا يهتم إلا إلى نجاة نفسه حاشاه من هذه الأكاذيب، لأنه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن في كربلاء وحيدا بل كان معه أخوته وأخواته وزوجاته وأبناؤه وأصحابه فكيف يعقل ان يترك الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كل هؤلاء، ويعرض على اللعين عمر بن سعد ان يهربا سوية الى يزيد ويتركا جميع من كان بصحبته صلوات الله وسلامه عليه، فكذب هذه الروايات واضح لا ريب فيه.

لو كان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يريد البيعة ليزيد لبايع وهو في المدينة

أضف إلى ذلك ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لو كان في نيته ان يبايع يزيد بن معاوية لعنه الله لما تجشم عناء الخروج من المدينة، ولبايع يزيد بن معاوية لعنه الله من أول الأمر، فانه حينئذ سوف لن يدفع القتل عن نفسه وعن أهل بيته فحسب بل كان سيحظى ببيعته هذه بمنزلة ومكانة خاصة عند يزيد والأمويين، لان بيعته صلوات الله وسلامه عليه معناها إعطاء الشرعية ليزيد لعنه الله، وان بيعته ستؤدي إلى ان يبايع ليزيد جميع بني هاشم تبعا للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقريش تبعا لبني هاشم وجميع أهل المدينة تبعا لقريش، وبيعة تحمل كل هذه الأهمية كان يزيد والأمويون على استعداد ان يبذلوا الغالي والنفيس من اجل تحقيقها لو كان لتحقيقها سبيل.

شاهد رافق الإمام صلوات الله وسلامه عليه من المدينة إلى كربلاء يكذب هذه الشروط

كان عقبة بن سمعان عبداً مملوكاً للرباب زوجة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، صحب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من حين خروجه من بيته في المدينة المنورة، إلى حين مقتله صلوات الله وسلامه عليه وانتهاء المعركة، وبعد انتهاء فاجعة عاشوراء اخذ أسيرا إلى عمر بن سعد لعنه الله، فأراد قتله، ولكنه اعتذر إليه بأنه عبد مملوك لا يملك حيلة دون الحضور مع الرباب رضوان الله تعالى عليها، فخلى عمر بن سعد سبيله، قال الطبري: (أخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبية وهي أم سكينة بنت الحسين فقال له ما أنت قال أنا عبد مملوك فخلى سبيله فلم ينج منهم أحد غيره)[1].

وعليه فيكون عقبة بن سمعان شاهد عيان رافق الحدث من بداية صدوره إلى

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٣٤٧.

انتهاء حصوله، وقد نقل الكثير من الأخبار التي وقعت سواء في الطريق إلى كربلاء، أو في كربلاء قبل قيام الحرب وأثنائها وبعدها، وقد كان في موضع يتيح له الاطلاع على تفاصيل ما يقع وما يقال، فمن الطبيعي ان تكون لشهادة مثل هذا الشخص أهمية عظمى من حيث الاثبات التاريخي.

وقد أكد عقبة بن سمعان هذا على كذب ما زعموه من ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد طلب منهم ان يذهب إلى يزيد ليضع يده في يده، أو ان يسيروه إلى ثغر من الثغور يقاتل حتى يقتل، قال الطبري: (عن عقبة بن سمعان قال صحبت حسينا فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلا ذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)[1].

وقال ابن الأثير: (صحبت ـ الحسين ـ من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس إلى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من أنه يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلم يفعلوا)[2].

وعن ابن كثير قال: (عن عقبة بن سمعان. قال: لقد صحبت الحسين من مكة

---

(١) المصدر السابق ج٤ ص٣١٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥.

إلى حين قتل، والله ما من كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور، ولكن طلب منهم أحد أمرين، إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه)(1).

وهنالك مستند تاريخي آخر يؤكد كلام عقبة بن سمعان، فقد ورد كتاب من عمر بن سعد لعنه الله إلى عبيد الله بن زياد يخبره فيه عن لقائه بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويذكر فيه ما دار بينهما من حوار ولم يكن في الكتاب ذكر لمطالبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بإرساله وتسييره إلى يزيد ليضع يده في يده، أو بعثه إلى ثغر من الثغور ليقاتل الديلم أو الترك حتى يقتل كما زعموا، فعن الطبري: (عن حسان بن فائد بن بكر العبسي قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فأني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل فقال كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني القدوم ففعلت فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال الآن إذ علقت مخالبنا به. يرجو النجاة ولات حين مناص)(2).

وفي نص آخر عن الطبري أيضا قال: (فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له ويحك يا قرة الق حسينا فسله ما جاء به وماذا يريد قال فأتاه قرة بن قيس فلما رآه الحسين مقبلا قال أتعرفون هذا فقال حبيب بن مظاهر نعم هذا رجل من حنظلة تميمي وهو ابن أختنا ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد قال

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج8 ص189 ـ 190.

(2) تاريخ الطبري ج4 ص311.

فجاء حتى سلم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له فقال الحسين كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم)[1].

وعدم ورود تلك الشروط المزعومة في رسائل عمر بن سعد لعنه الله، وعدم سماع عقبة بن سمعان لها دليل على ان هذه المزاعم المكذوبة قد افتعلت بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والتي أشيعت وانتشرت بفضل الرواة والمؤرخين الذين عرفوا بمساندتهم للحاكم الظالم، وتشويه سمعة كل من يحاول الخروج عليه.

ما هي حقيقة المطالب التي أرادها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

الظاهر ومن خلال تتبعي للنصوص التاريخية المتعلقة بهذه المسألة، ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كانت له ستة مطالب، ثلاثة منها كانت قبل المعركة في أثناء حصار الجيش الكافر له ولعياله ولأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثلاثة مطالب أخرى كانت في أثناء المعركة.

فأما التي قبل المعركة فاثنتان منها قد وردتا في رواية عقبة بن سمعان التي مر ذكرها سابقا والتي جاء فيها: (...إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه...)[2].

وأما المطلب الثالث فهو نصيحته صلوات الله وسلامه عليه التي قدمها لعمر بن سعد لعنه الله بأن يمعن النظر جيدا في موقفه العدائي ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان يتحول بالولاء والموقف من جبهة الباطل وحزبه إلى جبهة الحق وحزبه، وقد أورد العلامة المجلسي قدس الله روحه هذا الطلب في رواية جاء فيها: (ثم أرسل الحسين إلى عمر بن سعد

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٣١١.

(٢) قد مرت مصادر هذه الرواية قبل قليل.

لعنه الله: أني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له. فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يا ابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى، فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري، فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شيء فانصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلا ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيرا فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البر مستهزئا بذلك القول)[(١)].

وأما مطالبه صلوات الله وسلامه عليه في أثناء المعركة فقد رواها الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني بقوله: (لما أقبل على عمر بن سعد وقال له: أخيرك في ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتركني حتى ارجع إلى المدينة إلى حرم جدي رسول الله. قال: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: أسقوني شربة من الماء فقد نشفت كبدي من الظمأ. فقال: ولا إلى الثانية سبيل. قال: وإن كان لابد من قتلي فليبرز إلي رجل بعد رجل. فقال: ذلك لك. فحمل على القوم...)[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٢) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام لعبد العظيم المهتدي البحراني ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، نقلا عن أسرار الشهادة ص٤٠٩، والمنتخب للطريحي ص٤٣٩.

عمر بن سعد لعنه الله يشارك في القتال والسلب والنهب

في الوقت الذي طال الحصار على معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفيهم النساء والأطفال وكبار السن والمرضى، وبينما كانت قلوبهم تتفطر من شدة العطش، كان عمر بن سعد لعنه الله مستنقعا في الفرات يسبح ويتبرد ينتظر ساعة الصفر ليشن حربه الشعواء ضد أهل الحق وجبهة الإيمان، فعن (سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعين في الفرات مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فساره فقال قد بعث إليك ابن زياد جويرة بن بدر التميمي وأمره إن أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك)[1].

فلما عزم لعنه الله على الحرب والمواجهة واستئصال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم وليثبت ولاءه لسيده عبيد الله بن مرجانة ويزيد بن معاوية لعنهما الله، قدح بنفسه أول شرارة لمعركة راح ضحيتها خيرة أهل الأرض، فأطلق سهما من كبد قوسه نحو معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه معلنا فيه بدء القتال، ثم صاح متبجحا مفتخرا يطلب من الناس الشهادة له عند أميره الطاغية بأنه أول من رمى، فلما شاهد المعسكر الكافر إمامهم الضال قد رمى بسهم تسارعوا في الرمي عسى ان ينالوا درجة السبق في المشاركة وبدء القتال ليحظوا بالجائزة والقربة عند ابن مرجانة ويزيد لعنهما الله، فعن حميد بن مسلم قال: (وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى يا زويد أدن رايتك قال فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه ثم رمى فقال اشهدوا أني أول من رمى، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس)[2].

وقال ابن الأثير في الكامل: (ثم قدم عمر بن سعد برايته وأخذ سهما فرمى به

---

(1) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٥ ص٥٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٥.

(2) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٦.

وقال اشهدوا لي أني أول رام)[1] وبعد ان رمى بسهمه ورمى الناس بسهامهم نحو ابن بنت رسول الله وحرمه وأطفال ثم: (نادى عمر بن سعد مولاه زيدا أن قدم الراية، فتقدم بها، وشبت الحرب)[2] وعزم عمر بن سعد على استئصال آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجميع من يقف مدافعا عنهم وترجم هذا العزم بكلمات قالها للحر بن يزيد الرياحي حينما سأله (أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له: أي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي)[3].

وعلى الرغم من ان المتعارف آنذاك هو عدم اشتراك قائد الجيش في المعركة الدائرة بينه وبين خصومه[4]، إلا أن عمر بن سعد أخرجه حقده وبغضه لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن مراعاة قواعد الحرب وأصول القتال، فشارك جيشه في القتال تارة، وفي السلب والنهب تارة أخرى، فمثلما كان أول من رمى بسهم نحو معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كذلك كان أول من طعن في سرادق وخيام ومضارب عيالات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن البخاري قال: (حدثنا موسى ثنا سليمان بن مسلم أبو المعلي العجلي قال سمعت أبي أن الحسين لما نزل كربلاء فأول من طعن في سرادقه عمر بن سعد)[5].

ومن يلاحظ كلمات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بحقه يوم عاشوراء يرى ان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يلقي بجميع تبعات وأعمال وجرائم الجيش الكافر بعهدته

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٦٥.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص٢٥٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٦٤.

(٤) لذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اغلب حروبه ينصب له عريش على ربوة أو غير ذلك يراقب الجيش ويوجهه.

(٥) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٧٨.

وبرقبته، فحينما تقدم علي الأكبر ابن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (رفع الحسين سبابته نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه، اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقا، ومزقهم تمزيقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض الولاة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا. ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: ما لك قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله)[1] فمع ان عمر بن سعد لعنه الله لم يباشر بنفسه قتل علي الأكبر صلوات الله وسلامه عليه إلا ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يلقي بتبعة قتله وإزهاق نفسه عليه، ويحمله المسؤولية كاملة، مما يعني ان عمر بن سعد لعنه الله كان باستطاعته ان يوقف هذه المجزرة الإنسانية، وان باستطاعته أيضا ان يقلب ميزان ومعادلة الصراع الدائر بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويزيد بن معاوية لعنه الله، لكنه لعنه الله اختار الوقوف مع جبهة الباطل، وإثقال كفة الكفر، فاستحق ان تكون برقبته أوزار ذلك اليوم الرهيب.

وقد بلغ عمر بن سعد لعنه الله المرتبة العظمى من الوضاعة والخسة، وفقدانه لأقل صفات النزاهة في المواجهة، فبينما كان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قبل نزاله الأخير يودع عياله وحرمه وأطفاله ويهدئهم ويوصيهم بالصبر والتحمل ويبصرهم ما سيقع عليه بعدهم[2]، نادى أصحابه وجيشه ان يستغلوا فرصة انشغال الإمام

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٥ ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) قال السيد المقرم في مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص٢٩٠ في ذكره الوداع الثاني لسيد الشهداء عليه السلام: (ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانيا وأمرهم بالصبر ولبس الأزر وقال استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة ←

الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعياله وحرمه، وعدم إعطائه فرصة التهيؤ للقتال والنزال، فاصدر أمره لهم قائلا: (ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحدا إلا بعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره...)[1].

فهل كان عمر بن سعد لعنه الله يا ترى غافلا أو متغافلا عن ان هجوم هذا العسكر الكافر على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهو في وسط عياله وأطفاله ونسائه سيوقع يقينا الضرر والجراح والقتل في صفوف من أوصى برعايتهم رب العالمين من فوق سبع شداد وأوصى بهم وبرعايتهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بكلمات ومواقف تجل عن الإحصاء، والغريب ان أفعاله وأفعال جيشه الكافر كانت العرب في جاهليتهم الجهلاء تتنزه عن القيام بعشر من أعشار ما قاموا به وارتكبوه، فقد كانت العرب في جاهليتهم يستقبحون ان يعتدى على الأطفال والنساء، لذا طالبه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وطالب جيشه الكافر بان يكونوا على اقل التقادير من عرب الجاهلية ان لم يكونوا من أصحاب الدين والمبدأ، قال السيد بن طاوس: (ولم يزل عليه السلام يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله فصاح عليه السلام ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم

أمركم إلى خير... فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم...).

(١) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم ص٢٩١، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون)[1].

ولعمر بن سعد لعنه الله مواقف أخرى يوم عاشوراء يندى لها جبين الأحرار، فهو الذي شارك بسلب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهب ما في خيامه، فقد اشتهر انه لعنه الله اخذ درع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقي عنده إلى ان خرج المختار فأخذها منه، قال السيد بن طاوس قدس الله روحه: (وأخذ نعليه الأسود بن خالد، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي فقطع أصبعه عليه السلام مع الخاتم، وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط في دمه حتى هلك، وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خز قيس بن الأشعث، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد، فلما قتل عمر بن سعد وهبها المختار لأبي عمرة قاتله)[2].

عجبا لمال الله أصبح مقسما ... في رائح للظالمين وغاد

عجبا لآل الله صاروا مغنما ... لبني الطليق هدية وزياد

عجبا لذي الأفلاك لم لا عطلت ... والشهب لم تبرز بثوب حداد

وهو الذي انتدب الخيل وأمر بسحق جسد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورض صدره الشريف، قال المقريزي الشافعي: (...حتى قتل عليه السلام، وقد اشتد به العطش، وحزت رأسه، وانتهب متاعه، فوجد به ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، ثم طرحت جثته ووطئها الفرسان بخيولها حتى رضوا ظهره وصدره)[3].

وقال العلامة المجلسي قدس الله روحه: (ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص ٧١.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد بن طاوس ص٧٧ مقتل الحسين عليه السلام.

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ٥ ص ٣٦٤.

للحسين فيوطئ الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة وهم إسحاق بن حوية الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن الطفيل السنبسي، وعمرو بن صبيح الصيداي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خيثمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهانئ بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك، فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا ظهره وصدره)[1].

وقال ابن الأثير: (ولما قتل الحسين أمر عمر بن سعد نفرا فركبوا خيولهم وأوطؤوها الحسين)[2].

وقد شكك مناصرو يزيد بن معاوية ومؤيدو بني أمية كعادتهم بالبديهيات، وأنكروا الواضحات، ومن هؤلاء المتعصبين المؤرخ الأموي النزعة ابن كثير ـ لا كثر الله من أمثاله ـ حيث أنكر ما اشتهر بين العام والخاص من ان عمر بن سعد قد وطأ صدر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعد قتله، فقال: (ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل، ولا يصح ذلك والله أعلم)[3] والروايات التاريخية من كتب الشيعة والسنة حجة عليه وعلى أمثاله من المتعصبين، إضافة إلى ان هذا المتعصب العنيد لم يظهر سبب عدم صحة هذا الحدث، واكتفى بقوله (والله أعلم) ومعلوم عند من له اطلاع ان إسقاط رواية أو عدة روايات عن الاعتبار لا يقبل من دون ذكر سبب وجيه ومقبول لذلك الاعتراض، وإلا لو كان الأمر يرجع إلى مجرد التشهي والقول جزافا ومن غير دليل لوجدنا كل روايات التاريخ مردودة لوجود المعترضين جزافا على امتداد التاريخ.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٥ ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٢١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٠٥.

عمر بن سعد يسبي النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد

بعدما نال عمر بن سعد من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن أولاده وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمنيته، وفعل به وبهم كل ما يتوقع من إنسان هو بضحالة عمر بن سعد وخسته، بعث بشيرا إلى عبيد الله بن مرجانة يخبره بنصر جيش الكفر وقتل الأزكياء الأصفياء، وبعث مع هذا البشير ـ بشير السوء ـ رأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، قال الدينوري: (وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته إلى عبيد الله بن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي)[١].

وقال القندوزي: (ثم إن عمر بن سعد جمع قتلاه وصلى بهم ودفنهم، وترك الحسين وأصحابه)[٢].

وقال الطبري: (وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ثم أمر حميد بن بكير الأحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض)[٣].

وقال المزي: (وسرح عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين عليه السلام إلا غلام كان مريضا مع النساء)[٤].

وقال القندوزي في ينابيع المودة: (ثم إن عمر بن سعد توجه إلى الكوفة بالسبايا على الجمال، نحو أربعين جملا بغير وطاء ولا غطاء)[٥].

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٩.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج٣ ص٨٦.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٨.

(٤) تهذيب الكمال للمزي ج ٦ ص ٤٢٩.

(٥) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج ٣ ص ٨٦.

وقال احمد بن اعثم الكوفي: (وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء كما تساق الأسارى)[1].

وعن قرة بن قيس التميمي قال: (نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن قال فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظرا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن...فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا وهى تقول يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعرا مرمل بالدما مقطع الأعضا يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا قال فأبكت والله كل عدو وصديق)[2].

ثم انبرى المتملقون من المؤرخين ليدافعوا عن عمر بن سعد لعنه الله عن طريق إنكارهم لسبيه لنساء الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأطفاله، وقد تزعم هذه الحملة كالعادة ابن تيمية الأموي الهوى حيث قال: (وأما ما ذكره[3] من سبي نسائه والذراري والدوران بهم في البلاد وحملهم على الجمال بغير أقتاب فهذا كذب وباطل ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه و سلم سبي بني هاشم قط ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا)[4].

أقول: بل ابن تيمية هو الكذاب، فقد أعماه تعصبه للأمويين، وبغضه لأهل البيت ونصبه لهم عن إنكار الحقائق التاريخية التي تكاد تكون بديهية، وكم من كذبة وكذبة قد ألزم بها ابن تيمية وأتباعه وكشفت بها خبايا نفوسهم وما انطوت عليه من

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج٥ ص١٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٣) الضمير يعود إلى العلامة الحلي قدس الله روحه صاحب كتاب منهاج الكرامة.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ج٤ ص٥٥٨.

النصب والبغض والغيظ لكل ما من شأنه ان يحكي مظلومية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه أو يفضح أعداءهم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

وحينما وصلت السبايا إلى الكوفة وأدخلت إلى الدعي عبيد الله بن زياد لعنه الله لم أجد بحسب تتبعي في المصادر التي بين يدي لعمر بن سعد لعنه الله أثرا يعتد به، ولعل ذلك يعود إلى ان شخصية عبيد الله بن مرجانة وما وقع في الكوفة من أحداث بينه وبين الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه والسيدة زينب صلوات الله وسلامه عليها قد غطت بأحداثها على شخصية عمر بن سعد.

ثم عاد عمر بن سعد وظهر اسمه من جديد حينما أراد عبيد الله بن مرجانة ان يسير السبايا ورؤوس الشهداء إلى يزيد بن معاوية، فأوكل هذه المهمة لعدة أشخاص كان عمر بن سعد لعنه الله من بينهم، قال القندوزي الحنفي: (ثم ابن زياد دعا الشمر اللعين، وخولي، وشبث بن ربعي، وعمر بن سعد، وضم إليهم ألف فارس، وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس إلى يزيد، وأمرهم أن يشهروهم في كل بلدة يدخلونها، فساروا على ساحل الفرات...)[2].

وروى ابن حاتم العاملي عن سليمان بن مهران الأعمش قوله: (بينا أنا في الطواف أطوف بالبيت وكنا بالموسم إذ رأيت رجلا يدعو ويقول في دعائه: اللهم اغفر لي وأنا أعلم أنك لا تغفر لي قال. فارتعت لذلك، ثم دنوت إلى الرجل فقلت: يا هذا أنت في حرم الله عز وجل وهذه أيام حرم في شهر عظيم، فلم تأيس من المغفرة؟ فقال: يا هذا إن ذنبي عظيم. فقلت: أعظم من تهامة ؟ قال: نعم. قلت

(١) سورة آل عمران الآية ١١٩.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج٣ ص٨٨ السبايا في طريقها إلى الشام.

أعظم من الجبال الرواسي ؟ قال: نعم وإن شئت أخبرتك. فقلت: أخبرني: قال: ...أنا أحد من كان في العسكر المشؤوم عسكر عمر بن سعد حين قتل الحسين «عليه السلام»، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد قبح الله وجهه، وكان السبب في ذلك إنا فارقنا الكوفة وحملناه على طريق الشام فنزلنا على دير النصارى، وكان الرأس معنا مركوز على رمح ومعه الأحراس، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل، وإذا بكف تكتب على حائط الدير:

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

قال: فجزعنا لذلك جزعا شديدا، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت. ثم عاد أصحابي إلى الطعام ليأكلوا فإذا الكف قد عادت تكتب مثل الأول، فقام أصحابنا إليها فغابت، فامتنعت من الطعام وما هنأني أكله. ثم أشرف علينا راهب من الدير فرأى نورا ساطعا من فوق الرأس، فأشرف فرأى عسكرا، فقال الراهب للحرس: من أين جئتم ؟ قالوا: من العراق حاربنا الحسين بن علي. فقال الراهب... لي إليكم حاجة. قالوا: وما هي ؟ قال: قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف دينار ورثتها عن أبي وورثها أبي عن جدي ليأخذها ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل، فإذا رحل رددته إليه. فأخبروا عمر بن سعد بذلك فقال: خذوا منه الدنانير وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل... ثم قال لهم: إني أحتاج أن أكلم رئيسكم بكلمة وأعطيكم الرأس. فدنا عمر بن سعد منه فقال له: سألتك بالله وبحق محمد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس، ولا يخرج هذا الرأس من هذا الصندوق. فقال له: أفعل. ...ومضى عمر بن سعد ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول...فلما نزل عمر بن سعد لعنه الله قال للجارية: علي بالجرابين، فأحضرا بين يديه، فنظر إلى خاتمه، ثم أمر أن يفتحهما فإذا الدنانير قد تحولت خزفاً، فنظروا إلى سكتها فإذا على

جانب مكتوب: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]وعلى الوجه الآخر مكتوب: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2] فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون خسرت الدنيا والآخرة. ثم قال لغلمانه: اطرحوها في النهر، فطرحوها. ودخل دمشق من الغد، وأدخل الرأس إلى يزيد اللعين)[3].

هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة؟

ان من عجيب العصبية والمكابرة توثيق بعض كبار أهل السنة لعمر بن سعد لعنه الله، بل وتعدى البعض إلى مدحه وإضفاء صفات البطولة والشجاعة عليه، كما قال خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام حيث قال: (عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني: أمير، من القادة الشجعان)[4].

وقال عنه العجلي: (عمر بن سعد بن أبي وقاص مدني ثقة كان يروي عن أبيه أحاديث وروى الناس عنه وهو الذي قتل الحسين قلت كان أمير الجيش ولم يباشر قتله)[5].

وقال الذهبي: (عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري. هو في نفسه غير متهم، لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل)[6].

وقال ابن حجر: (عمر بن سعد بن أبي وقاص المدني نزيل الكوفة صدوق

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢٢٧

(٣) الدر النظيم لإبن حاتم العاملي ص ٥٦١ ـ ٥٦٤.

(٤) الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٥ ص ٤٧.

(٥) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٦) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

ولكن مقته الناس لكونه كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي من الثانية)[1].

أما ابن خلكان فقد أضحكني حينما قرأت ترحمه على القاتل والمقتول، وعلى الجاني والمجني عليه، قال: (فخرج الحسين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منها سير إليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وجرى ما جرى)[2].

وقد نقل السيد المرعشي قدس الله روحه عن كتاب تهذيب التهذيب ما نصه: (وعمر ابن سعد بن أبي وقاص الذي قال في تهذيب التهذيب بعد ذكر اسمه ما لفظه: هو تابعي، ثقة ثقة، وهو الذي قتل الحسين، ثم قال سيدنا الشريف محمد بن العقيل العلوي المتقدم ذكره في كتابه المرقوم بعد نقل كلام التهذيب ما لفظه: وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، بخ بخ بخ، يا له من تابعي! ويا لها من عدالة! ويرحم الله القائل:

إن كان هذا نبيا ... فالكلب لا شك ربي)[3]

وقد فاق القاري جميع الحدود ونزع بدفاعه عن عمر بن سعد ثوب الحياء، حيث جعل قتلة أبناء الأنبياء من المجتهدين وأصحاب الرأي فقال موزورا غير مأجور: (إنه لم يباشر لقتله، ولعل حضوره مع العسكر كان بالرأي والاجتهاد، وربما حسن حاله وطاب مآله، ومن الذي سلم من صدور معصية عنه وظهور زلة منه، فلو فتح الباب أشكل الأمر على ذوي الألباب)[4].

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧١٧.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٦ ص٣٥٣.

(٣) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج ١ ص المقدمة ٢٢.

(٤) نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني ج١٥ ص٢٣٧ نقلا عن كتاب المرقاة كتاب الجنائز الفصل الثاني من باب البكاء على الميت ص٣٩١.

ولم أعثر على سبب حقيقي تحمل عليه هذه التوثيقات غير التعصب الأعمى على حساب الحقيقة، وليس عمر بن سعد وتوثيقهم إياه وروايتهم عنه في مسانيدهم، بأعجب من توثيقهم لعبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وعمران بن حطان رأس الخوارج في زمانه والذي جعله البخاري من رجال صحيحه، وقد أخرج العلامة الأميني قدس الله روحه في كتابه العظيم كتاب الغدير ستة عشر موردا تعصب فيه علماء أهل السنة فوثقوا رجالا اشتهر أمرهم وافتضحوا ببغضهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته، وقد اخترنا منهم الآتي:

١ : خالد القسري: قال الذهبي: (خالد بن عبد الله القسري الدمشقي البجلي الأمير. عن أبيه. عن جده، صدوق لكنه ناصبي بغيض، ظلوم. قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي)[1]، وعن فضل بن الزبير: (سمعت القسري يقول في علي ما لا يحل ذكره)[2]، وكان يسمي زمزم بـ (أم الخنافس)[3]، وكان يقول بشأن الكعبة: (والله لو كتب إلي أمير المؤمنين ـ عبد الملك بن مروان ـ، لنقضتها حجرا حجرا)[4]، وقد بنى لأمه كنيسة في داره[5]، ومع كل هذه المصائب فان الذهبي يقول: (قيل لسيار: تروي عن خالد القسري قال: إنه كان أشرف من أن يكذب. وذكره ابن حبان في الثقات)[6].

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦٣٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٤٢٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ص٢٣ خالد بن عبد الله بن يزيد.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص٨٣.

٢ : حريز بن عثمان الرحبي أبو عثمان الحمصي : قال عبد الله بن عدي : (قال أبو اليمان كان حريز يتناول رجلا يعني عليا)[١]، وقال يحيى بن صالح الوحاظي : (أملى علي حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في تنقيص علي بن أبي طالب لا يصلح ذكره حديث معقل منكر جدا لا يروي مثله من يتقي الله. قال الوحاظي فلما حدثني بذلك قمت عنه وتركته)[٢]، وقيل ليحيى بن صالح : (لم لم تكتب عن حريز فقال كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليا سبعين مرة. وقال ابن حبان كان يلعن عليا بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة فقيل له في ذلك فقال هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي)[٣]، وعن (إسماعيل بن عياش قال عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب عليا ويلعنه)[٤] وعن : (إسماعيل بن عياش سمعت حريز بن عثمان يقول هذا الذي يرويه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، حق ولكن أخطأ السامع قلت فما هو فقال إنما هو أنت مني بمنزلة قارون من موسى قلت عمن ترويه قال سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر)[٥]، وعن (يحيى بن المغيرة قال ذكر أن حريزا كان يشتم عليا على المنابر)[٦].

ومع كل هذه الطامات العظام والمخازي الجسام فقد وثقه علماء أهل السنة

---

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ج٢ ص٤٥١ حريز بن عثمان الحمصي الرحبي.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص٢١٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ص٢٠٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ ص٢٦١ ذكر من اسمه حريز.

واخذوا بأحاديثه، قال الرازي: (أحمد بن حنبل قال: ليس بالشام أثبت من حريز إلا أن يكون بحير)[1]، وعن عبد الرحمن قال: (سمعت أبي يقول: حريز بن عثمان حسن الحديث... ولا أعلم بالشام أثبت منه، هو أثبت من صفوان بن عمرو وأبي بكر بن أبي مريم، وهو ثقة متقن)[2]، وقال ابن عدي: (وحريز بن عثمان من الاثبات في الشاميين يحدث عنه الثقات من أهل الشام... وحريز يحدث عن أهل الشام عن الثقات منهم وقد وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم)[3].

وليت ان القوم أنصفوا وتعاملوا مع مبغضي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ومبغضي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بنفس الطريقة التي يتعاملون بها مع مبغضي أبي بكر بن أبي قحافة أو عمر بن الخطاب أو سائر الصحابة، وليتهم تعاملوا مع قتلة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالطريقة التي تعاملوا معها مع قاتل عمر بن الخطاب، أو قتلة عثمان بن عفان، فإنهم وللأسف تناقضوا ولم ينصفوا، ففي الوقت الذي وثقوا مبغضي أهل البيت وقتلتهم، حكموا بالكفر والزندقة على كل من يبغض أبا بكر بن أبي قحافة أو عمر بن الخطاب أو عائشة بنت أبي بكر، فلم يقبلوا له قولاً ولا رواية بل حكموا عليه بالسجن تارة وبالقتل تارة ثانية وبالضرب إلى أن يموت مرة ثالثة، قال عبد الرحمن بن قدامة: (وقال الفريابي: من سب أبا بكر فهو كافر لا يصلى عليه)[4].

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ٢٨٩.

(٢) الجرح والتعديل للرازي ج ٣ ص ٢٨٩.

(٣) الكامل لعبد الله بن عدي ج٢ ص٤٥٣.

(٤) الشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ج ١٠ ص ٦٤.

وقال القاضي عياض: (ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا)[1] ومن دقق النظر والتأمل في كلام القاضي عياض يكتشف بأنهم لم يذكروا في هذه الفقرة اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه مع انه وباعتقادهم أفضل من معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لعنهما الله، وباعتقادنا انه أفضل الخمسة المذكورين في هذه الفقرة، وعلى كلا القولين يكون عدم إدخاله في هذه القاعدة تحيزا واضحا ومقصدا مكشوفا قد ذكرناه قبل قليل.

وقال السبكي: (وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِيمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ: أَمَّا الْقَتْلُ فَأَجْبُنُ عَنْهُ وَلَكِنْ أَضْرِبُهُ ضَرْبًا نَكَالاً... وَقَدْ قَطَعَ طَائِفَةٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ بِقَتْلِ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَكُفْرِ الرَّافِضَةِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ وَسُئِلَ عَنْ مَنْ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: كَافِرٌ، قِيلَ: يُصَلَّى عَلَيْهِ، قَالَ: لا)[2].

وقد قسم الذهبي البدعة إلى قسمين، بدعة صغرى وبدعة كبرى، وبين الكبرى بقوله: (ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة)[3].

فانظر بعين الإنصاف لترى كيف ان القوم قد حكموا بوثاقة من أبغض الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وكان يسبه ويلعنه ليلا ونهارا وقائما وقاعدا، وحكموا

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ٢ ص ٣٠٨.

(٢) فتاوى السبكي فصل سب النبي ج٥ ص٤٥.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٥ ـ ٦.

على من يمس أبا بكر وعمر بعدم الاحتجاج بروايته وأقواله، مع ان النص النبوي جاء صريحا في المنع عن سب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والمساس بشخصه المقدس وان من سب عليا فقد سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل قد سب الله سبحانه وتعالى، ولم يأتِ مثله فيمن مس أبا بكر وعمر، فعن أحمد بن حنبل عن(عبد الله الجدلي قال دخلت على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم قلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني)[1].

وقد علق الهيثمي على هذا الحديث بقوله: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة. وعن أبي عبد الله الجدلي قال قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم قلت أنى يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أليس يسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه. رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عبد الله وهو ثقة. وروى الطبراني بعده بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثله)[2].

فيتبين لنا جليا بعد كل ما سبق، ان توثيق عمر بن سعد لعنه الله من قبل علماء أهل السنة، قد جاء ضمن مؤامرة كبيرة كانت ولا تزال قائمة، الهدف منها أوضح من قرص الشمس في رابعة النهار، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن قبله أبوه أمير المؤمنين وأخوه الإمام الحسن وأمه السيدة العظيمة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد قتلوا مرتين، فالأولى كانت بسيوف وأيدي قاتليهم، والقتلة الثانية على أيدي هؤلاء

(١) مسند احمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٢٣.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٣٠.

المؤرخين الذين وثقوا قتلتهم وأثنوا على من اهتضمهم، ولم يساووهم ببقية الصحابة مع أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خيرتهم وسادتهم وأفضل أهل الأرض بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو كان عمر بن سعد لعنه الله قد قتل أبا بكر أو عمر بن الخطاب لما كانوا وثقوه، ولكانوا أخرجوه عن حظيرة الإسلام وسلك الآدميين ولرموه بكل تهمة عظيمة ووصف مهين ولقالوا عنه زنديق أثيم، وخارجي بغيض ولصيروه من الجهمية أو القدرية، ولأفتوا بعدم دفنه والصلاة عليه ولبنوا له بيوتا في النار، وصبوا على رأسه من الجحيم، وسقوه من الحميم، فانا لله وإنا إليه راجعون.

عمر بن سعد يلاقي مصيره على يد المختار

لقد عاش عمر بن سعد أشد حالات الخيبة والذلة بعد قتله للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته في كربلاء، لأنه لم يبق لنفسه دنيا ولا آخرة، فآخرته قد ضاعت لقتله ريحانة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ودنياه قد تحطمت لان يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد لعنهما الله لم يفيا له بولاية الري التي من اجلها اهلك نفسه، ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾[1]، فبقي في الكوفة منبوذا مهانا لا يجتمع الناس معه في مكان واحد، ويسبه كل من يراه، فترك الخروج وأصبح حبيس ذنبه وبيته، قال السيد المرعشي: (ثم قام عمر بن سعد لعنه الله عند ابن زياد يريد منزلته التي وعده بها فلم يف له فخرج من عنده وهو يقول ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وأغضبت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة وكان كلما مر على ملأ من الناس أعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٥٦.

وكل من رآه سبه فلزم بيته إلى أن قتل عليه غضب الله)[1].

وبقي عمر بن سعد على حالته هذه من الذلة والمهانة والاحتقار إلى سنة ست وستين، حين تولى المختار السيطرة على الكوفة ومن حولها، فطلب كل من شارك بقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقتل منهم كل من وصلت إليه يده، وكان عمر ابن سعد من بين هؤلاء الأرجاس الذين طالتهم يد العدالة والقصاص، قال ابن الأثير: (وكان المختار قد خرج يطلب بثار الحسين بن علي رضي الله عنهما واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة فغلب عليها وطلب قتلة الحسين فقتلهم قتل شمر بن ذي الجوشن الضبابي وخولى بن زيد الأصبحي وهو الذي أخذ رأس الحسين ثم حمله إلى الكوفة وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وهو كان أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وقتل ابنه حفصا وقتل عبيد الله بن زياد)[2].

وقال خليفة بن خياط العصفري: (وفي سنة ست وستين... غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة...وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص بن عمر بن سعد)[3].

وقال ابن قتيبة: (فلما كان أيام المختار بن أبي عبيد بعث إلى عمر بن سعد أباه عمرة مولى بجيلة فقتله وحمل رأسه إليه وعنده حفص بن عمر بن سعد فقال له المختار أتعرف هذا الرأس قال نعم هذا رأس أبي حفص قال المختار فألحقوا حفصا بأبي حفص)[4].

---

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج ٣٣ ص ٦٤٦ ـ ٦٤٧.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٣٣٦.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط العصفري ص ٢٠٢.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وقال محمد بن سعد: (سار المختار بأصحابه إلى منزل عمر بن سعد فقتله في داره وقتل ابنه أسوأ قتلة)[1].

وروى الدينوري قصة أخرى لمقتل عمر بن سعد لعنه الله فقال: (وبلغ المختار أن شبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشراف أهل الكوفة، فأرسل في طلبهم رجلا من خاصته يسمى أبا القلوص الشبامي في جريدة خيل، فلحقهم بناحية المذار، فواقعوه، وقاتلوه ساعة، ثم انهزموا، ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقون. فأتي به المختار، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك، يا كيسان، اضرب عنقه. فضرب عنقه)[2].

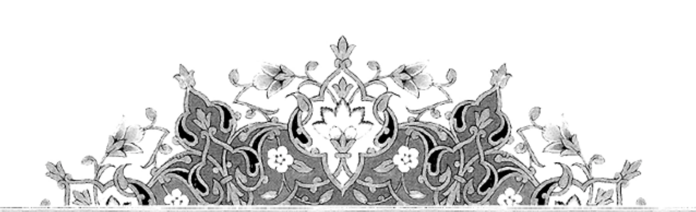
ورواية مقتله في بيته وعلى فراشه أصح وأكثر اعتبارا من حيث ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دعا عليه في يوم عاشوراء بقوله: (ما لك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك بعدي من يقتلك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[3]، فلعنه الله يوم ولد ويوم مات ويوم يغل إلى جهنم وبئس المصير.

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ١٤٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٣٠١.

(٣) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٥ ص ١١٤.



وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: بيان المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثالث: شمر بن ذي الجوشن أموي الهوى خارجي الفعل

الملامح الشخصية لشمر بن ذي الجوشن لعنه الله

تخذيل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام

بعض جرائم الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في يوم عاشوراء

أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟

هل اشترك الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في معركة صفين؟

هل كان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله شجاعا؟

هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته؟

هل اشترك أهل الشام في حرب عاشوراء؟

هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟

نهاية الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفي

وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً

وفي هذه الفقرة من الزيارة كغيرها من الفقرات معانٍ جليلة نذكرها فيما يأتي من الكلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

دخول الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في زمرة الملعونين المبعدين عن الرحمة الإلهية يكاد يكون بديهيا، ولم أجد أحدا من أتباع الفرقة الناجية الاثني عشرية يشكك في ذلك، بل وغيرهم إلا من أعمى الحقد بصيرته، إضافة إلى دخوله ضمن اللعن بعناوين متعددة بتعدد أفعاله الشائنة التي صدرت منه، فهو ملعون بعنوان كونه القاتل والذابح للسبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، وهو ملعون بعنوان دخوله اليقيني في الأمة التي قتلتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأمة التي شايعت وتابعت ووالت أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وداخل تحت عنوان الناصبي بل هو من أعظم النواصب، وداخل تحت عنوان المؤذي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذي قد ثبت في بحوث سابقة بأن من آذاهم ملعون، وداخل في غير ذلك من العناوين، مما يطول ذكرها ويعد الدخول فيها تحصيلا للحاصل.

إلا أننا والتزاما منا بمنهجية البحث، نذكر فيما يأتي جملة من الموارد التي صرح فيها بلعنه بعنوانه المباشر لقتل وذبح سيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه، ومن هذه الموارد ما يأتي:

قال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (ويستحب زيارة أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام ... بعد أن يغتسل ويعلو سطح داره أو في مفازة من الأرض ويومي إليه بالسلام ويقول: السلام عليك يا مولاي وسيدي وابن سيدي، السلام عليك يا مولاي وابن مولاي يا قتيل ابن القتيل... السلام عليك يا وراث آدم صفوة الله، ووارث نوح نبي الله ووارث إبراهيم خليل الله، ووارث موسى كليم الله، ووارث عيسى روح الله، ووارث محمد حبيب الله ونبيه ورسوله، ووارث علي أمير المؤمنين ووصي رسول الله وخليفته، ووارث الحسن بن علي وصي أمير المؤمنين، لعن الله قاتلك وجدد عليهم العذاب في هذه الساعة وفي كل ساعة)[1].

ونقل الشيخ قدس الله روحه أيضا زيارة أخرى جاء فيها: (فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به...وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى وشرى آخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى في هواه وأسخطك وأسخط نبيك وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين للنار فجاهدهم فيك صابرا محتسبا، حتى سفك في طاعتك دمه واستبيح حريمه، اللهم فالعنهم لعنا وبيلا وعذبهم عذابا أليما...السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات، اللهم إني أشهد أنه وليك وابن وليك وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك)[2].

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩.

وفي كامل الزيارات: (عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما أقول إذا أتيت قبر الحسين «عليه السلام»، قال: قل: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله من ذلك بريء)[1].

وعن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (تقول إذا أتيت إلى قبره: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله...وأشهد أن قاتلك في النار، أدين الله بالبراءة ممن قتلك، وممن قاتلك و شايع عليك، وممن جمع عليك، وممن سمع صوتك ولم يعنك، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما)[2].

المبحث الثاني: بيان المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللّهُ

سبق وتم توضيح هذه الفقرة عدة مرات فمن أراد فليرجع إلى الفقرات السابقة ليعرف المعنى الدقيق لهذه العبارة الشريفة.

٢: شِمْراً

اتفقت كلمة المؤرخين على أن اسمه هو «شِمْر» وانه كان يكنى بأبي السابغة الضبابي، ولكنهم اختلفوا في اسم أبيه وبقية آبائه، قال ابن سعد في الطبقات وهو

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٧٤.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٨٢ ـ ٣٨٣.

يتحدث عن أبيه:

(ذو الجوشن الضبابي قال: قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي اسمه شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكان شمر يكنى أبا السابغة)[1].

ويقال إن أباه كان صحابيا وهو لعنه الله من التابعين، وبهذا صرح ابن عساكر في تاريخ دمشق حيث قال: (شمر بن ذي الجوشن واسم ذي الجوشن شرحبيل ويقال عثمان بن نوفل ويقال أوس بن الأعور أبو السابغة العامري ثم الضبابي حي من بني كلاب كانت لأبيه صحبة وهو تابعي)[2].

وقال في موضع آخر: (ذو الجوشن الكلابي ثم الضبابي واسمه أوس بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب يعني ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وولد عمرو بن معاوية يقال لهم الضباب لأن أحد عمرو بن معاوية يقال له ضب فنسبوا إلى ذلك)[3].

وقال أيضا: (قال عبد الله بن المبارك عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال ذو الجوشن اسمه شرحبيل وإنما سمي ذو الجوشن من أجل أن صدره كان ناتئا)[4].

ومهما اختلفت الأسماء فان المراد من عبارة الزيارة شخص واحد معروف ومشهور، لعنه الله واخزاه واعد له نار جهنم خالدا فيها أبدا.

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٤٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٢٣ ص١٨٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٣ ص١٨٩.

(٤) المصدر السابق.

المبحث الثالث: شمر بن ذي الجوشن أموي الهوى خارجي الفعل

اقترن اسم الشمر لعنه الله بيوم عاشوراء، حيث يكفي في سماع اسمه المشؤوم، أن يتبادر إلى الذهن ذبحه للإمام السبط الشهيد صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فكانت أفعاله الدنيئة يوم العاشر من المحرم هي التي شكلت صورته المقززة القبيحة في نفوس الناس، لذلك لم يعرف الكثير من الناس ان لشمر بن ذي الجوشن موبقات سبقت يوم العاشر من المحرم، وان له جذوراً قديمة شاهدة على انحرافه، ودالة على نصبه العداء لأهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وانه ليس كما يتصور البعض مجهولا ظهر وخرج يوم العاشر من المحرم كما يخرج المارد من قمقمه، وفيما يأتي جملة من أخباره وأفعاله المبينة لحاله وأهدافه وميوله.

الملامح الشخصية لشمر بن ذي الجوشن لعنه الله

مثلما كان يوم عاشوراء يوم ملحمة وصولة للحق على الباطل، كذلك كان هذا اليوم يوم انكشاف الحقائق وسقوط الأقنعة من على وجوه المنافقين والكاذبين والمتسربلين بثوب الإسلام، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي كان من أولئك الذين سقط قناع نفاقه وبانت حقيقة أصله ومستواه الفكري والعقائدي الضحل، ومن أمعن النظر في أخبار يوم العاشر من المحرم، ولا سيما الساعات القلائل التي سبقت نشوب الحرب وبدء القتال، وحينما كان الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وأصحابه يكلمون الناس ويخطبون بالجيش الكافر، رجاء ردعهم واستنقاذ من يمكن استنقاذه منهم، نرى بأن الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وأصحابه قد وصفوا الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله بأوصاف لا تقال إلا للأراذل من الناس، بل قد صُرح في بعض تلك المقولات وصفه بالبهيمة، والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان الشمر بن ذي الجوشن لعنه

الله لم يكن ينكر ما يطلق عليه من أوصاف، ولم يتصدّ غيره من أفراد جيشه بالرد والدفاع عنه، مما يعني ان لتلك الأوصاف والأقوال حقيقة وشهرة في ذلك الوقت، لا يمكن دفعها أو الرد عليها، وفيما يأتي جملة من تلك الأوصاف والنعوت التي أطلقها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه عليه لعنه الله.

١: ابن راعية المعزى

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: (وأقبل القوم يجولون حول بيوت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن عليه اللعنة بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت النار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن فقالوا له: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صليا)[(١)].

وقال الطبري: (فحدثني عبد الله بن عاصم قال حدثني الضحاك المشرقي قال لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة فلم يكلمنا حتى مر على أبياتنا فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطبا تلتهب النار فيه فرجع راجعا فنادى بأعلى صوته يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة فقال الحسين من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن فقالوا نعم أصلحك الله هو هو فقال يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صليا)[(٢)].

وسبب تسميته بابن راعية المعزى قد أوضحه الشيخ علي النمازي الشاهرودي

(١) الارشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٩٦ صباح عاشوراء والتعبئة للحرب.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

بقوله: (وعن كتاب المثالب لهشام بن محمد الكليني: إن امرأة ذي الجوشن خرجت من جبانة السبيع إلى جبانة كندة، فعطشت في طريق ولاقت راعيا يرعى الغنم فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلا بالإصابة منها. فمكنته فواقعها الراعي فحملت بشمر. انتهى. قول مولانا الحسين عليه السلام لشمر يوم عاشوراء: يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صليا)[1].

٢: هو ابن البوال على عقبيه، الجلف الجافي، والبهيمة، الذي لا يحكم من كتاب الله آيتين

قال الطبري وابن كثير وابن الأثير مع اختلاف بسيط في بعض عباراتهم: (وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية، عبيد الله بن زياد...قال ـ الراوي ـ: فسبوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له، وقالوا: لا ننزع حتى نقتل صاحبك ومن معه. فقال لهم: إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن أنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم... قال ـ الراوي ـ: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال له: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب؟ إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر

(١) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٤ ص ٢٢٠، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج٦ ص٤٤ أحوال الشمر بن ذي الجوشن لعنة الله عليه.

بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة، فقال له زهير: أبالموت تخوفني ؟ فوالله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم. ثم إن زهيرا أقبل على الناس رافعا صوته يقول: عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قوم أهرقوا دماء ذريته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم)[1].

٣: انه الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين

قال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه فإن الفاسق من عظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه. فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم)[2].

وقال الطبري: (فقال له مسلم بن عوسجة يا ابن رسول الله جعلت فداك ألا أرميه بسهم فإنه قد أمكنني وليس يسقط سهم فالفاسق من أعظم الجبارين فقال له الحسين لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم)[3].

٤: انه كلب أبقع يلغ في دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته

قال ابن نما الحلي قدس الله روحه: (ثم جاء آخر فقال أين الحسين فقال ها انا ذا قال أبشر بالنار قال ابشر برب رحيم وشفيع مطاع من أنت قال أنا شمر بن ذي الجوشن قال الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: الله أكبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت كأنّ

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤، البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٤ ـ ١٩٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص٦٣ ـ ٦٤.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٩٦.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٢.

كلبا أبقع يلغ دماء أهل بيتي وقال الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: رأيت كأنّ كلابا تنهشني وكأنّ فيها كلبا أبقع كان أشدهم عليّ وهو أنت وكان أبرص)[1].

وقال الصفدي: (وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في نومه كأن كلبا أبقع ولغ في دمه فلما قتل الحسين وكان شمر بن ذي الجوشن به وضح تفسرت رؤياه)[2].

وقال ابن خلكان: (قيل لجعفر بن محمد يعني الصادق كم تتأخر الرؤيا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة)[3].

٥: انه مطبوع على قلبه، لم يكن يفهم شيئا مما يقوله الإمام صلوات الله وسلامه عليه

قال ابن نما الحلي قدس الله روحه: (ومد عمر بن سعد بالعساكر حتى تكملت العدة لست خلون من المحرم عشرين ألفا وضيق على الحسين وأصحابه قام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فاتكا على سيفه ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد أيها الناس انسبوني وانظروا من انا ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها هل يحل لكم سفك دمي وانتهاك حرمتي الست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه وابن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم...هل تطالبوني بقتيل قتلته أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراحة فسكتوا فقال شمر بن ذي الجوشن هو يعبد الله على حرف إن كان يعرف شيئا مما يقول فقال حبيب بن

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٤٨.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٢ ص ٢٦٦.

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ٧ ص ٦٨، وقريب منه ما في السيرة الحلبية ج١ ص٣٨٠.

مظاهر: إني أراك تعبد الله على ألف حرف وإنّي أشهد انك لا تعرف شيئا مما يقول إن الله قد طبع على قلبك)[1].

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك)[2].

وقال ابن كثير: (فقال عند ذلك شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف: إن كنت أدري ما يقول؟ فقال له حبيب بن مظاهر: والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفا، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول: وإنه قد طبع على قلبك)[3].

تخذيل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه

أغلب من تورط في دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء، كان قد تورط قبل ذلك في دم ابن عمه مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، وكان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله من هؤلاء الذين تورطوا وشاركوا مشاركة فاعلة في تخذيل الناس عن نصرة مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه الأمر الذي أدى إلى تركه وحيدا ثم القبض عليه من قبل أنصار ابن مرجانة لعنهم الله ثم استشهاده رضوان الله تعالى عليه، والمصادر التاريخية قد نقلت مجموعة كبيرة من الأحداث التي رافقت وجود مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه في الكوفة، والتي كان للشمر لعنه الله دور فاعل فيها، وفيما يأتي جملة من تلك النصوص المنقولة.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٩٧ ـ ٩٨.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٩٤.

١ : قال ابن الأثير: (فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم لقلة عدد من معه. وخرج أولئك النفر يخذلون النفر وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل الطاعة ففعلوا فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلا)[1].

٢ : وقال الطبري: (ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشا إليهم لقلة عدد من معه من الناس)[2].

٣ : وقال الدينوري في الاخبار الطوال: (وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كل رجل منكم في ناحية من السور، فخوفوا القوم.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٣١.

(٢) تاريخ الطبري ج٤ ص٢٧٦.

فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم. فلما سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور)[1].

بعض جرائم الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في يوم عاشوراء

لم يترك الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله موبقة يوم عاشوراء إلا واتاها، ويندر أن ترى موقفا من مواقف يوم عاشوراء ليس للشمر فيه أثر، فكم من غصة قد تجرعها الإمام الحسين وأصحابه وأطفاله وحرمه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على يد هذا الآثم، وكم من دمعة قد أراقها هذا الخائن، فهو من جيّش جيوش الكفر التي توافرت على قتل سبط النبي صلى الله وسلامه عليه، وهو الذي ارتقى صدره وحز نحره وأيتم عياله وحرق وسلب ونكل وسبى وضرب حتى أدمى عيال الإمام وحرمه، وجرائم هذا المسخ البشري في يوم عاشوراء وما بعده وان كانت لا تحصيها الكتب ولا تصفها الأقلام لكثرتها وبشاعتها، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وفيما يأتي جملة من مخازي أحواله، وموبقات أفعاله، وما سنغض الطرف عنه أكثر وأكثر.

١: كان الشمر لعنه الله أول من التحق بجيش عمر بن سعد لعنه الله

قال العلامة المجلسي قدس الله روحه: (ثم جمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة، ثم خرج فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٣٩.

تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسنا إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده، يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال، ويكرمهم، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا. ثم نزل عن المنبر ووفر الناس العطاء وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام، ويكونوا عونا لابن سعد على حربه، فأول من خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف، فصار ابن سعد في تسعة آلاف)[١].

٢: كان لعنه الله على ميسرة جيش عمر بن سعد لعنه الله

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت، فعبأ أصحابه وخرج فيمن معه من الناس نحو الحسين عليه السلام وكان على ميمنته عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية دريدا مولاه)[٢].

وقال ابن الأثير: (وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس الأحمسي وعلى الرجال شبث بن ربعي اليربوعي التميمي وأعطى الراية دريدا مولاه)[٣].

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٤ ص٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٦٠.

٣: لماذا كان الشمر يتعمد تكرار الإغارة على خيام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟

من يتابع تصرفات الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله يوم العاشر من المحرم يجده يتعمد ولعدة مرات في الإغارة والهجوم على فسطاط الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وخيامه، منها ما رواه ابن كثير بقوله: (وجاء شمر بن ذي الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمحه وقال: إيتوني بالنار لأحرقه على من فيه، فصاحت النسوة وخرجن منه، فقال له الحسين: أحرقك الله بالنار)[1].

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (واشتد القتال بينهم ساعة، وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه، فحمل عليهم زهير بن القين رحمه الله في عشرة رجال من أصحاب الحسين فكشفهم عن البيوت[2]، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن فقتل من القوم ورد الباقين إلى مواضعهم)[3].

وهذا التعرض المستمر لخيام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمه من قبل شمر ابن ذي الجوشن قد يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

الأول: هو حقد هذا المسخ البشري على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع من ينتمي إليهم أطفالا ونساءً، مرضاهم واصحاءهم، شيوخهم وشبابهم، وهذا الحقد والنصب هو الذي يحدو به إلى محاولة الانتقام والتشفي منهم ولو بحرق بيوتهم عليهم أو بطعن جدار الخيمة بالرمح عسى أن يقع السنان في احد أفراد أهل هذا البيت الطاهر بغض النظر عن احتمال أن يكون هذا المطعون طفلاً أو امرأة.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) ومن هذه العبارة يفهم ان هجوم الشمر لعنه الله كان على بيوت الإمام صلوات الله وسلامه عليه مما حدا بزهير ابن القين رضوان الله تعالى عليه أن يستدعي عشرة من الأصحاب ليكشف الشمر وأصحابه عن بيوت الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

والسبب الثاني: يعود إلى التركيبة النفسية لهذا الموجود الجبان، لان الشمر كان جبان النفس مهزوز الجنان لا يقدر على المواجهة بمفرده، ولم يشاهد له نزال منفرد لبطل من أبطال الطف، وهذا الجبن هو الذي كان يحدو به إلى تجنب النزال والمواجهة مع الرجال واستقصاده للخيام وتعمد إرعاب الأطفال والنساء، لان الأطفال والنساء لا قدرة لهم على الدفاع عن أنفسهم، والذود عن أرواحهم، لذلك يتعمد هذا الجبان تكرار الاعتداء عليهم.

والسبب الثالث: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كان في أثناء حملاته على ذلك الجيش الكافر يبدد جمعهم ويقلب صفوفهم، وقد وصف المؤرخون صولاته وحملاته بوصف يبهر العقول، قال الطبري: (إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب)[1].

وقال الذهبي: (يقاتل قتال الفارس الشجاع، إن كان ليشد عليهم، فينكشفون عنه انكشاف المعزى شد فيها الأسد)[2].

فلكي يوقف قادة الجيش الكافر تلك الحملات الشجاعة من قبل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وتلافيا منهم للخسائر الجسيمة التي كانت توقعها تلك الحملات الحسينية، كانوا لعنهم الله يتعمدون التحرش والاعتداء على حرم الإمام صلوات الله وسلامه عليه وخيامه، ليجبروه على إيقاف تلك الهجمات والرجوع مرة ثانية إلى مركزه، لمعرفتهم بعظيم غيرة وحمية سيد الشهداء على نسائه وحرمه وخيامه، وبذلك تعيد تشكيلات الجيش الكافر لململة جراحاتها وتجميع صفوفها مرة ثانية.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٣٠٢.

٤: بقاء الإمام الحسين وحيدا وتحريض الشمر لَعَنَهُ اللهُ للناس على قتله

ان من أشد وأعظم رزايا عاشوراء هي تلك اللحظات الأخيرة التي بقي فيها سيد الشهداء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وحيدا بين جيش كالبحر يحيط به وبعياله وحرمه وأطفاله من كل جانب، لا ناصر ينصره، ولا ذاب يذب عنه وعن حرمه، الذين هم حرم رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وثقله الذي أوصى الأمة بحفظه، ورعايته وصيانته، وهو في كرب عظيم وهم شديد، ان وقف ليستريح بادروا يرمونه بالسهام تارة، وبالرماح أخرى، وبالحجارة تارة ثالثة، فإن قاتلهم وأثخن فيهم القتل والجراح حملوا على عياله وخيامه وقتلوا أطفاله، أو أضرموا النار في بعض أطناب خيامه، كي يجبروه على ترك صولاته والرجوع إلى مركزه، وان عاد إلى حرمه سمع أصوات البكاء من امرأة فقدت زوجها، أو من أم فقدت ابنها، أو طفلة وطفل تيبست شفاههم وخمدت قواهم من العطش حتى صار لا يستطيع الحراك، ولا يملك حيلة غير بقايا أنين وصرخات وتأوهات يوصلها إلى أسماع الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الذي كان أملهم المتبقي وفرصتهم الوحيدة للنجاة، وهو صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يستعين بالله على هذه الخطوب الجسيمة والرزايا العظيمة ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

وحينما لم يستطع القوم مواجهة البطل وجها لوجه، أمروا لَعَنَهُمُ اللهُ برشقه بالسهام، فانهالت عليه أربعة آلاف نبلة كأنها زخات المطر، فعلقت في جسده الشريف حتى صارت السهام على جسده كشوك القنفذ، فامتلأت أعضاء بدنه الشريف بالجراحات[1]، قال الشيخ الطبرسي قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ: (قال حميد بن مسلم: فوالله

(١) قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٥٨: (وجعل يقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون هذا ابن ←

ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذئب. فلما رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن أمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسهام حتى صار كالقنفذ)[1].

فلما أثخنته الجراح، وفتت كبده العطش، وأخذه نزيف الدم من رأسه، ومن قلبه الذي أصيب بسهم له ثلاث شعب، أخرج جزءاً من فؤاده صلوات الله وسلامه عليه، فضعف عن القتال، و(طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته طعنة فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن)[2]، حينئذ نادى شمر بأصحابه لعنهم الله أن يحملوا عليه من كل جانب، قال ابن كثير: (حتى نادى شمر بن ذي الجوشن: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقع)[3]، وقال الصفدي: (وبقي الحسين رضي الله عنه فريدا وقد قتل جميع

الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب. فحملوا بالطعن مائة وثمانين وأربعة آلاف بالسهام. قال الطبري: قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام قال: وجدنا بالحسين ثلاثا وثلاثين طعنة وأربعا وثلاثين ضربة. وقال الباقر عليه السلام: وجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم. وروي ثلاثمائة وستون جراحة. وقيل ثلاثا وثلاثين ضربة سوى السهام. وقيل الف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ).

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ج١ ص٤٦٨ - ٤٦٩.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص٧٣ مقتل الحسين.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٢٠٤.

من كانوا معه من المقاتلة أهله وغيرهم فلم يجسر أحد أن يتقدم إليه حتى حرضهم شمر بن ذي الجوشن فتقدم إليه من طعنه ومن ضربه بالسيف حتى صرع عن جواده ثم حز رأسه)[١].

قال المجلسي قدس الله روحه: (وأقبل عدو الله سنان الإيادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون ؟ أريحوا الرجل، فنزل سنان بن الأنس الإيادي وأخذ بلحية الحسين وجعل يضرب بالسيف في حلقه)[٢].

٥: الشمر لعنه الله يقطع رأس الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

قد اختلفت الروايات التاريخية في تعيين الشخص الذي باشر قطع الرأس الشريف للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فالروايات التاريخية مترددة ما بين أن يكون الفاعل لهذه الجريمة الشنعاء والمصيبة النكراء هو سنان بن انس النخعي أو الإيادي لعنه الله، أو الشمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله، وان كان الصحيح كما يقول الصفدي ان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله هو الذي تولى هذه المصيبة العظيمة، قال الصفدي: (شمر بن ذي الجوشن أبو السابغة العامري ثم الضبابي حي من بني كلاب...وهو الذي احتز رأس الحسين على الصحيح... قال خليفة العصفري الذي ولي قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن)[٣].

ونقل السيد المقرم عن مقتل الخوارزمي: (ثم صاح ابن سعد بالناس: انزلوا

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ج١٢ ص٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٤ ص٣٢٢.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٦ ص ١٠٥.

إليه وأريحوه، فبدر إليه شمر فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض على شيبته المقدسة وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة واحتز رأسه المقدس)[1].

ولعل الاختلاف فيمن احتز الرأس الشريف، جاء نتيجة اشتراك أكثر من شخص في هذا الفعل الفظيع، فكل واحد من هؤلاء الأرجاس أدى جزءاً من المهمة، لذلك جمع ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب بين كل من سنان بن انس وشمر بن ذي الجوشن لعنهما الله في مسألة قطع الرأس الشريف: (واحتز رأسه سنان بن أنس النخعي، وشمر بن ذي الجوشن. وسلب جميع ما كان عليه إسحاق بن حياة الحضرمي...)[2]وان كنا نعتقد بان المهمة الأخيرة قام بها الشمر لعنه الله.

وفي رواية ان الشمر لعنه الله: (جعل يحتز مذبح الحسين «عليه السلام» بسيفه، فلم يقطع شيئا. فقال الحسين «عليه السلام»: يا ويلك أتظن أن سيفك يقطع موضعا طالما قبله رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكبه على وجهه، وجعل يقطع أوداجه، وكان كلما قطع منه عضوا، أو عرقا، أو مفصلا نادى: وا جداه، وا أبا القاسماه، وا علياه، وا حمزتاه، وا جعفراه، وا عقيلاه، وا غربتاه، وا قلة ناصراه)[3] ونحن وان لم نعثر على الرواية في غير هذا المصدر المنوه إليه في الهامش إلا ان ذلك ليس ببعيد، ولعل هذا الشيء هو الذي حدا باللعين إلى أن يضرب رقبة الإمام صلوات الله وسلامه عليه اثنتي عشرة ضربة، كما مر قبل قليل.

(١) مقتل الحسين للعلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢٣١.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام للجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص٦١٩.

وفـــر إلى نحـــو الخيـــام جـــواده ففرت بنات الوحي ينظرن ما جرى
فأبـصرن شمـرا جالـسا فـوق صـدره وقـد كـان للتوحيـد لوحـا ومـصدرا
ويفــري بحــد الــسيف أوداج نحــره فــشلت يــداه أي نحــر بــه فــرى
وشـــال علـــى رأس الـــسنان كريمـــه كمثـــل هـــلال فيـــه قـــد لاح نـــيرا
فزلزلـت الأرضـون واحمـرت الـسما عليـه ولـون الـشمس حزنـا تغـيرا
وأعظــم مــا رج العــوالم والهــدى وزلــزل قلــب الــدين حتــى تفطــرا
وقوف بنات الـوحي في مجلـس حـوى لكـــل دعـــي راح يبـــدي التجـــبرا

٦: الشمر لعنه الله يأمر بقتل النساء ويباشر قتل الأسرى

كلمة المسلمين تكاد تكون مجمعة على عدم جواز قتل المرأة الكافرة حين نشوب الحرب حتى لو قاتلت إلا للضرورة القصوى، كما قال القاضي ابن البراج في المهذب: (ولا يجوز قتل النساء وإن قاتلن مع أهلهن)[1]، او كما نقل محيي الدين النووي في المجموع: (ونقل ابن بطال أنه اتفق الجميع على المنع من القصد إلى قتل النساء والولدان، ولا يوجب القتال على الصبي والأعمى والأعرج ولا على من لا يجد القوة عليه مالا أو جسدا)[2] ولهذا الحكم أدلة شرعية، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه سئل: (عن نساء اليهود والنصارى والمجوس، كيف سقطت عنهن الجزية ورفعت؟ قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان في الحرب إلا أن تقاتل، ثم قال: وإن قاتلت فأمسك عنها ما أمكنك)[3]، كذلك أخرج البخاري: (ان امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى

(١) المهذب للقاضي ابن البراج ج ١ ص ٣٠٣.
(٢) المجموع لمحيى الدين النووي ج ١٩ ص ٢٧٣.
(٣) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ٢ ص ٣٢٧.

الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان)[1].

فإذا كانت هذه معاملة الإسلام مع نساء الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، فمن أين استحل الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله وغيره من الممسوخين لعنهم الله قتل النساء والأطفال والمرضى في يوم عاشوراء الرهيب، وجواب هذا التساؤل بسيط للغاية فالشمر بن ذي الجوشن وأمثاله لعنهم الله لم يكونوا من أهل الإسلام أصلا، كما سيأتي في جواب نافع بن هلال له بعد أسره وقبل قتله.

قال الطبري: (وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول هنيئا لك الجنة فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها)[2].

وقال الطبري وغيره من المؤرخين وبألفاظ متقاربة: (وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول أنا الجملي أنا على دين علي فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح قال فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا قال فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعا حتى أوتي به عمر بن سعد فقال له عمر بن سعد ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك قال إن ربي يعلم ما أردت قال والدماء تسيل على لحيته وهو يقول والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني فقال له شمر اقتله أصلحك الله قال أنت جئت به فإن شئت فاقتله قال فانتضى شمر سيفه فقال له نافع

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

أما والله ان لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه فقتله)[1].

٧: الشمر لعنه الله يأمر بقتل الإمام السجاد ويسوق رؤوس الشهداء إلى الكوفة ثم الشام

قال محمد بن سعد في الطبقات: (وكان علي بن حسين مع أبيه وهو بن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضا نائما على فراشه فلما قتل الحسين عليه السلام قال شمر ابن ذي الجوشن اقتلوا هذا فقال له رجل من أصحابه سبحان الله أنقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل)[2].

وقال ابن عبد البر في التمهيد: (وإنما لم يقاتل علي بن حسين هذا يومئذ مع أبيه لأنه كان مريضا على فراش لا أنه كان صغيرا قال أبو عمر روى أهل العلم بالأخبار والسير أنه كان يومئذ مريضا مضطجعا على فراش فلما قتل الحسين قال شمر بن ذي الجوشن اقتلوا هذا فقال له رجل من أصحابه سبحان الله أنقتل حدثا مريضا لم يقاتل)[3].

ومع ان الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه قد سلم من القتل بفضل الله سبحانه وتعالى وحكمته، إلا انه صلوات الله وسلامه عليه لم يسلم هو وإخوته وأخواته وعماته من الأسر والضرب المبرح والسبي وغل اليدين والرجلين بالحديد، وهم يشاهدون بأعينهم كيف ان رؤوس أهليهم وأنصارهم تقطع واحدا بعد الآخر وتوضع على رؤوس الرماح وتحمل وإياهم إلى الكوفة حيث ينتظر الدعي عبيد الله بن مرجانة لعنه الله، ثم

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٧٢، البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٢٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٢١١ ـ ٢١٢.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ج ٩ ص ١٥٧.

إلى الشام حيث كان يزيد يعد العدة للتحضير إلى اكبر وأضخم احتفال عرفته آل أمية والشام.

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وسرح عمر بن سعد من يومه ذلك ـ وهو يوم عاشوراء ـ برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت[1]، وكانت اثنين وسبعين رأسا، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد)[2].

ثم أرسل يزيد بن معاوية لعنهما الله إلى ابن مرجانة لعنه الله أمره بان يرسل إليه السبايا والرؤوس ليحتفل ويستعرض انتصاراته في الشام، قال ابن الأثير: (ثم جاء البريد بأمر يزيد بإرسالهم إليه، فدعا ابن زياد محفر بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس)[3].

واخذ ثقل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يهدى من دعي إلى عتل زنيم، ومن ظالم إلى اظلم، وهم على اشد حالات الجهد، وأعظم مراتب العناء، قال الطبري: (ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش ومع شمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحدا منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال هذا

---

(١) في بعض المصادر (فقطفت) بدل (فنظفت) وفي بعض المصادر الأخرى (فقطعت) ولعل الأصل (فقطعت) ولكنها صحفت.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٨٤.

محفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة قال فأجابه يزيد بن معاوية ما ولدت أم محفز شر وألأم)[1] وفي روايات علماء المذهب الحق إن من أجاب على محفز بن ثعلبة لعنه الله هو الإمام السجاد وليس يزيد بن معاوية لعنهما الله[2].

فلما قدم الشمر لعنه الله بالسبايا إلى الشام ودخل إلى أميره يزيد لعنه الله رمى رأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بين يديه، وصار يحكي ليزيد لعنه الله قصة خيالية عن أحداث يوم عاشوراء، فصار يكذب فيها ويطيل الكذب، ويزيد لعنه الله يستمع وملؤه الفخر بما فعل بسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال الدينوري في الأخبار الطوال: (ثم إن ابن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن. فساروا حتى قدموا الشام، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق، وأدخل معهم رأس الحسين، فرمي بين يديه. ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا أمير المؤمنين، ورد علينا هذا في ثمانية عشر رجلا من أهل بيته، وستين رجلا من شيعته، فصرنا إليهم، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد، أو القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون إلى غير وزر، لوذان الحمام من الصقور، فما كان إلا مقدار جزر جزور، أو نوم قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تسفي عليهم الرياح، زوارهم العقبان، ووفودهم الرخم)[3].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٥٢.

(٢) راجع كل من كتابي الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص١١٩، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٥ ص١٣٠.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص٢٦٠ ـ ٢٦١.

٨: الشمر لعنه الله يسرق إبلاً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذهبا كان لنسائه

عن الشيخ الطوسي قدس الله روحه في كتابه الأمالي قال: (واشتد أمر المختار بعد قتل ابن زياد وأخاف الوجوه وقال: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتى أقتل قاتلة الحسين بن علي «عليه السلام» وأهل بيته، وما من ديني أترك أحدا منهم حيا. وقال: أعلموني من شرك في دم الحسين وأهل بيته، فلم يكن يؤتونه برجل فيقولون هذا من قتلة الحسين أو من أعان عليه إلا قتله، وبلغه أن شمر بن ذي الجوشن «لعنه الله» أصاب مع الحسين[1] إبلا فأخذها، فلما قدم الكوفة نحرها وقسم لحومها. فقال المختار: احصوا لي كل دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم، فأحصوها فأرسل إلى من كان أخذ منها شيئا فقتلهم وهدم دورا بالكوفة)[2].

وعن ابن أبي الفتح الأربلي في كشف الغمة عن زكريا بن يحيى بن عمر الطائني: (قال سمعت غير واحد من مشيخة طي يقول وجد شمر بن ذي الجوشن في ثقل الحسين ذهبا فدفع بعضه إلى ابنته ودفعته إلى صائغ يصوغ لها منه حليا فلما أدخله النار صار هباءا قال وسمعت غير زكريا يقول صار نحاسا فأخبرت شمرا بذلك فدعا بالصائغ فدفع إليه باقي الذهب وقال أدخله النار بحضرتي ففعل الصائغ فعاد الذهب هباءا وقال غيره عاد نحاسا)[3].

كان هذا غيضا من فيض وقطرة من بحر وما ارتكبه هذا المسخ لعنه الله بحق الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعظم وأكبر من أن تحصيه هذه الوريقات.

(١) هكذا في المصدر والظاهر أنها في الأصل (من الحسين) فصحفت.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي ج٢ ص٢٦٨.

أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟

قد حاولت أقلام المؤرخين من أهل السنة قديما وحديثا جعل الشمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله وغيره من القتلة الذين اشتركوا في الحرب والسلب والنهب في يوم عاشوراء الرهيب، في مصاف الشيعة والموالين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وبذلوا في سبيل إثبات ذلك الغالي والنفيس، فحرفت من أجل ذلك النصوص التاريخية، وزورت الأدلة الاثباتية، وتواطأ على الكذب الرواة، وألّفت الكتب وطبعت ووزعت بأعداد خيالية، وفعلت الدول المستفيدة من تثبيت هذه الفرية المستحيل، كل ذلك وغيره جاء ضمن محاولة فاشلة لإقناع الرأي العام بأن الشيعة هم الذين قتلوا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأن أشياع وأتباع وأولياء المذاهب الأخرى هم بعيدون كل البعد عن المشاركة في حرب الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتله وسبي حريمه، ومواقع النواصب من السلفية اليوم مليئة بالكتب والمقالات المأجورة التي تصور الشيعة بأنهم اناس سفاكون للدماء قتلوا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قديما وهم الآن يبكون على فعلتهم لا على فقدهم لأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحق ان الشيعة كانوا ولا يزالون بعيدين كل البعد عن الولوغ والمشاركة في دماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان دماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سفكت بسيوف اتباع الامويين والعباسيين، والذين قد وثّقهم علماء أهل السنة، كعمر بن سعد لعنه الله الذي سبق ذكر توثيقهم إيّاه في الفقرة السابقة من الزيارة.

والشمر بن ذي الجوشن كان احد الذين بذل خصوم الشيعة الغالي والنفيس في سبيل إثبات كونه من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فتشبثوا بالطحالب، واعتمدوا على المغالطات، فتارة ينسبونه الى التشيع لأنه من أهل

الكوفة، لاعتقادهم الفاسد بأن جميع أهل الكوفة كانوا شيعة، وتارة أخرى يستدلون على تشيعه لعنه الله بأنه كان مع الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حرب صفين، وكل من كان مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في جيشه فهو من شيعته، وغير ذلك من السفاسف التي يحسبون أنها أدلة، لكنها إذا ما نوقشت ومحصت كانت ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[1].

ومسألة كون قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومنهم الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله لا يمكن فصل القول بها ما لم نتعرف على الجذور الأصلية لمصطلح الـ (شيعي)، لنرى هل ينطبق هذا الوصف على قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو لا ينطبق، وهذا ما سنعرف حقيقته فيما يأتي من الكلام.

قال أبو الحسن الأشعري الذي إليه يرجع أتباع المذاهب السنية الأربعة في عقائدهم: (وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

وقال الشهرستاني: (الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرؤ قولا

(١) سورة النور الآية رقم ٣٩.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج١ باب مقالات التشيع ص٢.

وفعلا وعقدا إلا في حال التقية)[1].

وقال ابن حزم الظاهري: (ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي ا لله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا)[2].

إذن فأصل إطلاق لفظ الشيعة عند أهل السنة كان على كل من شايع عليا وقدمه على سائر الصحابة، ويعتقدون بلزوم وجود النص على إمامة من يستخلف بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لان الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة، ويعتقدون أيضا أن الإمامة لا تخرج عن أولاد أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه إلا بغصب غاصب، ويعتقدون بعصمة الأنبياء والأئمة من كل ذنب كبيرا كان أو صغيرا، ويتولون أولياء علي والأئمة والأنبياء والرسل الذين هم أولياء الله ويتبرؤون من أعدائهم أعداء الله. وان جميع من يعتقد بهذا الاعتقاد هو شيعي وكل من لا يشاركهم هذا الاعتقاد فهو ليس شيعيا كما سبق من قول ابن حزم الظاهري.

وهو نفس ما عليه الشيعة الإمامية، فقد قال الشيخ المفيد في باب الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة وسائر أصحاب المقالات ما يأتي: (فأما السمة للمذهب بالإمامة ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية فهو عَلَمٌ على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي)[3].

---

(1) الملل والنحل للشهرستاني ج1 الفصل السادس الشيعة ص145.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن احمد بن حزم الظاهري ج2 ص90.

(3) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص 38 باب الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة وسائر أصحاب المقالات.

ونحن نتحدى من يأتينا بدليل يدل على أن الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله كان ممن يقدم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على سائر الصحابة، ويعتقد بضرورة وجود نص على إمامته، وانه كان يعتقد بوجوب أن لا تخرج عن أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وانه كان يعتقد بأن الإمام معصوم من كل صغيرة وكبيرة، وانه كان يتبرأ من أعدائهم ويوالي أولياءهم، فإذا ما جاؤونا بمثل هذا الدليل ـ ولن يستطيعوا ذلك ـ آمنا حينئذ بأن الشمر لعنه الله كان شيعيا، أما لو لم يأتونا بمثل هذا الدليل فسيثبت حينئذ العكس، وسيكون معلوما عند الجميع إن الشمر ان لم يكن شيعيا فسيكون حينئذ سنيا، وسيثبت عكس ما أراده أعداء الشيعة، وسيصبح لأهل السنة دور هام في قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وأحداث عاشوراء الأليمة، فننصح المسلمين من باقي المذاهب الأخرى لا سيما السلفية منهم بعدم إثارة هذه المواضيع على شبكات الانترنت أو في الكتب والمقالات لأنها ستضرهم أكثر مما تنفعهم.

والطبري يعترف بأن الشمر بن ذي الجوشن كان معروفا عند معاوية بن أبي سفيان بالصدق والاستقامة، وكان من ضمن من شهد على حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه صاحب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وقد روى الطبري خبر شهادته لعنه الله بأمر من زياد بن أبيه بقوله: (هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله عز وجل كفرة صلعاء فقال زياد على مثل هذه الشهادة فاشهدوا أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق فشهد رؤوس الأرباع على مثل شهادته وكانوا أربعة

ثم إن زيادا دعا الناس فقال اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع...فقال زياد ابدأوا بأسامي قريش ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله وموسى بن طلحة... وشمر بن ذي الجوشن العامري وشداد ومروان)[1].

وسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يناديهم يوم عاشوراء والشمر من ضمنهم بقوله: (يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم...)[2]وهو صريح في كون الشمر وجميع من حضر جيش الكفر والإلحاد كانوا شيعة لآل أمية، وعدم اعتراضهم على هذا الوصف دليل قبولهم وإقرارهم به.

هل اشترك الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله في معركة صفين؟

أما عن مسألة حضوره لعنه الله في جيش صفين، فقد روي ذلك في روايتين نوردهما ونورد ما فيهما من إشكال، الأولى عن: (عمر بن سعد، حدثني يونس بن أبي إسحاق قال: قال لنا أدهم بن محرز الباهلي ونحن معه بأذرح: هل رأى أحد منكم شمر بن ذي الجوشن؟ فقال عبد الله بن كبار النهدي، وسعيد بن خازم السلولي: نحن رأيناه. قال: فهل رأيتما ضربة بوجهه؟ قالا: نعم. قال: أنا والله ضربته تلك الضربة بصفين)[3].

والرواية الثانية عن: (عمر، عن الصلت بن زهير النهدي، عن مسلم قال: خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية بصفين إلى شمر بن ذي الجوشن فاختلفا

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٥ ص٥١ في أن الحسين عليه السلام تقدم إلى القتال.

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم المنقري ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

ضربتين، فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم، وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئا، فرجع إلى عسكره فشرب من الماء وأخذ رمحا، ثم أقبل وهو يقول:

إنـــي زعـــيم لأخـــي باهلـــه بطعنـــة إن لم أمـــت عاجلـــه

وضـــربة تحـــت الـــوغى فاصـــله شـــبيهة بالقتـــل أو قاتلـــه

ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهه، وأدهم ثابت له لم ينصرف، فطعنه فوقع عن فرسه، وحال أصحابه دونه فانصرف، فقال شمر: هذه بتلك)[1].

والروايتان ضعيفتان من حيث السند، لان الأولى فيها يونس بن أبي إسحاق، وهو السبيعي، وقد اجتمعت كلمة الشيعة والسنة على تضعيفه، وعدم الاحتجاج بحديثه، قال السيد الخوئي: (إنه كان من العامة وشديد التعصب)[2]، وفي كتاب العلل لأحمد بن حنبل: (يونس بن أبي إسحاق قال حديثه حديث مضطرب)[3]، وقال الرازي عن: (عبد الرحمن قال سألت أبي عن يونس بن أبي إسحاق فقال: كان صدوقا إلا انه لا يحتج بحديثه)[4].

والرواية الثانية نقلت عن مسلم، وهو مسلم بن كيسان الأعور، فعن احمد بن حنبل قال: (لا يكتب حديثه ضعيف الحديث)[5]، وقال العجلي: (مسلم الأعور كوفي ضعيف الحديث)[6]. وقال العقيأتي: (كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عن

(١) المصدر السابق ص٢٦٨.

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج٢١ ص١٩٩.

(٣) العلل لأحمد بن حنبل ج٢ ص٥١٩.

(٤) الجرح والتعديل للرازي ج٩ ص٢٤٤.

(٥) العلل لأحمد بن حنبل ج٢ ص٤٧٦.

(٦) معرفة الثقات للعجلي ج٢ ص٢٧٩.

مسلم الأعور وهو مسلم أبو عبد الله وكان شعبة وسفيان يحدثان عنه وهو منكر الحديث جدا)[1].

ثم ان الروايتين منقولتان عن عمر بن سعد، وهو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي، وهو مجهول لم يذكروا له ترجمة، كما صرح بذلك الشيخ علي النمازي الشهرودي بقوله: (عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي: لم يذكروه)[2].

وقد نقل ابن أبي الحديد الروايتين بقوله: (قال نصر: وحدثنا عمرو...)[3] بدلا من (عمر بن سعد) وعمرو المقصود من رواية ابن أبي الحديد هو (عمرو بن شمر أبو عبد الله الجعفي) والذي قال عنه النجاشي: (عمرو بن شمر أبو عبد الله الجعفي عربي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ضعيف جدا)[4]، وقال العلامة الحلي: (عمرو بن شمر بالشين المعجمة، والراء أخيرا أبو عبد الله الجعفي، كوفي روى عن أبي عبد الله «عليه السلام» وعن جابر، وهو ضعيف جدا...فلا اعتمد على شيء مما يرويه)[5].

وقال الرازي: (عمرو بن شمر الجعفي أبو عبد الله روى عن عمران بن مسلم والسدي وجابر الجعفي روى عنه أحمد بن يونس سمعت أبي يقول ذلك، نا عبد الرحمن نا محمد بن إبراهيم نا عمرو بن علي أن عمرو بن شمر منكر الحديث حدث بأحاديث منكرة، نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت

---

(١) ضعفاء العقيلي للعقيلي ج٤ ص١٥٤.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج٦ ص٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي ج٥ ص٢١٣ من اخبار يوم صفين.

(٤) رجال النجاشي ص٢٨٧.

(٥) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص٣٧٨.

يحيى بن معين يقول عمرو بن شمر ليس بثقة، نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن عمرو بن شمر فقال منكر الحديث جدا ضعيف الحديث لا يشتغل به تركوه، نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن عمرو بن شمر فقال ضعيف الحديث)[1].

ثم لو سلمنا جدلا ان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله كان في معسكر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يوم صفين، فلا يثبت أيضا مدعى من يحاول نسبته إلى أنصار وشيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لان جيش صفين كان خليطا من الناس المتشعبة آراؤهم المختلفة عقائدهم المتفرقة قلوبهم، فقد كان فيهم المؤمن المخلص بوده وانتمائه إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهم الأقلية عددا، وهؤلاء قد استشهد أكثرهم دفاعا عن أمير المؤمنين ونصرته.

ومنهم من كان يقاتل حمية وعصبية، من دون اعتقاد لإمامة أمير المؤمنين أو الإيمان بأفضليته على من سبقوه، وهؤلاء لا يستهان بعددهم، وقد نقلت الروايات بان قسما كبيرا من جيشه صلوات الله وسلامه عليه كانوا يصلون في رمضان صلاة التراويح التي سنها وابتدعها عمر بن الخطاب، فلما نهاهم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن إتيان هذه البدعة ضجوا وتململوا حتى خاف الإمام على جيشه من التفرق فتركهم، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين «عليه السلام» فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: إتباع الهوى وطول الأمل... والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا ولقد خفت أن

(١) الجرح والتعديل للرازي ج ٦ ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

يثوروا في ناحية جانب عسكري...)[1].

وقسم ثالث قد التحق بالجيش كجاسوس ينقل إلى معاوية بن أبي سفيان أخبار الجيش وتحركاته، كمثل الأشعث بن قيس وأمثاله، والشمر إن ثبت التحاقه بجيش صفين فهو من القسم الثاني أو الثالث يقينا، لأنه كان ولمدّة قصيرة قبل حرب صفين متواجداً في الشام عند معاوية بن أبي سفيان، يجلس على باب قصره الخضراء، وكان من قواده، فقد أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص رواية تكشف هذه الحقيقة فقال في رواية طويلة نقتطع منها قدر الحاجة: (كتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا علي لأضربنك بشهاب قاطع لا يدكنه الريح ولا يطفئه الماء إذا اهتز وقع وإذا وقع نقب والسلام.

فلما قرأ علي عليه السلام كتابه دعا بدواة وقرطاس ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا معاوية فقد كذبت، أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين قاتل جدك وعمك وخالك وأبيك، وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر ويوم فتح ويوم أحد، وذلك السيف بيدي، تحمله ساعدي بجرأة قلبي كما خلفه النبي صلى الله عليه وآله بكف الوصي، لم أستبدل بالله ربا " وبمحمد صلى الله عليه وآله نبيا " وبالسيف بدلا " والسلام على من اتبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطرماح بن عدي الطائي وكان رجلا مفوها طوالا، فقال له: خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية ورد جوابه، فأخذ الطرماح الكتاب ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته، ثم ركب جملا ... فسار حتى نزل مدينة دمشق فسأل عن قواد معاوية، فقيل له: من تريد منهم ؟ فقال: أريد

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٨ ص٥٨ ـ ٦٣.

جرولا...وأبا الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وشمر بن ذي الجوشن ... فقيل إنهم يجتمعون عند باب الخضراء، فنزل وعقل بعيره وتركهم حتى اجتمعوا ركب إليهم، فلما بصروا به قاموا إليه يهزؤون به، فقال واحد منهم: يا أعرابي أعندك خبر من السماء؟ قال: نعم جبرئيل في السماء وملك الموت في الهواء وعلي في القضاء فقالوا له: يا أعرابي من أين أقبلت؟ قال: من عند التقي النقي إلى المنافق الردي، قالوا له: يا أعرابي فما تنزل إلى الأرض حتى نشاورك؟ قال: والله ما في مشاورتكم بركة ولا مثلي يشاور أمثالكم، قالوا: يا أعرابي فإنا نكتب إلى يزيد بخبرك وكان يزيد يومئذ ولي عهدهم، فكتبوا إليه: أما بعد يا يزيد فقد قدم علينا من عند علي بن أبي طالب أعرابي له لسان يقول فما يمل، ويكثر فما يكل والسلام...)[1] فالرواية كما ترى صريحة في جعل الشمر بن ذي الجوشن من قواد جيش معاوية بن أبي سفيان لعنه الله.

ثم وفجأة ومن دون سابق إنذار ينتقل من الشام ومن جبهة معاوية بن أبي سفيان إلى جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ثم يتحول من جبهته إلى جبهة الخوارج الذين انقذوا معاوية بن أبي سفيان في اللحظات الأخيرة من أن يناله السيف والقتل، كل هذا وغيره يجعلنا متيقنين بأن وجود الشمر بن ذي الجوشن في ضمن جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في أثناء معركة صفين متردد بين فرضين، فأما أن يكون وجوده مكذوباً مفتعلاً لإغراض لا تخفى، وأما أن يكون قد حضر لأجل التجسس والتخريب وإشاعة الفوضى وبث الضعف والفتنة في صفوف جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، كما فعل مع مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه وقد ذكر خبره.

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص١٣٩ كتاب معاوية إلى علي عليه السلام وجواب علي عليه السلام على يد الطرماح إليه.

هل كان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله شجاعا؟

حاول البعض تضخيم شخصية الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله ليطلق عليه بعض المدائح فعدّوه من ذوي الرئاسة تارة وتارة أخرى من أصحاب الشجاعة، وتارة ثالثة من المحدثين، قال خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام: (شمر بن ذي الجوشن واسمه شرحبيل ابن قرط الضبابي الكلابي، أبو السابغة...كان في أول أمره من ذوي الرياسة في هوازن موصوفا بالشجاعة، وشهد يوم صفين مع علي ثم أقام في الكوفة، يروي الحديث)[1] وللأسف فقد أعاد بعض المفكرين الشيعة هذا القول في كتبهم عن حسن نية منهم، متناسين أن الشجاعة من صفات الكمال التي لا تليق بمثل هذا الموجود الممسوخ، وان وصفه بالشجاعة شبيه بوصف الشيطان بالنبل أو الكرم.

ونحن نسأل جميع من وصف الشمر لعنه الله بالشجاعة أو الرئاسة عن دليلهم الذي إليه استندوا في زعمهم هذا، لان كتب التاريخ خالية عن المواقف التي تكشف شجاعة هذا الموجود الممسوخ، وفي يوم عاشوراء ظهر للعالم جليا ان هذا اللعين لم يكن يمتلك وجميع من تحت إمرته أي لون من ألوان الشجاعة، فلم نرى له نزالا واحدا مع بطل من إبطال الطف يمكن أن يستدل به على تلك الشجاعة المزعومة، فأين هو من مقارعة العباس ابن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه؟ وأين شجاعته يوم كان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يكر عليهم فينهزم هو وجميع أفراد جيشه كالجراد المنتشر أو كالغنم إذا اشتد عليها الأسد؟.

ونحن وحينما تتبعنا جولات هذا اللعين وصولاته يوم عاشوراء لم نجده قد

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ج٣ ص١٧٥.

قاتل إلا ضمن فئة من أصحابه يتحصن بهم من أن يناله سيف أسد من اسود الطف، ولم يقاتل بمفرده أبدا، كما وصف القرآن الكريم المنافقين بقوله ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[1] وكان غاية جهده أن يهجم على خيام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيطعن الفسطاط، أو يدعو بالنار ليحرق الخيام على الأطفال والنساء، أو يسرق ما كان في معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الذهب والإبل بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله، فأين الشجاعة يا ترى من كل هذا؟!

وكدليل صريح على عدم تمتع هذا المسخ البشري المسمى بالشمر بالشجاعة تأمل معي في رواية الطبري التي يقول فيها: (فجعل شمر بن ذي الجوشن يحرضهم ـ على قتل الإمام الحسين ـ فمر بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح فقال له أقدم عليه قال وما يمنعك أن تقدم عليه أنت فقال له شمر إلي تقول ذا قال وأنت لي تقول ذا فاستبا فقال له أبو الجنوب وكان شجاعا والله لهممت أن أخضخض السنان في عينك قال فانصرف عنه شمر وقال والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك)[2] فلو كان للشمر لعنه الله رجولة أو شجاعة أو كان معروفا عند الناس بهما لما تجرأ المدعو بأبي الجنوب عليه، ولرد عليه قوله وأوقفه عند حده ولما أظهر عجزه وخنوعه وذله بقوله: (والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك) يريد به الغدر والأخذ على حين غفلة عند أسياده ابن مرجانة وأمثاله.

---

(١) سورة الحشر الآية رقم ١٤.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٤.

هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

لقد أراد البعض عمدا أو جهلا ان يجعل لشمر بن ذي الجوشن لعنه الله فضلا على أولاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها، فزعموا أن الشمر لعنه الله أتى لهم بكتاب أمان لكل من العباس بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأخوته الثلاثة، صادر من عبيد الله بن مرجانة لعنه الله، فيما إذا تخلوا عن نصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وزعموا ان اللعين جاء يوم العاشر أو قبله: (حتى وقف على أصحاب الحسين فقال أين بنو أختنا فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي فقالوا له: مالك؟ وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون قال له الفتية لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له)[1] والراوي لهذا النص أراد أن يزوّر اعترافا على لسان أولاد السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها بأن الشمر اللعين خالهم وذو رحم ماسة بهم.

وقال ابن كثير: (فقام شمر بن ذي الجوشن فقال: أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب، فقال: أنتم آمنون. فقالوا: إن أمنتنا وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك)[2].

وحينما رجعنا إلى نسب السيدة الطاهرة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها وجدنا بأنها لا تشترك نسبيا مع الشمر لعنه الله إلا في الأب السابع وهو (كلاب)، فنسب السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها هو الآتي: (فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن

(1) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٥

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٠.

هوازن)[1].

وقال الشيخ التستري قدس الله روحه: (ففي نسب قريش مصعب الزبيري: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة)[2].

أما والد الشمر لعنه الله فهو كما: (قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي اسمه شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة)[3].

أو: (ذو الجوشن ... واسمه أوس بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب يعني ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وولد عمرو بن معاوية يقال لهم الضباب لأن أحد عمرو بن معاوية يقال له ضب فنسبوا إلى ذلك)[4].

فكل من السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها والشمر بن ذي الجوشن من حيين مختلفين من كلاب، ومثلهما مثل بني هاشم وبني أمية فهما وان كانا يرجعان إلى عبد مناف إلا أنهما حيان منفصلان نسبا وتاريخا وموقفا، وان محاولة جعل الشمر خالا للعباس واخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نظير جعل معاوية بن أبي سفيان لعنه الله عما أو خالا للحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما.

والحقيقة ان الذي طلب كتاب الأمان من عبيد الله بن زياد لعنه الله شخص آخر غير الشمر بن ذي الجوشن، وهو المذكور في رواية ابن كثير بالقول: (فاستأمن عبيد الله بن أبي المحل لبني عمته أم البنين بنت حزام من علي: وهم العباس وعبد الله

(١) عمدة الطالب لابن عنبة ص ٣٥٦.

(٢) قاموس الرجال للشيخ محمد تقي التستري ج ١٢ ص ١٩٥.

(٣) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٤٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٢٣ ص١٨٩.

وجعفر وعثمان. فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له كرمان، فلما بلغهم ذلك قالوا: أما أمان ابن سمية. فلا نريده، وإنا لنرجو أمانا خيرا من أمان ابن سمية)[1].

هل اشترك أهل الشام في حرب عاشوراء؟

صرحت بعض المصادر التاريخية ان الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله كان في يوم عاشوراء قائدا لأربعة آلاف من أهل الشام، قال ابن شهر آشوب: (وجهز ابن زياد عليه ـ أي على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ـ خمسا وثلاثين ألفا، فبعث الحر في ألف رجل من القادسية، وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وعمر بن سعد في أربعة آلاف، وشمر بن ذي الجوشن السلولي في أربعة آلاف من أهل الشام...)[2].

وقال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في الأمالي: (وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنظرون، أريحوا الرجل، فنزل سنان بن أنس الأيادي لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام، وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إني لأجتز رأسك وأنا أعلم أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الناس أما وأبا...)[3].

والتمعن في هذين النصين وغيرهما من النصوص يضعان أمامنا علامة تساؤل مهمة للغاية، وهي هل اشترك أهل الشام وجنود يزيد بن معاوية لعنهما الله في الحرب والقتال يوم عاشوراء؟ واثبات اشتراكهم ومساهمتهم في القتال يوم عاشوراء سيضعنا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٤٨.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص٢٢٦.

أمام قضية جديدة طالما أثارها من قبل خصوم الشيعة، الذين كانوا ولا يزالون يحاولون إثبات وتأكيد ان أهل العراق هم الوحيدون المسؤولون عن مواجهة وقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء، ليثبتوا من خلال ذلك أن الشيعة هم الذين قتلوا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

واثبات ان أهل الشام كانوا ضمن المقاتلين يوم عاشوراء وبهذا الكم الهائل من الأفراد والبالغ عددهم أربعة آلاف مقاتل كما نص ابن شهر آشوب، سيقلب السحر على الساحر، وسيثبت أن أهل الأرض كافة وأهل الإسلام خاصة قد اشتركوا في دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلا فأين كان أهل المدينة عن النصرة والإمام الحسين قد خرج من بين أظهرهم، وأين كان أهل مكة وقد بقي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بينهم أياما طويلة، وأين كان أهل البصرة وأهل مصر وأهل باقي المدن الإسلامية، فالكل قد اختفى، والكل كان ما بين ساكت عن الحق، وما بين رافض لم يتعد رفضه شفتيه، وما بين خاذل بخل ببذل نفسه وخاف الشهادة، وما بين مقاتل ومباشر للقتال والقتل، وليس الساكت عن النصرة بأحسن من المقاتل والمباشر، لان بسكوت الساكت تجرأ المتجرّئون على سفك دم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وبخذلان من خذل من أهل الأقطار الإسلامية أقدم أهل العراق وأهل الشام على الوقوف بوجهه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ان أهل العراق الذين واجهوا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يكونوا إلا من أهل المدينة ومكة، فعمر بن سعد بن أبي وقاص لعنه الله لم يكن من أهل العراق أصلا، فأبوه من بني زهرة مكي الأصل، فيكون سعد ابنه مكي الأصل نزل الكوفة، وكذلك الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله، فأبوه كما يقال صحابي كان في المدينة أو قريباً منها، وكذلك عبيد الله بن زياد لعنهما الله، وكذلك الآلاف من ذلك الجيش لعنهم الله لم

يكونوا إلا من أهل مكة أو المدينة أو مصر أو اليمن أو الشام، فدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه متفرق بين كافة البلدان الإسلامية، ولا معنى لتأكيد المؤرخين على أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة.

وفيما يأتي جملة من النصوص الأخرى التي تؤكد حضور واشتراك أهل الشام في القتال يوم عاشوراء:

١: روى الشيخ الكليني قدس الله روحه عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين «عليه السلام» وأصحابه رضي الله عنهم بكربلا واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين «عليه السلام» ناصر ولا يمده أهل العراق بأبي المستضعف الغريب...)[1]والحديث صحيح وصريح في ان خيل اهل الشام قد اجتمعت على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء.

٢: قال ابن أعثم في كتاب الفتوح: (ثم تقدم علي بن الحسين بن علي عليهما السلام وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي	من عصبة جد أبيهم النبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي	أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي	ضرب غلام علوي قرشي

ثم حمل رضي الله عنه، فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم، فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة)[2]،

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٤ ص ١٤٧.

(٢) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج ٥ ص ١١٤ ـ ١١٥

وضجيج أهل الشام من حملات علي بن الحسين ﷺ ومن كثرة القتل فيهم دليل على وجودهم وبكثافة ملحوظة، وإلا لو كانوا فئة قليلة لما كان لضجيجهم اثر يذكر.

٣: وعن ابن شهر آشوب: (ثم برز أخوه القاسم ــ ابن الإمام الحسن ﷺ ـ وعليه ثوب وأزار ونعلان فقط وكأنه فلقة قمر وأنشأ يقول:

إني أنا القاسم من نسل علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

من شمر ذي الجوشن أو ابن الدعي

فقتله عمر بن سعيد الأزدي فخر وصاح يا عماه، فحمل الحسين فقطع يده وسلبه أهل الشام من يد الحسين، فوقف الحسين على رأسه وقال: عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا تنفعك إجابته)[1] وقول الراوي (وسلبه أهل الشام من يد الحسين) دليل آخر على وجودهم وكثرتهم وإلا لم يستطيعوا سلبه من يد الإمام لو لم تبلغ كثرتهم مقدارا مكنهم من ذلك.

٤: وأخرج القاضي النعمان المغربي قصة الشامي التي يرويها الإمام السجاد ﷺ بنفسه حيث يقول: (فما فهمته وعقلته مع علتي وشدتها أنه أتي بي إلى عمر بن سعد. فلما رأى ما بي أعرض عني، فبقيت مطروحا لما بي. فأتاني رجل من أهل الشام، فاحتملني، فمضى بي وهو يبكي، وقال لي: يا بن رسول الله، إني أخاف عليك فكن عندي. ومضى بي إلى رحله وأكرم نزلي، وكان كلما نظر إلي يبكي. فكنت أقول في نفسي إن يكن عند أحد من هؤلاء خير فعند هذا الرجل. فلما صرنا إلى عبيد الله بن زياد سأل عني. فقيل: قد ترك. وطلبت، فلم أوجد. فنادى مناد: من وجد علي بن الحسين، فليأت به، وله ثلاثمائة درهم. فدخل علي الرجل

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الذي كنت عنده ـ وهو يبكي ـ وجعل يربط يدي إلى عنقي، ويقول: أخاف على نفسي يا بن رسول الله إن سترتك عنهم أن يقتلوني. فدفعني إليهم مربوطا، وأخذ الثلاثمائة درهم وأنا انظر «إليه»)[1].

هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟

وجدت في بعض البحوث والكتب المعاصرة وصفاً للشمر بن ذي الجوشن لعنه الله بأنه من الخوارج لعنهم الله، كقول السيد شرف الدين الموسوي قدس الله روحه في كتابه (صلح الإمام الحسن «عليه السلام»)حيث يقول: (الخوارج: وهم أعداء علي عليه السلام منذ حادثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية. وأقطاب هؤلاء في الكوفة: عبد الله بن وهب الراسبي، وشبث بن ربعي، وعبد الله بن الكواء، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن...)[2].

وخالد محمد خالد في كتاب (أبناء الرسول في كربلاء) حيث يقول: (وكان مستشار ابن زياد لهذه الحملة الباغية، مسخ شائه الخلق والخلق، اسمه شمر بن ذي الجوشن. رجل مدخول الإسلام، انشقت عنه الأرض بغتة في الأيام الأولى لفتنة الخوارج الذين ناصبوا الإمام عليا العداء.. فأدلى معهم بدلوه، عاملا لحساب نفسه الخبيثة، أو لحساب قوة خفية شريرة. ومن تلك الأيام، وهو يكيد للإسلام، ويخرب في صفوفه متخفيا وراء ذلك القناع المشبوه، قناع انتمائه للخوارج وتسلله له بمبادئهم إلى أغراضه المنكرة وأغراض القوى التي يعمل لحسابها...)[3].

وكالشيخ محمد السماوي في كتابه (أبصار العين في أنصار الحسين «عليه

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٣ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) صلح الحسن عليه السلام للسيد شرف الدين ص ٧٠.

(٣) أبناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد ص ١٠٨.

السلام») حيث يقول: (شمر بن ذي الجوشن: بفتح الشين وكسر الميم ويجري على الألسن ويمضى في الشعر الحديث كسر الشين وسكون الميم وهو خلاف المضبوط، وذو الجوشن أبوه، واسمه شراحيل بن الأعور قرط بن عمرو بن معاوية بن كلاب الكلابي الضبابي، وهو قاتل الحسين «عليه السلام» وكان أبرص خارجيا)[1].

ولكن وللأسف الشديد لم نعثر على دليل تاريخي متين يمكن أن يُركن إليه في إثبات انتماء الشمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله لفرقة الخوارج، والنصوص المتقدمة للسيد شرف الدين قدس الله روحه وغيره خالية عن ذكر الدليل التاريخي الذي اعتمدوه كدليل على انتماء الشمر لعنه الله للخوارج.

إضافة إلى أن واحدة من متبنيات الخوارج لعنهم الله الفكرية الأيدلوجية هي تكفير كل من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه واهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع شيعته، وتكفير معاوية بن أبي سفيان لعنه الله وجميع آل أمية وشيعتهم لعنهم الله[2]، والشمر بن ذي الجوشن لعنه الله وان كان يبغض أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأولغ في دمائهم الطاهرة، إلا انه كان يرى الطاعة والمعاضدة والنصرة والدفاع عن آل أمية، فعقيدة الخوارج غير متحققة بالنسبة للشمر بن ذي الجوشن لعنه الله، نعم هو خارجي بفعله، فلو كان قدر للخوارج أن ينالوا من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لما كانوا ليفعلوا أكثر من الذي فعله الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله، فهو لعنه الله أموي الهوى والفكر خارجي الفعل.

---

(١) أبصار العين في أنصار الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد السماوي ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) يقول محمد جعفر شمس الدين في كتابه دراسات في العقيدة الاسلامية: (ذهبوا ـ أي الخوارج ـ على اختلافهم إلى القول بتكفير مرتكب الكبيرة، وخلوده في النار. بل ذهبت بعض فرقهم، إلى تكفير مرتكب الذنب مطلقا، حتى ولو كان من الصغائر. كما حكموا بكفر كل ما خالفهم، وان أطفال المشركين في النار مع آبائهم).

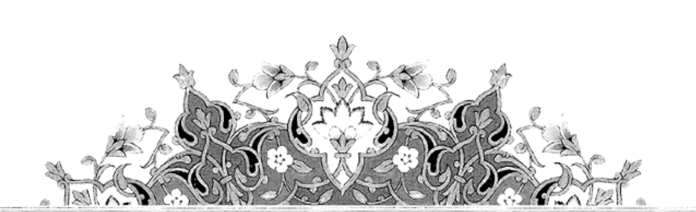
نهاية الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفي

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد متحدثا عن ثورة المختار بن عبيد الثقفي وانتقامه من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه : (ولم تنقض سنوات أربع على يوم كربلاء حتى كان يزيد قد قضى نحبه، ونجمت بالكوفة جريرة العدل التي حاقت بكل من مد يدا إلى الحسين وذويه...فسلط الله على قاتلي الحسين كفؤا لهم في النقمة والنكال يفل حديدهم بحديده ويكيل لهم بالكيل الذي يعرفونه. وهو المختار بن أبي عبيدة الثقفي داعية التوابين من طلاب ثأر الحسين. فأهاب بأهل الكوفة أن يكفروا عن تقصيرهم في نصرته، وأن يتعاهدوا على الأخذ بثأره فلا يبقين من قاتليه أحد ينعم بالحياة، وهو دفين مذال القبر في العراء.. فلم ينج عبيد الله بن زياد، ولا عمر بن سعد، ولا شمر بن ذي الجوشن، ولا الحصين بن نمير، ولا خولي بن يزيد، ولا أحد ممن أحصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدوا أيديهم بالسلب والمهانة إلى الموتى أو الأحياء. . وبالغ في النقمة فقتل وأحرق ومزق وهدم الدور وتعقب الهاربين، وجوزي كل قاتل أو ضارب أو ناهب بكفاء عمله. . فقتل عبيد الله وأحرق، وقتل شمر بن ذي الجوشن وألقيت أشلاؤه للكلاب، ومات مئات من رؤسائهم بهذه المثلات وألوف من جندهم وأتباعهم مغرقين في النهر أو مطاردين إلى حيث لا وزر لهم ولا شفاعة. . فكان بلاؤهم بالمختار عدلا رحمة فيه، وما نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار)[1].

وقال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (وطلب المختار شمر بن ذي الجوشن فهرب إلى البادية، فسعي به إلى أبي عمرة، فخرج إليه مع نفر من أصحابه فقاتلهم قتالا شديدا فأثخنته الجراحة، فأخذه أبو عمرة أسيرا، وبعث به إلى المختار فضرب عنقه، وأغلى له دهنا في قدر وقذفه فيها فتفسخ)[2] فلعنه الله ولعن من رضي بفعله إلى يوم القيامة آمين.

(١) المجموعة الكاملة، العبقريات الاسلامية لعباس محمود العقاد ج ٢ ص ٢٧١ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٤٤.



لَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتالِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللهُ ٢: أُمَّةً أَسْرَجَتْ ٣: وَأَلْجَمَتْ

٤: وَتَنَقَّبَتْ ٥: وَتَهَيَّأَتْ ٦: لِقِتَالِكَ

المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟

القسم الأول: لو همّ المكلف بما يكون مشتركا ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه

القسم الثاني: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

القسم الثالث: لو هم المكلف بما هو محرم، أو هم بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ

في هذه الفقرة الشريفة كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت الألفاظ التي في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة في عدة زيارات أخرى نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

ما ذكره محمد بن المشهدي قدس الله روحه في كتاب المزار حيث روى زيارة لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في يوم عرفة لمن لم يمكنه حضور الموقف للحج وقدر على إتيان قبره في كربلاء جاء فيها : (السلام عليك يا أبا عبد الله ، عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، الموالي لوليك ، المعادي لعدوك ، استجار بمشهدك ، وتقرب إليك بقصدك...فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالك ، يا مولاي يا أبا عبد الله قصدت حرمك وأتيت مشهدك ، اسأل الله بالثار الذي لك عنده ، والمحل الذي لك لديه ان يصلي

على محمد وآل محمد وان يجعلني معكم في الدنيا والآخرة)[1].

وما ذكره السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال حيث روى ما نصه: (إذا كنت بمشهد الحسين عليه السلام في يوم عرفة، فاغتسل غسل الزيارة والبس أطهر ثيابك وطهر عقلك وقلبك مما يقتضي الإبعاد بعقابك و عتابك، لتكون طاهرا من الأدناس، فيصح لك أن تقف بباب طاهر من الأرجاس، واقصد مقدس حضرته وقف على باب حرمه وكبر الله تعالى وقل: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا... غذتك يد الرحمة ورضعت من ثدي الإيمان، وربيت في حجر الإسلام، والنفس غير راضية بفراقك، ولا شاكة في حياتك، صلوات الله عليك وعلى آبائك وأبنائك. السلام عليك يا صريع العبرة الساكبة، وقرين المصيبة الراتبة، لعن الله أمة استحلت منك المحارم... فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالك)[2].

ويمكن أن يستدل على لعنهم أيضا بالحديث المروي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه أبو هريرة قال: (نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[3] فإذا كان حربهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأمة التي أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيأت لقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لقتال احدهم كأنها في واقع حالها وحقيقة أمرها قد أسرجت وألجمت والتنقبت وتهيأت لقتال نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والإسراج والإلجام و تنقب والتهيؤ لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظلم بل كفر

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٤٦٢ ـ٤٦٣.

(٢) إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج٢ ص٦٤.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٤٩، قال الحاكم بعد ذكر هذا الخبر: (هذا حديث حسن من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل عن تليد بن سليمان فإنّي لم أجد له رواية غيرها).

وفساد في الأرض بإجماع المسلمين، والظالم والكافر والمفسد يجوز لعنه بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3].

ويمكن الاستدلال على جواز وصحة لعنهم بأن في الإسراج والإلجام والتنقب والتهيؤ لقتال ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته واعز الناس وأحبهم إليه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أذىً يقينياً لشخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، للحديث المروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم والذي يقول فيه: (ما بال أقوام يؤذون رحمي، ألا من أذى نسبي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله)[4]، وإدخال الأذى على شخص الرسول الأكرم محرم بنص الكتاب العزيز ويستحق صاحبه الدخول في زمرة الملعونين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[5].

ويمكن أيضا الاستدلال على صحة وجواز لعنهم بأن في الإسراج والإلجام وغيرها من الأفعال المشينة التي صدرت من هذه الأمة أذىً يقينياً لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عامة وشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على وجه الخصوص،

---

(١) سورة هود الآية رقم ١٨.

(٢) سورة محمد الآية رقم ٢٢- ٢٣.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٦١.

(٤) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٣.

(٥) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٧.

وهو وإياهم من المؤمنين بل من سادات المؤمنين وقادة المسلمين، وأذاهم محرم بنص كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

وكذلك يجوز لعنهم لانتفاء الإيمان عنهم ودخولهم في زمرة الكافرين أو المنافقين أو النواصب وكل هؤلاء يجوز لعنهم، وأما دليل انتفاء الإيمان عنهم فلقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، ويكون ذاتي أحب إليه من ذاته)[2] ومحبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا تتوافق بل وتتناقض مع الإسراج والإلجام والتنقب والتهيؤ لقتالهم، فتنتفي هذه المحبة حينئذ وإذا انتفت المحبة انتفى أصل الإيمان واستوجب فاعله الخلود في النار[3].

وهم ملعونون أيضا بأدلة كررناها فيما سبق فليرجع إليها من يريد التفصيل.

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٨.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٣.

(٣) وقد قال ابن حبان في (صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥) (بأن محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم مقرونة بمحبة فاطمة والحسن والحسين وكذلك بغضه ببغضهم أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا مالك بن إسماعيل عن أسباط بن نصر عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ذكر إيجاب الخلود في النار لمبغض أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا سليم بن حيان عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار).

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: وَلَعَنَ اللّهُ

الواو هنا عاطفة، وباقي الجملة قد مر توضيحه مرارا في فقرات سابقة يرجع إليها من أراد التفصيل.

٢: أُمَّةً أَسْرَجَتْ

ذكرنا في شرح فقرة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) من هذه الزيارة الشريفة، ان هنالك عدة معانٍ قد وردت في كتب اللغة والمعاجم لكلمة أمة منها:

أ: هي الجماعة من الناس[١]، وقد تكون هذه الجماعة قليلة، وقد تكون كبيرة عظيمة.

ب: وقد تطلق على الشخص المفرد الذي يدين بدين ما لوحده[٢].

ج: وقد تطلق على الطريقة والدين[٣].

د: وقد تطلق على القدوة والإمام[٤]. وقد يكون هذا القدوة والإمام فرداً واحداً وقد يكونوا جماعة، وهذا هو الفارق بين هذا المعنى والمعنى الثاني.

هـ: وقد تطلق على الحين والزمان[٥].

---

(١) مجمع البحرين ج١ ص١٠٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٧.

(٣) الصحاح للجوهري ج٥ ص١٨٦٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة ج١ ص٢٧.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٧.

والذي يتناسب مع فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ) هو المعنى الأول والرابع، فعلى المعنى الأول يصبح معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو (ولعن الله الجماعة التي أسرجت وألجمت و... لقتالك)، وعلى المعنى الرابع (ولعن الله أول من أسرج وألجم وتنقب وتهيأ لقتالك وكان قدوة لغيره في هذه الأوصاف وإماما لغيره حيث أسرجوا حينما أسرج وألجموا حينما ألجم وتنقبوا حينما تنقب وتهيّأوا حينما تهيأ لقتالك) وباقي المعاني لكلمة الأمة قابلة للانطباق أيضا بتقريب قد مر ذكر تطبيقاته في فقرة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ).

و(أَسْرَجَتْ) مأخوذة من إسراج الدابة، ويكون بوضع الرحل أو السرج الذي يجلس عليه الفارس على ظهرها، قال ابن منظور: (سرج: السرج: رحل الدابة، معروف، والجمع سروج. وأسرجها إسراجا: وضع عليها السرج)[1]، وقال الزبيدي في تاج العروس: (والسرج: رحل الدابة، معروف...والجمع سروج. وهو عربي...وأسرجتها: شددت عليها السرج فهي مسرج)[2].

وقد يراد من الإسراج هنا المعنى المجازي وهو الزينة أو تحسين صورة الشيء، وهو كقول القائل (الشمس سراج النهار، والهدى سراج المؤمنين. وسرج الله وجهه وبهجه أي حسنه)[3] فيكون المعنى (ولعن الله امة زينت في أعين الناس وحسنت قتالك فتجرؤوا على ارتكابه بعد ان كان عند الله سبحانه وتعالى وعند المسلمين عظيما).

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٢٩٧.

(٢) تاج العروس للزبيدي ج٣ ص٤٠٢.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٦ ص ٥٣.

٣: وَأَلْجَمَتْ

الواو هنا عاطفة والجملة بالأصل هي (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَلْجَمَتْ لِقِتَالِكَ)، و(أَلْجَمَتْ) مأخوذة من الإلجام ويكون بوضع اللجام في فم الدابة ليسهل على الراكب قيادتها وتوجيهها حيثما يريد، واللجام كما جاء في كتب المعاجم واللغة: (هي الحديدة في فم الفرس، ثم كثر في كلامهم حتى سموا اللجام بسيوره وآلته لجاما، ففيه الشكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم، والفأس وهي الحديدة القائمة في الفم، والمسحل وهي حديدة تحت الحنك، والخطافان وهما حديدتان معوجتان في المسحل، والشكيمة من عن يمين وشمال، والفراشتان، وهما حديدتان تشد بهما أطراف العذارين، والحكمة وهي حلقة تحيط بالمرسن، والحنك من فضة أو حديد[1].

٤: وَتَنَقَّبَتْ

الواو عاطفة والجملة بالأصل هي (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً تَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ)، و(تَنَقَّبَتْ) قد ورد في معناها عدة آراء نختار منها ما نراه محتملا ومتسقا مع أجواء الزيارة:

ألف: يحتمل أنها مأخوذة من النقاب الذي تلبسه المرأة لتستر به وجهها، قال الفراهيدي في كتابه العين: (والنقاب: ما انتقبت به المرأة على محجرها)[2].

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ونقاب المرأة بالكسر، والجمع نقب ككتاب وكتب. وانتقبت وتنقبت: غطت وجهها بالنقاب)[3].

وقال محمد قلعجي في معجم لغة الفقهاء: (النقاب: ...ستر الوجه كله وظهور

(١) تاج العروس للزبيدي: ج١٧، ص٦٣٨.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٥ ص ١٨٠.

(٣) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٣٥٨.

محجر العين)[1]

والظاهر ان العرب وربما غيرهم كان متعارفا عندهم تغطية الوجه وترك العينين مكشوفتين عند الحرب، فالتستر بهذه الطريقة لضمان الحيلولة دون كشف هويتهم الحقيقية للطرف الخصم، حتى لا يُكمن لهم ويُغدر بهم على غفلة، أو لحماية مجاريهم التنفسية من أن يدخل فيها الغبار الكثيف المتطاير من اثر حركة الأرجل أو حركة الخيول في ساحة المعركة، فيتسبب في إعاقة قدراتهم القتالية، وقد تنبه العلامة المجلسي قدس الله روحه إلى هذا الأمر فقال في كتابه بحار الأنوار: (وتنقبت: لعله كان النقاب بينهم متعارفا عند الذهاب إلى الحرب، بل إلى مطلق الأسفار حذرا من أعدائهم لئلا يعرفوهم فهذا إشارة إلى ذلك)[2] فيصبح معنى العبارة وفقا لهذا التفسير هو(ولعن الله امة سترت وجوهها وخاضت غمار الحرب وزحفت لقتالك).

باء: ولعل (تَنَقَّبَتْ) هو ترأست من الرئاسة والتسلط، وتكون مأخوذة من (نقب فلان على بني فلان فهو ينقب نقبا، فإذا أريد أنه لم يكن نقيبا فصار نقيبا، قيل: قد نقب فهو ينقب نقابة)[3]، وقد ادعى القرطبي في تفسيره ان هنالك إجماعاً على أن معنى النقيب هو: (كبير القوم، القائم بأمورهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها)[4]، أما الشيخ الطوسي قدس الله روحه فصرح بان: (نقيب القوم: كالكفيل والضمين، ينقب عن الأسرار، ومكنون الإضمار)[5].

(١) معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي ص ٤٨٦.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري ج ٦ ص ٢٠٣.

(٤) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١١٢.

(٥) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٣ ص ٢٩٤.

ولا شك في ان فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً تَنَقَّبَتْ لِقِتَالِكَ) لو فسرناها بهذا المعنى فستكون ناظرة إلى من تولى النقابة وكفل وضمن لابن زياد لعنه الله أو يزيد بن معاوية لعنه الله مشاركته ومشاركة قومه بقتال الإمام الحسين وحربه.

وذلك لان الجمهور الأعظم من الناس في ذلك الوقت كانوا تبعا لساداتهم ورؤسائهم وكبرائهم، فإذا ما شارك احد هؤلاء السادة والكبراء بأمر أو عزم على فعل اتّبعه الذين هم تحت يديه اتباعا لا يسأل عن سبب ولا هم يعاتبون.

وابن مرجانة لعنه الله حينما جاء إلى الكوفة بأمر من يزيد بن معاوية لعنهما الله استغوى واستدرج واشترى ذمم هؤلاء الكبراء والنقباء لعلمه القاطع ان هؤلاء الأرجاس لو تم شراء ذممهم لتم له السيطرة على من هم تحت أيديهم من أفراد قبائلهم.

ومن أمعن النظر حول التركيبة الاجتماعية لمجتمع الكوفة وغيره في ذلك الوقت يجد أنّ الدولة حتى يمكن لها أن تسيطر على عامة الناس قسمتهم إلى أرباع وجعلت على كل ربع نقيبا أو رئيسا، فكانت تبلغ أوامرها ونواهيها لهذا الرئيس وهو بدوره ينقلها إلى من تحت يديه من الناس، وقد تعارفت تسميتهم تاريخيا باسم (رؤساء الأرباع) وعمر بن سعد وابن مرجانة لعنهما الله حينما أرادا تسيير الناس وتجهيزهم لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، جعلوا الجيش أربعة أقسام على عدد أرباع أهل الكوفة، فعن الطبري في تاريخه قال: (لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا

الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه)[١]، فتكون عبارة الزيارة الشريفة لو فسرناها بهذا المعنى ناظرة إلى لعن هؤلاء الرؤوس الضالة الذين اشتركوا فصاروا سببا لمشاركة من تحت أيديهم، وقاتلوا فقاتل من هو تحت وصايتهم، فلعنهم الله جميعا ولعن رؤوس أرباعهم إلا الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه، لتوبته وقتاله ودفاعه واستشهاده بين يدي مولاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

جيم: ولعل (تَنَقَّبَتْ) مأخوذة من التنقيب والبحث والتفتيش عن الأخبار والأحوال، قال ابن منظور في لسان العرب: (نقب عن الأخبار: أخبر بها. وفي الحديث: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس أي أفتش وأكشف)[٢].

وعبارة الزيارة الشريفة لو فسرناها بهذا المعنى فستكون شاملة لمن كان يمارس دور التجسس وكشف الأسرار والتفتيش عن كل ما ينفع السلطة الغاشمة ويشدد الخناق على الثورة الحسينية وقيادتها، وهؤلاء كانوا من الكثرة بمكان، فالسلطة الأموية وضعت العيون والرصد منذ اليوم الأول لخروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من المدينة حتى آخر لحظة من لحظات عمره الشريف، يعدون عليه كل صغيرة وكبيرة، ويسجلون من يتصل به، ومن يتعاون معه، ومن يقدم له المساعدة، ومن يدعو لنصرته، في الكوفة وخارجها، ومن ينوي الالتحاق به والخروج إليه، وغير ذلك، فالجواسيس كما عرفنا في شرح العبارات السابقة من الزيارة هم الذين كتبوا إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله بأمر مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، وهم الذين حذروه من مغبة انقياد الكوفة إليه، وخروجها عن أيدي السلطة

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ أحداث سنة إحدى وستين ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٧٦٩.

الأموية، والجواسيس هم الذين فشوا لابن مرجانة لعنه الله مكان ومحل اختفاء مسلم ابن عقيل رضوان الله تعالى عليه فاعتقل هو وهاني بن عروة رضوان الله تعالى عليه وقتلا أبشع قتلة، والجواسيس هم الذين خذلوا الناس عن نصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وخوفوهم جيش الشام وبثوا الرعب والخوف في قلوبهم حتى أرجعوهم على الأعقاب، والجواسيس هم الذين أوصلوا كل صغيرة وكبيرة إلى ابن مرجانة بخصوص مسير الإمام الحسين ومن معه وكم عددهم ومن لحق به من أهل الكوفة وأخبار الواقعة لحظة بلحظة إلى آخر رمق للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والجواسيس هم الذين استمروا بنقل أخبار عمر بن سعد لعنه الله ومدى انقياده والتزامه بتنفيذ الأوامر الموجهة إليه، وغير ذلك من آلاف الموبقات التي ارتكبها هذا الصنف الحقير المأجور، الذي لعب دورا هاما في إدارة كفة الصراع ضد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهضته المباركة.

دال: ولعل معنى (تَنَقَّبَتْ) هو أخذت طرق الأرض وفجاجها ومنعت الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من المسير والنجاة بنفسه وبأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتكون مأخوذة من النقب (بفتح النون والقاف بعدها...قال ابن وهب المراد بها المداخل وقيل الأبواب وأصل النقب الطريق بين الجبلين وقيل الانقاب الطرق التي يسلكها الناس ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد)[1].

أو هي: (مداخل المدينة أبوابها وفوهات طرقها)[2]، و (قيل: هي أبوابها وفوهات طرقها التي يدخل إليها منها)[3].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٤ ص ٨٢.

(٢) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ١٩٣.

(٣) عمدة القاري للعيني ج ١٠ ص ٢٤٣.

وقد تبين في بحوث سابقة ان يزيد بن معاوية وابن مرجانة لعنهما الله أمرا أن يحال بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبين ان يدخل ارض الكوفة، فأرسلا إليه الحر بن يزيد الرياحي وأمراه ان يجعجع بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويسوقه إلى ارض مقفرة وان ينزله على غير ماء ولا سواد من الناس، تمهيدا لشن الهجوم الحاسم واستئصاله واهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمرا بعد ذلك ان يسير إليه عمر بن سعد لعنه الله بأربعة آلاف محارب، وألحقوه أربعة آلاف أخرى بإمرة شمر بن ذي الجوشن الضبابي لعنه الله، وبقيت العسكر تتوافر عليه بخيلها وسلاحها، وتسد منافذ الأمل في وجهه ووجه أصحابه وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى توسطوه وأحاطوا به من كل حدب وصوب، فصار لا أمل له بان ينفذ إلى الخارج، ولا يستطيع احد ممن يريد نصرته الوصول إليه والقصد نحوه، وأمر ابن مرجانة لعنه الله بنصب المسالح وهي أشبه بفرق الموت في عصرنا الحاضر، على أبواب الكوفة وفي طرقاتها وعلى الطرق المؤدية منها واليها، لا يجدون أحداً تخلف عن الجيش الباغي، أو قصد نحو الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لنصرته إلا أخذوه وقتلوه، فتكون هذه الفقرة الشريفة من الزيارة ناظرة إلى كل من حال دون وصوله إلى مأمنه، والنجاة بنفسه وأهل بيته وأصحابه، واخذ دونه الأبواب والطرق والمسالك لعنهم الله جميعا بما جنوه واقترفوه.

هذه أهم الوجوه لعبارة (تَنَقَّبَتْ) وقد تركنا وجوها أخرى لعدم أهميتها أو لدخولها تحت احد الوجوه التي ذكرناها آنفا.

٥: وَتَهَيَّأَتْ

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، والعبارة بالأصل هي: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً تَهيَّأَتْ لِقِتَالِكَ)، ويمكن لنا ان نتصور للفظ عدة معانٍ محتملة منها:

ألف: قد يكون معنى (تَهَيَّأَتْ) هو الاستعداد أو الإعداد لمقدمات الفعل التي لولاها لما تم، قال الفراهيدي: (والعدة: ما يعد لأمر يحدث فيدخر له. وأعددت الشيء: هيأته)[1]. وقد عرف الإعداد في الاصطلاح بأنه: (ما يلزم من مجموع وجوده وعدمه الوجود)[2].

باء: وقد يكون لفظ (تَهَيَّأَتْ) مأخوذاً من التجهيز، إذ إن واحدة من معاني التجهيز هو التهيؤ، قال محمد قلعجي في معجم لغة الفقهاء: (التجهيز: التهيؤ لأمر ما...ومنه تجهيز المجاهد: تهيئته للحرب بتدريبه وتزويده بالكراع والسلاح، وتجهيز الميت: تهيئته للدفن بتغسيله وتكفينه)[3].

ولو أخذنا التهيؤ بمعنى إعداد مقدمات الفعل أو التجهيز لأمر ما، فستكون العبارات السابقة واقصد بها عبارات (أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ) من مصاديق التهيؤ، ويكون التهيؤ معنى عاماً شاملاً لكل هذه المصاديق.

جيم: وقد يكون بمعنى استتباب الأمر، قال الفراهيدي: (واستتب له الأمر أي تهيأ)[4].

ولا يخفى ان كلا من المعنيين الأخيرين يرجعان إلى المعنى الأول؛ لان التجهيز هو عين الإعداد، والاختلاف بينهما لفظي لا غير، واستتباب الأمر كذلك لان الاستتباب لا يكون ما لم تكتمل جميع مقدمات الفعل وإعداداته. فيكون معنى عبارة الزيارة الشريفة وفقا للمعاني السابقة هو: (ولعن الله امة استعدت وأعدت

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ١ ص ٧٩.

(٢) تقريرات آية الله المجدد الشيرازي للمولى علي الروزدري ج٢ ص٢٣١.

(٣) معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي ص١٢٢.

(٤) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ١١١.

المقدمات التي أدت لقتالك، فجهزت العدة والعدد وسائر الأسباب الأخرى حتى استتب لها أمر قتالك).

دال: وقد يكون لفظ (تَهَيَّأَتْ) مأخوذاً من معنى تشوقت، قال ابن منظور في لسان العرب: (وهاء إلى الأمر يهاء هيئة: اشتاق)[1] فيكون معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (ولعن الله امة اشتاقت لقتالك).

٦: لِقِتَالِكَ

الظاهر ان اللام[2] في لفظ (لِقِتَالِكَ) قد جاءت هنا بمعنى (التعليل) مثلها مثل قول القائل (زرتك لشرفك) أي ان شرفك وعلو منزلتك هو علة زيارتي لك، فيكون معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (ان قتالك هو العلة والسبب الذي من اجله تنقبت هذه الأمة وأسرجت وألجمت وتهيأت فاستحقوا اللعن من الله والعذاب الأليم).

وقد جزم البعض بأن (معنى اللام في الأصل، هو الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معانٍ أخر، وإذا تؤملت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعددة، ألا ترى ان من معانيها المشهورة التعليل، قال بعضهم: وهو راجع إلى معنى الاختصاص، لأنك إذا قلت جئتك للإكرام دلت اللام على ان مجيئك مختص بالإكرام. إذ كان الإكرام سببه، دون غيره)[3]، فيصبح معنى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة فيما لو أخذنا اللام فيها بمعنى

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ١٨٩.

(٢) قال الحسن بن قاسم المرادي في كتابه الجنى الداني في حروف المعاني ص٩٥: (اللام حرف كثير المعاني والأقسام. وقد افرد لها بعضهم تصنيفا، وذكر لها نحوا من أربعين معنى...).

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني ص١٠٩.

الاختصاص هو: (ان الإسراج والإلجام والتنقب والتهيؤ من هذه الأمة الملعونة مختص بقتالك، إذ كان القتال سببه دون غيره).

واما (الكاف) في (لِقِتَالِكَ) فضمير متصل يشير إلى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، أما لماذا خصت الزيارة الشريفة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقولها (لقتالك) ولم تقل (لقتالكم) بحيث يشمل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية أفراد أهل بيته وإخوته وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فلان المقصود الرئيس والأساس من ذلك الإعداد والتحشيد لذلك الجيش الجرار الذي شكله يزيد بن معاوية وابن مرجانة وعمر بن سعد لعنهم الله هو القضاء على شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، دون غيره، ومن تبقى من أهل بيته وأولاده وأصحابه مطلوب من قبلهم بالتبع، وإنما جرى عليهم ما جرى بسبب نصرتهم له ووقوفهم في صفه، وللإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ليلة عاشوراء تصريح مهم يوضح هذه الحقيقة وأبعادها، قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد «لعنه الله»، أمر مناديه فنادى: إنا قد أجلنا حسينا وأصحابه يومهم وليلتهم، فشق ذلك على الحسين «عليه السلام» وعلى أصحابه، فقام الحسين «عليه السلام» في أصحابه خطيبا، فقال: اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحابا هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري)[1].

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٢٠.

وقال الطبري: (فلما كان الليل قال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا بدأهم بهذا القول العباس بن علي)[1] وفي هذين النصين دلالة واضحة على ان القوم كانوا يقصدون بالأساس قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لكنهم لما تيقنوا بأنهم لن يصلوا إليه إلا بقتل أهل بيته وأصحابه وأولاده بدأوا بهم فاستأصلوهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما (قِتَال) وهو بكسر القاف مصدر قاتل، وقد أوردنا في عبارة سابقة من عبارات الزيارة ان له معاني متعددة منها:

ألف: قال محمد القلعجي: (القتال بكسر القاف مصدر قاتل، ويقصد به الحرب والمدافعة بالسلاح)[2] سواء أدت هذه المدافعة إلى القتل وإزهاق النفس أو لم تؤدي، وذلك لان القتال أعم من القتل قال ابن منظور في لسان العرب: (وليس كل قتال بمعنى القتل)[3].

باء: وقد يأتي القتال بمعنى القتل، واللعن، والإبعاد[4]، أو بمعنى إنزالهم منزلة المقتول الهالك لا يعتد بوجودهم ولا يؤخذ بقولهم.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد القلعجي ص٣٥٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج١١ ص٥٤٩، تاج العروس للزبيدي ج١٥ ص٦٠٩، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٤ ص١٣.

(٤) المصدر السابق.

المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟

الذي يظهر من المعنى اللغوي السابق ان هذه الأصناف الأربعة وأقصد بهم كل من أسرج وألجم وتنقب وتهيأ لم يشتركوا في القتال أصلا، أو أنهم اشتركوا ولم يباشروه، إذ لو كانوا قاتلوا وباشروا الحرب لما صح إطلاق وصف (تهيأت) عليهم لان المباشر للقتال لا يقال عنه متهيئ ألبتة، وكذلك من قاتل وسفك الدم لا يعير أو يعاب عليه بأنه قد أسرج وألجم وتنقب، لان سفكه للدم الحرام أعظم من إسراجه وإلجامه وتنقبه، إذن فهذه الفقرة الشريفة من الزيارة تتحدث عن فئة من الأمة لم تشارك في القتال أو أنها شاركت ولكنها لم تباشر ذلك بنفسها، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا لعنت هذه الأصناف بالرغم من عدم مشاركتها أو مشاركتها وعدم مباشرتها للقتال والقتل؟ مع ان النصوص الشريفة من العامة والخاصة تصرح بأن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ولا يحاسب عليها.

ومن هذه النصوص ما عن الكافي عن ابن بكير، عن أبي عبد الله أو عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال: (إن آدم (عليه السلام) قال: يا رب سلطت علي الشيطان وأجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا، فقال: يا آدم جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة ومن همَّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرا)[1].

وقد عد الشيخ الصدوق ذلك من جملة اعتقادات الإمامية فقال قدس الله روحه: (اعتقادنا في ذلك أنه ما من عبد إلا وله ملكان موكلان به يكتبان عليه جميع أعماله. ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتب له عشر حسنات، وإن همّ بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإن عملها كتب عليه سيئة واحدة. والملكان

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٤٠ باب فيما أعطى الله عز وجل آدم عليه السلام وقت التوبة الحديث رقم١.

يكتبان على العبد كل شيء حتى النفخ في الرماد)[1].

ومن طرق العامة ما أخرجه جلال الدين السيوطي في الدر المنثور عن كل من : (ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال من همّ بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها)[2].

والجواب عن هذه الشبهة يكمن في فهم أقسام الهمّ بالسيئة، والفرق ما بين الهمّ الذي تحدثت عنه الأحاديث السابقة وبين التهيؤ والتنقب الذي تحدثت عنه الفقرة الشريفة من الزيارة، ومن هذه الأقسام ما يأتي :

القسم الأول: لو همّ المكلف بما يكون مشتركا ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه

كمن هم بشراء سيف من شأنه الاستعمال في الجهاد أو قتل النفس المحترمة، أو بنى سطحا أو منارة تصلح للأذان ولإلقاء مؤمن من عليها، مع عدم قصده للقتل والإلقاء، إلى غير ذلك مما لا يحصى، ولا خلاف بين المسلمين ان همّاً نفسانيّاً كهذا لا يعاقب عليه المكلف، ولا يذم ولا يعد قبيحا.

القسم الثاني: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

كمن هم بالزنا ولم يفعل، أو كمن هم بشراء سيف ليقتل مؤمنا لكنه لم يحرك عضلاته لشرائه، أو هم بشراء سلم ليصعد عليه لسرقة دار احد جيرانه لكنه لم

(١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ٦٨ باب الاعتقاد فيما يكتب على العبد.

(٢) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج ٤ ص ٣٥٢

يفعل، أو هم بشراء عنب ليعمله خمرا ولكنه لم يفعل، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وهذا القسم وان كان قبيحا عقلا وشرعا إلا ان الله سبحانه تفضل على عباده بأن لم يؤاخذهم على ما همّوا به ولم يعملوه، وهذا القسم هو الذي تحدثت عنه روايات من همّ بسيئة ولم يعملها والتي سبق ذكر بعض منها.

وربما فصل البعض أكثر فقال: (إن الذي في النفس على قسمين؛ وسوسة وعزائم، فالوسوسة: هي حديث النفس وهو المتجاوز عنه فقط، وأما العزائم: فكلها مكلف بها، وأما قوله لم يكتب عليه فعائد إلى المفهوم به لا على العزائم إذ مالا يفعل لا يكتب وأما العزم فمكلف به لقوله يحاسبكم به الله)[1].

وربما قسم البعض الآخر الخواطر وما يهم به الإنسان إلى قسمين؛ الأول ما يوطن الإنسان نفسه على إتيانه وهو غير معفو عنه، والثاني ما لم يوطن الإنسان نفسه عليه وهو المعفو، قال (القاضي أبو بكر بن الطيب: إن الإنسان يؤاخذ بما وطن عليه بضميره، وعزم عليه بقلبه من المعصية)[2]وقال القرطبي بعد ذكره لكلام القاضي أبي بكر بن الطيب ما نصه: (وهذا الذي صار إليه القاضي هو الذي عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، ولا يلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يهم الإنسان به وإن وطن عليه لا يؤاخذ به. ولا حجة له في قول عليه السلام: «من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة» لان معنى «فلم يعملها» فلم يعزم على عملها)[3].

أقول: الذي يظهر لي وبعد تتبعي لنصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة

---

(١) شرح سنن النسائي لجلال الدين السيوطي ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢١٥.

(٣) المصدر السابق.

المطهرة ومعاجم اللغة، ان الهم بالشيء اعم من العزم فيشمل العزم وغيره، قال ابن منظور في لسان العرب: (وهم بالشيء يهم هما: نواه وأراده وعزم عليه)[1]، بل ربما أطلق لفظ (الهم أو الهمة) في النصوص القرآنية والروائية وأريد بها العزم، نظير قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[2] والآية كما هو المشهور نزلت في (طائفة عزموا على أن يغتالوا سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سفر)[3]، وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في التي راودت نبي الله يوسف صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عن نفسه ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾[4] والإجماع قائم على أنها عزمت على إغوائه، ولم تكتف بحديث النفس، ومنها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾[5] قال أبو هلال العسكري في معجم الفروق اللغوية: (أي صمموا النية وعزموا عليه، فيرادف العزم)[6] إلى غير ذلك من شواهد كثيرة تؤكد على ان الهم بالشيء يشمل العزم وغيره، نعم يمكن ان يعدّ العزم آخر مرحلة من مراحل الهم بالشيء، إلا ان ذلك لا يمنع من دخوله تحته وشموله به، فإذا كان كذلك شملته أحاديث (من همّ بسيئة) التي سبق ذكرها في بداية هذا المبحث، فلا داعيَ حينئذ لإخراجهم العزم من عموم تلك الأحاديث.

ولكن ينبغي التأكيد على ان ليس مطلق الهم أو العزم لا يحاسب عليه ولا يؤاخذ الإنسان عليه، فالأعمال كما هو معلوم على قسمين، فمنها ما هو قلبي

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٦٢٠: ٦٢١.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٧٤.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٦٢٠: ٦٢١.

(٤) سورة يوسف الآية رقم ٢٤.

(٥) سورة المائدة الآية رقم ١١.

(٦) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

كالإيمان والكفر والنفاق، والتولي والتبري، والمحبة والعداوة، والرضا والسخط، وغير ذلك مما لا يحصى ذكره، وهذا القسم قوامه وأساسه هو العزم والنية وتوطين النفس، إذ ليس الكفر إلا إنكار القلب وتوطين النفس على الجحود بالله وبرسله وإنكار الشرائع والكتب، ولا خلاف بين المسلمين بأن من همّ أو عزم على شيء من هذا وغيره من معاصي القلب والباطن، لا يعفى عنه ولا يكون مشمولا بأحاديث من همّ بسيئة، فمن هم وعزم على الكفر كفر وان لم يظهر ذلك على أفعاله، ومن أحب عمل قوم سخط الله عليهم عد منهم، ومن سخط على قوم تولاهم الله خرج عن الصراط السوي.

ومن الأعمال ما يحتاج إلى حركة البدن وإعمال العضلات إضافة إلى النية والعزم وهي من الكثرة ما لا تحصى، كالسرقة والزنا وشرب الخمر وغير ذلك، فهذه الأعمال السيئة خطرها الكبير وفسادها العظيم هو في تحققها في الخارج وخروجها من مرحلة الهمة والعزم إلى مرحلة الفعل والتنفيذ، أما ما دامت محبوسة في النفس ومسيطراً عليها من قبل المكلف فإن ضررها طفيف لا يعتد به، وان كان ينبغي للمؤمن أن يطهر نفسه وينزه قلبه عن كل ما لا يرضي الله ويستجلب سخطه، لكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن عظيم منّه وكبير إحسانه على هذه الأمة المرحومة عفا عن كل ما يهم به العبد ما لم يتجسد هذا العزم والهم بالسيئة بالخارج.

وقد أجاد بعض الأفاضل في لزوم تخصيص أخبار العفو عمن همّ بسيئة ولم يعملها بما لا يكون داخلا تحت نية إيصال الأذى بشتى أنواعه وأقسامه إلى شخص النبي أو من له منزلة كمنزلة النبي حيث قال: (والأولى أن يخصص أخبار العفو بما عدا نية قتل الأنبياء وأوصيائهم، ونية إيذائهم ونية هدم الكعبة وغيرها من المساجد)[1].

(١) تعليقة على معالم الأصول للسيد علي الموسوي القزويني ج ٣ شرح ص ٦١٠ ـ ٦١١.

القسم الثالث: لو هم المكلف بما هو محرم، أو هم بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

كمن هم بقتل مؤمن فذهب واشترى سيفا لهذا الغرض، أو كمن هم بالزنا فسافر من مكان إلى آخر لأجل ذلك، أو كمن هم بالاشتراك بحرب ضلالة فلبس السلاح وتجهز للخروج، ولا خلاف بين طوائف المسلمين ان من تلبس بمقدمة من مقدمات الحرام فقد تلبس بأصل ذلك الحرام، قال السيد علي الموسوي القزويني: (وعن السيد الداماد: إنه نسب إلى فقهائنا وفقهاء العامة وأصولينا وأصوليهم أنهم قد اتفقوا على أن العزم على المعاصي ونيتها مما لا يترتب عليه عقاب ومؤاخذة ما لم يتحقق التلبس بالمعصية)[1].

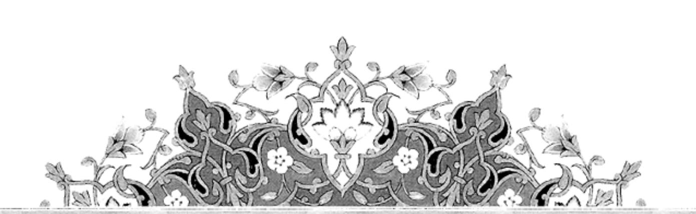
وكذلك اتفق الفريقان من المسلمين على ان من نوى الحرام وعزم على الإتيان به وجاء ببعض مقدماته فعرض له عارض قهري حال ما بينه وبين إتمام ذلك الفعل الحرام، فان أحاديث من هم بسيئة ولم يعملها لا تشمله البتة، ولهذه المسألة شواهد نبوية عديدة منها: (عن ابن مسعود قال من هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ولو أن رجلا كان بعدن إبين حدث نفسه بان يلحد في البيت والإلحاد فيه أن يستحل فيه ما حرم الله عليه فمات قبل أن يصل إلى ذلك أذاقه الله من عذاب أليم)[2] وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فمات قبل ان يصل إلى ذلك) دلالة على انه جاء ببعض المقدمات ولكن الموت حال ما بينه وبين إتمام ما هم به من الإلحاد في البيت الحرام، ومع انه لم يصل إلى مراده إلا ان العذاب قد أدركه.

---

(١) المصدر السابق ج ٣ شرح ص ٦١١ ـ٦١٢.

(٢) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج ٤ ص ٣٥٢.

واللعن الذي توجه في الزيارة إلى الأمة التي أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيأت لقتال الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ داخل ضمن هذا القسم الثالث، فان هذه الأصناف الأربعة لو سلمنا بعدم مباشرتها القتال إلا أنها أتت بعدة مقدمات من مقدمات القتال، أي أنها أخرجت ما كان مضمرا في النفس إلى الخارج، وتلبست بالمعصية، والمتلبس بالمعصية أو بمقدمة من مقدماتها يحاسب ويعاقب، ولا تشمله أحاديث العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها، فيدخل في ضمن من قاتل والمقاتل ملعون كما أثبتنا ذلك في مباحث سابقة.



بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة.

١: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. ٢: لَقَدْ.

٣: عَظُمَ. ٤: مُصَابِي. ٥: بِكَ.

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة.

أولا: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟

ثانيا: التاثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجما مع عظم المصاب.

ثالثا: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عَبرة أم عِبرة؟

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ

في هذه الفقرة الشريفة كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لقد جاءت هذه العبارة الشريفة من الزيارة في متون كثير من الزيارات الأخرى، فخطاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعبارة (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي) قد وردت على سبيل المثال في الزيارة المروية عن مصباح المتهجد للشيخ الطوسي قدس الله روحه في الصلاة على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما والتي جاء فيها : (اللهم صل على الحسن والحسين عبديك ووليبك وابني رسولك وسبطي الرحمة وسيدي شباب أهل الجنة... السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله...بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله لعن الله قاتلك ولعن الله خاذلك ولعن الله من سمع واعيتك فلم يجبك...)[1].

أما عبارة (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) فهي وان لم تأتِ بالنص في نصوص

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٤٠١ ـ ٤٠٢.

الزيارات التي سمح لي الوقت بمراجعتها إلا أنها وبلا أدنى شك قد ذكرت بالمعنى في الكثير من متون الزيارات المعتمدة والمذكورة في الكتب المعتمدة منها ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في زيارة طويلة نختار منها محل الشاهد (السلام عليك يا أبا عبد الله إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله، وما أعظم مصيبتك عند من عرف الله عز وجل، وأجل مصيبتك عند الملأ الأعلى، وعند أنبياء الله وعند رسل الله. السلام مني إليك والتحية مع عظيم الرزية... بأبي أنت وأمي يا سيدي، بكيتك يا خيرة الله وابن خيرته، وحق لي أن أبكيك، وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذري ان لم أبكك، وقد بكاك حبيب ربي، وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم، وبكاك من دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعا عليك... بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، صلى الله عليك)[1].

وفي تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي قدس الله روحه: (بأبي أنت وأمي ما أجل مصيبتك وأعظمها عند الله تعالى، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند أبيك، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند الملأ الأعلى وما أجل مصيبتك وأعظمها عند شيعتك خاصة)[2]

وعبارة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ) والتي سبق شرحها فيها إشارة واضحة إلى هذا المعنى، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أعرضنا عنها خوف الإطالة.

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٤٠٢ ـ ٤١٦.

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦ ص٥٩.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي

معنى هذه العبارة الشريفة هو (أفديك بأبي وأمي لو وقع بك بلاء أو نزل بك مكروه) وفيه دلالة على (تقديم المفدى في المحبة والإعزاز على الوالدين)[١]، قال الخليل الفراهيدي: (بأبأ: البأبأة: قول الإنسان لصاحبه: بأبي أنت، ومعناه: أفديك بأبي)[٢].

وقال ابن الأثير: (والباء الأولى في بأبي أنت وأمي متعلقة بمحذوف، قيل هو اسم فيكون ما بعده مرفوعا تقديره: أنت مفدى بأبي أنت وأمي. وقيل هو فعل وما بعده منصوب: أي فديتك بأبي وأمي، وحذف هذا المقدر تخفيفا لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب به)[٣].

وقد وقع الاختلاف حول صحة التفدي بالأبوين حال موتهما؛ لان البعض ذهب إلى عدم استحسان التفدي بمن هو ميت لعدم الفائدة بمثل هذا التفدي قال الميرزا أبو الفضل الطهراني: (وتتوقف صحة الاستعمال على حياة المخاطب وحياة الوالدين لان الميت لا يفدي ولا يُفدّى)[٤] وقال في موضع آخر: (فيصح ـ أي الفداء ـ ان كانا حيين ويبطل عند موتهما)[٥].

---

(١) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور للعلامة الحاج ميرزا ابي الفضل الطهراني ترجمة وتحقيق محمد شعاع فاخر ج١ ص٣٩٧.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٨ ص٤١٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص ٢٠.

(٤) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور للعلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني ترجمة وتحقيق محمد شعاع فاخر ج١ ص٣٩٧.

(٥) المصدر السابق ص٣٩٩.

واشترط البعض الآخر عدم إسلام الأبوين ليمكن التفدي بهما، قال محيي الدين النووي: (ومن العلماء من منعه ـ أي التفدي ـ إذا كانا مسلمين)[1].

والصحيح ان التفدي بالأبوين لا يشترط حياتهما ولا عدم إسلامهما، لان التفدي غالبا لا يراد منه المعنى الحقيقي للتفدي، وإنما هو مما تعارف استعماله عند العرب لإظهار وإفهام الشخص المفدى أنه عزيز في نفس القائل إلى غاية أنه أرجح من أبيه وأمه بحيث يفديه بهما، وإليه ذهب المولى صالح المازندراني: («بأبي وأمي» كلمة معتادة للعرب يقال لمن يعز عليهم، ولا يختلج في وهمك أنه كيف يحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة لأنه لا بشرط في إطلاقها...وليس الغرض منها تحقيق الفدية بل تخييلها وإيهامها للاسترقاق وتخييل المقول له أنه عزيز في نفس القائل إلى غاية أنه أرجح من أبيه وأمه بحيث يفديه بهما)[2] وقال في موضع آخر: («بأبي وأمي أنت» هذه الكلمة لإظهار عزة المخاطب وبيان أنه عزيز في نفس القائل حتى أنه أرجح ممن هو أقرب الخلق إليه وأعز عليه وهو أبواه بحيث يفديه بهما ولا يشترط في ذلك وجودهما)[3].

وقال محيي الدين النووي: (بأبي وأمي معناه أفديك بأبي وأمي من كل مكروه ويجوز أن يقول الإنسان فداك أبي وأمي سواء كان أبواه مسلمين أم لا هذا هو الصحيح المختار)[4].

إضافة إلى وجود كم هائل من الأحاديث التي يظهر منها جواز التفدي بالأبوين الميتين المسلمين منها قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (ألا بأبي وأمي هم من عدة

---

(١) المجموع لمحيي الدين النووي ج ٢ ص ٣٥.

(٢) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٤ ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٩٩.

(٤) المجموع لمحيي الدين النووي ج ٢ ص ٣٥.

أسمائهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة)[1] ومن المتيقن ان أبوي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونا على قيد الحياة وقت التفدية.

٢: لَقَدْ

(اللام) واقعة في جواب قسم محذوف، والتقدير (والله لقد عظم مصابي بك) أو غيرها من ألفاظ القسم، أما (قَدْ) فحرف إذا دخل على الفعل الماضي كما هو الحال في عبارة (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) فيفيد ثلاثة معانٍ:

الأول: التوقع، كما في قول القائل (قد خرج زيد) قال صاحب كتاب الجنى الداني في حروف المعاني: (وأما مع الماضي فتدل على انه ـ الفعل ـ كان متوقعا منتظرا، ولذلك يستعمل في الأشياء المترقبة...)[2] وهذا المعنى محتمل المراد في عبارة الزيارة، فبعد ان عددت الزيارة الشريفة مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على نحو العموم، ومصائب سيد الشهداء على نحو الخصوص، وأوضحت الزيارة ان هذه الفاجعة قد عظمت على جميع أهل السماوات، فمن الطبيعي والمتوقع ان يعظم هذا المصاب على الزائر أيضا سواء كان هذا الزائر هو الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه أو غيره من عامة المؤمنين، إذن فحزن المؤمن الزائر بعد كل ذلك الشرح والتبيان لمصائب سيد الشهداء متوقع منتظر، لذلك صح استخدام الحرف (قد) بمعنى التوقع.

الثاني: التقريب، قال ابن الخباز: (إذا دخل «قد» على الماضي اثر فيه معنيين: تقريبه من زمن الحال وجعله خبرا منتظرا. فإذا قلت قد ركب الأمير فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك)[3]. ويمكن تطبيق هذا المعنى على عبارة الزيارة بأن لفظ (عَظُمَ

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني صنعة الحسن بن قاسم المرادي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ص٢٥٦، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٣) المصدر السابق ص٢٥٧.

مُصَابِي بِكَ) وان كانت قد وقعت بصيغة الماضي إلا ان ذلك لا يعني انتهاءها واضمحلالها، فعظيم المصاب وغصة الاكتئاب ما زالت ناره مستعرة في قلب الزائر بل في قلب المتذكر لرزايا سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه على مر الليالي والأيام، فإدخال «قد» على هذه الجملة تقرب الماضي إلى الحاضر وتجعل منه حالا للزائر.

الثالث: التحقيق والإثبات نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] والمعنى ان الفلاح متحقق للمؤمنين ثابت لهم لا محالة، فيصبح معنى (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) ان عظم المصيبة بك متحقق ثابت في النفس وليس هو أمراً مدعى متظاهراً به من قبل الزائر، أو ان عظم المصاب له واقعية وثبوت تكويني حقيقي، وكما ان للإيمان صفة تكوينية حقيقية ثابتة هي الفلاح كذلك يوجد لمصاب سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه صفة تكوينية متحققة ثابتة هي عظم هذا المصاب في العالم الواقعي.

وكيف لا تكون كذلك وقد وصف الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه عظيم رزية أبيه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (قتل أبو عبد الله وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي لا مثلها رزية أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان في لجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون يا أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليه أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم)[2].

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١.

(٢) لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص٢٤٤.

٣: عَظُمَ

وهو فعل ماضٍ مشتق من المصدر (عظم) وهو بمعنى الشيء الجليل، والنازلة الفظيعة، والملمة الكبيرة الجسيمة، قال الجوهري: (عظم الشيء عظما: كبر، فهو عظيم. والعظام بالضم مثله... والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة)[1]، وقال ابن منظور: (والعظم: خلاف الصغر. عظم يعظم عظما وعظامة: كبر)[2]، وقال أيضا: (قد جسم الشيء أي عظم)[3].

٤: مُصَابي

و(مُصَاب) قد يكون مصدرا ميميا بمعنى الإصابة قال ابن منظور: (والمصاب: الإصابة)[4] وكذا قال الجوهري[5] في الصحاح.

٥: بكَ

الظاهر ان الباء هنا ظرفية (وعلامتها ان يحسن في موضعها «في» نحو ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[6]وهي كثيرة في الكلام)[7]، و(الكاف) كما لا يخفى ضمير للمخاطب يرجع لشخص سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

(١) الصحاح للجوهري ج ٥ ص ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٤١٠.

(٣) المصدر السابق ج ١٢ ص ٩٩.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٥٣٦.

(٥) الصحاح للجوهري ج ١ ص ١٦٥.

(٦) سورة آل عمران آية رقم ١٢٣.

(٧) الجنى الداني في حروف المعاني صنعة الحسن بن قاسم المرادي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ص٤٠، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة

يمكن من خلال التأمل في كلمات هذه العبارة الشريفة من الزيارة ان نستنتج عدة من النقاط المهمة التي نلخص بعضا منها فيما يأتي :

أولا: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟

وقع التأكيد على عظم المصيبة في عدة فقرات من زيارة عاشوراء كما في فقرة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ) والتي سبق شرحها، ومنها فقرة (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) والتي نحن في صدد شرحها، ومنها فقرة (وَأَسْأَلُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) ومنها عبارة (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيَّتِي).

وهذا التكرار والتذكير بمسألة عظم المصيبة وشدة الفاجعة يأتي ضمن منهج تربوي دقيق خضعت له فقرات الزيارة الشريفة، فالتكرار كما لا يخفى له أهمية كبيرة، وفوائد جسيمة ومتعددة، منها ان التكرار يفيد في كثير من حالاته تهويل وإعظام ذلك الأمر المكرر، وشواهده في القرآن كثيرة، وكذلك يمكن أن يأتي التكرار للتأكيد، ومن فوائد التكرار لزيادة الإفهام للشخص السامع، والتكرار يركز في النفس والعقل الفكرة أو المفهوم الذي يكرر من قبل القائل، وربما كان التكرار ضروريا فيما لو اختلف الشيء المكرر من حيث الإجمال والتفصيل أو المبهم والمبين، فما كان مبهما أو مجملا جاز تكراره مع زيادة تفصيل وتبيين، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا مجال لاستقصائها.

وكل هذه الفوائد والموارد قد تحققت في الفقرات المكررة من زيارة عاشوراء، وعليه فتكرار عظم المصيبة وشديد الرزية للتأكيد وإعظام وتهويل تلك الجريمة التي ارتكبت بحق سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، ولزيادة الإفهام والتفصيل لسعة رقعة واتساع هذه الرزية، ففي إحدى تلك الفقرات المكررة يوضح الإمام تأثير هذه المصيبة والرزية العظيمة في أهل الإسلام وأهل السماوات والأرض، وفي فقرة ثانية يوضح تأثيرها في شخص الزائر، وفي فقرة ثالثة يبين مدى تأثيرها في أهل الإسلام وفي أهل السماوات وأهل الأرض، وهنالك كما لا يخفى فرق شاسع بين الإسلام وأهل الإسلام، وبين السماوات والأرض وأهل السماوات والأرض، فالزاوية التي ينظر من خلالها إلى عظم المصيبة والرزية مختلفة، ومقاصد الكلام متنوعة، فيكون التكرار جائزاً بل مستحسناً.

ثانيا: التآثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجما مع عظم المصاب

كلما عظمت محبة انسان ما وأهميته، عظم التأثر بفقده، وزاد ألم فراقه، فحينما يفقد الإنسان صديقا له فانه يتأثر، لكن تأثره لا يساوي شيئاً بالنسبة إلى فقد هذا الإنسان لأحد أبويه أو لأعز أبنائه، وعليه ينبغي ووفق هذا المبدأ ان يكون التاثر بمصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته والأئمة المطهرين من أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اعظم واكبر من التأثر على فقد الاصدقاء والابوين واعز الاولاد، وذلك لانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث الأهمية اعظم بما ليس له وجه قياس، إضافة إلى ان التوجيهات النبوية ألزمت الامة بضرورة ان يكون لشخصه المقدس صلى الله عليه وآله وسلم ولاهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مكانة في القلوب ومحبة تعظم على محبة الاهل والاولاد، فبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنقذنا الله من ظلمة الجهل الى نور الايمان، وبهم أنقذنا الله من شفا جرف الهلكات ومن النار، وبهم علمنا الله معالم ديننا، وبهم أخرجنا الله من الذل

والامتهان الى العز والكرامة، وما أجمل ما كان يقوله الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عند ذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (بأبي وأمي وقومي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله عز وجل يقول في كتابه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] فبرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنقذوا)[2].

وبناء على ذلك فينبغي على المؤمن أن يكون حاله عند ذكر مصائب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومصائب جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الطاهرة فاطمة الزهراء وأخيه الإمام الحسن وبقية أبنائه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما كان له أن يكون عند فقدان أخص أهله به وأقربهم إليه، وهو اقل مراتب المواساة، وإلا فينبغي على من كان عارفا بحق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، ومقدار ما جرى عليه من ظلم وضيم، ان لا يقنع إلا بان تكون مرتبة مصيبته متناسبة مع مرتبة المصاب الذي داهم الإسلام واذهب حرمته، وهو متفاوت من شخص لآخر بحسب المعرفة ودرجاتها.

وأعظم هذه الدرجات في التفجع والاكتئاب تجدها عند الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم اعرف الناس بعد الله سبحانه وتعالى بمصاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جرى عليه وما بلغ من تأثير مصيبته في الدين بل في سائر أرجاء هذا الكون، وفي الزيارة المنسوبة إلى الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه كلمات عجيبة وحالات لا يمكن لأمثالي أن يتصوروها ويدرك سرها، لاسيما خطابه للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون،

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٦٦.

الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب)[1].

فيتضح من خلال قوله صلوات الله وسلامه عليه: (السلام عليك سلام العارف بحرمتك) ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يتكلم من وحي معرفته بواقع ومستوى المصاب وهو مستوى ليس سهلا على الإنسان العادي والسطحي فهمه وإدراكه، وهو صلوات الله وسلامه عليه ونتيجة هذه المعرفة يتخذ موقفه الحزين الذي يمكن أن يصل إلى مستوى البكاء بدل الدموع دما، ودوام الحسرة والتأسف والتلهف وان بلغت به لوعة المصاب وغصة الاكتياب إلى الموت.

فيلزم والحال هذه على سائر أتباع مذهب أهل البيت أن يتشبهوا بأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم فيكثروا من الضجيج والبكاء ودوام الحزن والعزاء، على مر الليالي والأيام، شأنهم في ذلك شأن إمامهم الغائب صلوات الله وسلامه عليه الذي يندب جده الإمام الشهيد صباحا ومساء، ويبكي عليه بدل الدموع دما، ويكون شعارهم في كل ذلك: (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ).

بل ويلزم على أتباع مذهب الحق ان يظهروا الحزن والتأسف والبكاء على سائر مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم امتثالا لما ورد في الزيارة الجامعة الشريفة: (فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما، فليبك الباكون، وإياهم

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٥٠٠ ـ ٥٠١.

فليندب النادبون، ولمثلهم فلتدر ـ فلتذرف ـ الدموع، وليصرخ الصارخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون. أين الحسن أين الحسين، أين أبناء الحسين، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم. أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية، أين المعد لقطع دابر الظلمة...)[1].

ثالثا: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عَبرة أم عِبرة؟

سؤال كثر حوله الكلام في السنين الأخيرة، وهو ما هو الموقف الذي يجب ان يتخذه الإنسان الموالي لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته العادل وما مر عليه من مصائب ومحن وما مورس ضده وضد أهل بيته وأصحابه من ظلم وتعسف؟

فذهب البعض إلى ان الموقف لابد ومن حيث المبدأ ان يتصف بالتأثر والمأساوية تجاه كل ما وقع على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من مصائب ومحن، وان تفجر في ذكرى استشهاده انهار الدموع، وان يتم التأكيد وبالدرجة الأولى على كل ما من شأنه ان يثير الحزن ويهيج اللوعة، متمسكين في كل ذلك بالروايات الصحيحة التي نقلت لنا أحوال الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذا ما مرت بهم ذكرى يوم العاشر من المحرم، فعن أبي بصير، عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه، عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر)[2].

وعن ابن خارجة، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال الحسين بن علي

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢١٥ الباب ٣٦ ما روي أن الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى.

عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروبا وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب إلا أرده واقلبه إلى أهله مسرورا)[1].

وعن أبي عمارة المنشد قال: (ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسما في ذلك اليوم إلى الليل، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول: الحسين عبرة كل مؤمن)[2].

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا صلوات الله وسلامه عليه: (إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام)[3].

وعن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٩٨ ثواب من زار قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢١٤ ـ ٢١٥ الباب ٣٦ ما روى أن الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص١٩٠حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشورا يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد ـ لعنهم الله ـ إلى أسفل درك من النار)[1].

فالروايات كما ترى واردة بلفظ العَبرة والتي هي بمعنى استجلاب الدمع أو تردد البكاء في الصدر، كذلك الروايات جعلت من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جرى عليه مصدرا من مصادر اللوعة والألم وانهمار الدمع، وان سيرة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قائمة على استذكار كل ما من شأنه ان يستدر اللوعة ويزيد البكاء.

إضافة إلى اعتماد أنصار هذا الرأي على الروايات المستفيضة التي وردت في حق الباكين والمتوجعين على مصيبة أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والتي يطول بنا المقام لو أردنا استقصاءها.

لكن هذا الكلام لم يعجب طائفة أخرى من الناس الذين رأوا أنّ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ليبكى عليه فقط، أو لينصب له مجالس اللطم والعزاء، وإنما ضحى بنفسه من اجل أهداف أسمى وغايات أعظم، فهو قد خرج لطلب الإصلاح في امة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك رأى هذا البعض ان تحجيم هذا العطاء وهذه الغايات في عقد مجالس الرثاء والنوح والبكاء ظلم لسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ولثورته العظيمة، لذلك شجع أنصار هذا التيار الفكري على إقامة المؤتمرات ومعارض الصور والرسم وكل ما لا يدخل البكاء والنوح في ضمنه، والاستغناء عن مسيرات اللطم وغيرها بالمظاهرات السلمية، ورفع اللافتات بدل رفع الأيدي ولطم الصدور.

---

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٢٢٧ الباب ١٦٢ العلة التي من اجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة.

وكم من مرة ومرة سمعنا وسمع الناس كلمات التشنيع والقدح والذم من أنصار الطائفة الثانية على أنصار ومؤيدي إقامة مجالس العزاء والبكاء في أيام عاشوراء، بذريعة ان هذه المجالس تجعل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة ـ بالفتح ـ بينما المفروض ان يكون الإمام الحسين بزعمهم عبرة ـ بالكسر ـ بينما الواقع العملي يكذب هذه الذريعة فكل مجالس الرثاء والعزاء اليوم بحمد الله تجمع ما بين العبرة ـ بالكسر ـ وما بين العبرة ـ بالفتح ـ فالخطيب يبدأ بالوعظ والإرشاد واستلهام الدروس والعبر من حياة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وباقي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ثم يجعل مسك الختام مكرساً لذكر مصائب العترة الطاهرة ورزاياهم يوم العاشر من المحرم، بل وحتى قصائد اللطم اليوم أصبحت بحمد الله عبارة عن مزيج ما بين الصور المأساوية التي حملتها ثورة عاشوراء وما بين عدة من المعالجات العقائدية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان الموالي والمؤمن بقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، فما يتمسك به المتحاملون على مجالس الرثاء والبكاء واللطم والعزاء عار عن الحقيقة ومن ورائه أسباب ودواعٍ تهدف في الغالب إلى القضاء على الشعائر الحسينية وهدمها شعيرة بعد شعيرة.

ثم إننا لم نعرف سبب إصرار بعض الأشخاص والجهات والأحزاب على جعل يوم عاشوراء يوم مسيرات ومؤتمرات سياسية مع ان التوجيه الوارد عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو جعل يوم عاشوراء يوم حزن وبكاء ومصيبة ولا أرى وجها معقولا ومقبولا لمثل هذه الأفعال غير الابتعاد الكبير ما بين هذه الأحزاب والجهات السياسية وما بين خط أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا فيما لو أحسنا الظن بهم ولم نقل ان العملية مدروسة بدقة للتغطية والتمويه على مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو الاستفادة منها لإغراض شخصية فئوية.



فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ

فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ

في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي :

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لا خلاف بين الإمامية أعزهم الله ان للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مقاما كريما عند الله سبحانه وتعالى ، شأنه في ذلك شأن سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد ورد ذكر لهذه المنزلة والمقام في متون كثير من الزيارات الشريفة ، نختار منها على سبيل الاختصار ما يأتي :

ففي كتاب المزار لمحمد بن المشهدي قال : (زيارة أخرى لهم عليهم السلام : يستحب لمن أراد زيارتهم ان يغتسل أولا ثم يأتي بسكينة ووقار ، فإذا ورد إلى الباب الشريف وقف عليه وقال : يا موالي يا أبناء رسول الله ، عبدكم وابن أمتكم ، الذليل بين أيديكم ، والمضعف في علو قدركم ، والمعترف بحقكم ، جاءكم مستجيرا بكم ، قاصدا إلى حرمكم ، متوسلا إلى مقامكم ، متوسلا إلى الله بكم)[1].

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٨٨.

ومنها ما جاء في الزيارة الجامعة الشريفة: (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وارفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع. حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق، ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه)[1].

وفي فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا) التي سبق ذكرها وشرحها تصريح واضح لهذا المقام والمنزلة، وهذه العبارة واللاتي قبلها وان وردت في حق أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ عموما، إلا أن الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ داخل ضمنها لأنه صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فرد من أفراد أهل هذا البيت الطاهر صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وفي كتاب المزار للشهيد الأول قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ: (يا مولاي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أمتك الذليل بين يديك والمصغر في علو قدرك والمعترف بحقك جاءك مستجيرا بك قاصدا إلى حرمك متوجها إلى مقامك متوسلا إلى الله تعالى بك أأدخل يا مولاي أأدخل يا ولي الله أأدخل يا ملائكة الله الحافين المحدقين بهذا الحرم المقيمين في هذا المشهد)[2] وفيه نص صريح بذكر المقام الكريم لأبي عبد الله صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إذ لولا تكريم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمقامه وإعزازه وتفضيله لما صح التوسل به والتوجه إلى الله بواسطته.

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٢) المزار للشهيد الأول ص١٥٥.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: فَأَسْأَلُ اللّهَ

الـ (الفاء) حرف ابتداء جاء لاستئناف جملة جديدة، لا تشريك فيما بينها وبين الجملة السابقة.

و(أَسْأَلُ) مشتقة من السؤال أو المسألة وهي بمعنى الاستعطاء أو الطلب، قال ابن منظور: (وسألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالا ومسألة، قال ابن بري: سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه)[١].

وقال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: (والسؤال والطلب معناهما واحد)[٢].

وأما لفظ الجلالة (اللَّهَ) فهو معلوم المعنى بديهي الدلالة.

٢: الَّذِي أَكْرَمَ

و(الَّذِي) من الأسماء الموصولة وهو في محل نصب نعت ـ صفة ـ للفظ الجلالة.

و(أَكْرَمَ) من التكرم بمعنى التنزه والترفع، قال الخليل الفراهيدي: (وتكرم «عن الشائنات» أي: تنزه، وأكرم نفسه عنها ورفعها)[٣]، وقال ابن منظور: (وتكرم عن الشيء وتكارم: تنزه)[٤].

وقد يكون بمعنى الإعزاز والمحبة، قال ابن منظور: (وأعززته: أكرمته وأحببته)[٥].

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٣١٩.

(٢) التبيان للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٦.

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٥ ص ٣٦٨.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٥١٢.

(٥) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٣٧٥.

وقد يكون بمعنى التفضيل والاختيار، قال الشيخ الطريحي: (قوله ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[1] أي أخبرني عن هذا الذي كرمت علي أي فضلته واخترته علي وأنا خير منه)[2]. وقد يكون بمعنى الإعظام والتبجيل، قال ابن منظور: (وأكرم الرجل وكرمه: أعظمه ونزهه)[3].

٣: مَقَامَكَ

والـ(مَقَامَ) تارة يطلق ويراد منه المعنى المادي فيقصد منه الإقامة إذا كان مفتوحا، أو موضع القيام إذا كان مضموما، قال ابن منظور: (وأما المَقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج وهذا مدحرجنا. وقوله تعالى: لا مقام لكم، أي لا موضع لكم، وقرئ لا مقام لكم، بالضم، أي لا إقامة لكم. وحسنت مستقرا ومقاما، أي موضعا)[4].

وتارة يطلق الـ(مَقَامَ) ويراد به المعنى المجازي أو المعنوي، فيكون بمعنى المنزلة الحسنى، فتقول فلان ذو مقام عند السلطان، أي ذو منزلة حسنة عنده، وكل من المعنى المادي والمعنوي المجازي يمكن ان يكون مقصودا في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة لما سيأتي من ان مثوى الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ومقام دفنه مما كرم وفضل وشرف من قبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما شرف منزلته ورتبته.

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٦٢.

(٢) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٣٤.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٥١٢.

(٤) المصدر السابق ص٤٩٨.

٤: وَأَكْرَمَنِي بكَ

و(وَأَكْرَمَنِي) يتبين معناها بمراجعة معنى (أَكْرَمَ) الذي سبق توضيحه آنفا، و(بِكَ) الباء هنا سببية والكاف ضمير يرجع إلى شخص الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فيكون معنى هذه الفقرة الشريفة بحسب ما مر من معانٍ لغوية هو: (فأسأل واطلب واستعطي الله الذي نزه مقامك ورفع قدرك واعز منزلتك الحسنى لديه، والذي شرف وفضل ونزه مثواك ومحل قبرك وتربتك التي فيها ثويت، والذي فضلني ونزهني وأعزني بسببك أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله).

المبحث الثالث: أنواع الكرامة الممنوحة للإمام الحسين عليه السلام

ربما أمكن تقسيم مقامات سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه التي منحها الله سبحانه وتعالى له إلى أربعة أقسام رئيسة هي كل من:

أولا: المقامات التي أعطيت لسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء مقام النبوة

وان كان المعنى اللغوي للنبوة متحققاً للإمام الحسين وسائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أيضا، وذلك لان النبي لغة مشتق من النبأ وهو الخبر فالنبي هو من اخبر عن الله سبحانه ولو بواسطة الوحي أو غير ذلك من الوسائل المعتد بها شرعا، قال الجوهري في الصحاح: (النبأ: الخبر، تقول نبأ ونبأ، أي: أخبر، ومنه أخذ النبي لأنه أنبأ عن الله تعالى، وهو فعيل، بمعنى فاعل)[1]، وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(١) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٧٤

أخبروا عن الله سبحانه وبلغوا أحكامه بوساطة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل من جبرائيل عليه السلام، فتكون نبوتهم بالمعنى اللغوي أفضل وأكمل من سائر الأنبياء.

إلا ان المعنى الاصطلاحي للنبي متفق عند سائر المسلمين على انعدامه في غير النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لوجود النص القطعي على ختم النبوة بنبوة النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)[1] فكأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد من قوله أنت مني بمنزلة هارون إعطاء منزلة الكمال الذي لولا خاتمية نبوته صلى الله عليه وآله وسلم لكان نبيا.

فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لهم منازل الأنبياء لكنهم ليسوا كذلك إجماعا، وقد مر في مبحث سابق إثبات أفضليتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سائر الأنبياء باستثناء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان أفضل من سائر الأنبياء حوى واجتمعت فيه وله سائر فضائلهم ومنازلهم.

ثانيا: المقامات التي أعطيت للنبي الخاتم وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ذكرنا في مباحث سابقة ان بعض المقامات اشترك فيها سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقسمنا هذه المنازل إلى قسمين:

القسم الأول: تلك المنازل التي منحت لهم قبل ان يخلق الله هذا العالم، وخصصنا بالذكر كلاً من:

---

(١) الكافي للكليني: ج٨، ص١٠٧. صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٠.

١ : عالم الأشباح والأنوار.

٢ : عالم الطينة.

٣ : عالم الأظلة.

٤ : عالم الذر.

٥ : عالم الأصلاب.

والقسم الثاني : تلك المنازل والمراتب التي منحت لهم بعد إيجادهم وتحقق أنوارهم في الخارج ، وقد قسمنا هذه المراتب والمنازل بحسب الإجمال إلى ثلاثة أقسام هي :

١ : مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين.

٢ : مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ : مرتبة تربية الأمة عقائديا وتزكيتهم روحيا.

وقد مر الكلام مفصلا عن كل قسم من هذين القسمين ، وبينا الروايات الدالة على تفضيلهم وتنزيههم وتكريمهم في جميع هذه العوالم ، كما وتوجد مقامات آخر لم نذكرها لبداهتها وشهرتها عند عامة الموالين نظير مقام العصمة والعلم وغيرهما من المقامات التي أصبحت من بديهيات المذهب الحق مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثالثا: المقامات التي اشترك فيها مع بعض المعصومين واختلف فيها مع البعض الآخر

لا نريد في هذا القسم إجراء إحصاء كامل لجميع المسائل التي يشترك فيها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع بعض الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي

اختلف فيها في نفس الوقت مع البعض الأخر منهم، لكننا نشير إلى البعض منها ونترك استنباط الباقي للقارئ وفطنته، وقد وقع اختياري على التالي:

١: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسيدة الزهراء والإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في انه وإياهم من أصحاب الكساء الذين جمعهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة متواترة عند الخاص والعام تحت كساء يماني أو خيبري وسماهم بأهل بيته ونزل بحقهم وشأنهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وقد تقدم الكلام عن هذه الحادثة مرارا خلال البحوث السابقة.

٢: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بأن كليهما موصوف على لسان الروايات والزيارات الشريفة بـ(ثار الله) و(قتيل الله)، ولم أجد بحسب المصادر التي بين يدي نصا أطلق لقب (ثار الله) أو (قتيل الله) على غير الإمام الحسين وأبيه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما من سائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٣: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع أخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بأنهما سبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون سائر الخلق أجمعين، وان أمهما سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها، وهي أفضل أمهات الأئمة بل أفضل من والدة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ووالدة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، على الرغم من منزلتهما وفضلهما، وإنهما سيدا شباب أهل الجنة، إلى غير ذلك الكثير من المنازل المشتركة بينهما صلوات الله وسلامه عليهما.

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣.

رابعا: المقامات التي انفرد بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن باقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

المقامات التي أعطيت لسيد الشهداء والتي اختص بها دون بقية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يمكن ان تحصى على هذه العجالة والاختصار الذي نحن فيه، وحال الباحث فيها والمحصي لها كحال من يقف أمام بحر عميق مترامي الأطراف وهو يحمل بيديه إناء صغير يريد وضع ذلك البحر في هذا الإناء، أو كالواقف أمام جبل عظيم شامخ يريد ضمه بين ذراعيه، فكما لا يستطيع الإناء ان يسع البحر الواسع، وكما لا تستطيع اليد البشرية ان تحيط بالجبل وتحتضنه، كذلك لا يستطيع جميع البشر من غير المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الإحاطة وفهم واستيعاب مقام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فالاعتراف بالقصور قبل البدء هو الأنسب بحالنا، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ومن لا يستطيع ان يصل إلى كنه مقام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فانه على اقل التقادير يستطيع ان يصل إلى بعضها من خلال ما ذكره أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنفسهم، فيمكن لمتتبع الزيارات والروايات الشريفة الصادرة في حق سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ان يعثر على بعض تلك المقامات، فمقام سيد الشهداء، وشهيد الشهداء، ومن طيف برأسه في البلدان وهو يرتل القرآن، وانه شبيه يحيى بن زكريا عليه السلام، وانه قتيل الأدعياء، هي قطرة من ذلك البحر العظيم الواسع.

إلا ان كثيرا من الأحاديث الشريفة أكدت وبشكل ملفت للانتباه على أربعة مقامات مهمة، أوضحها حديث (محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد «عليهما السلام» يقولان: إن الله «تعالى» عوض الحسين «عليه السلام» من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام

زائريه جائيا وراجعا من عمره. قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: هذا الجلال ينال بالحسين «عليه السلام» فماله في نفسه؟ قال: إن الله «تعالى» ألحقه بالنبي «صلى الله عليه وسلم» فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾)[1].

وقد ورد هذا المعنى أيضا في الزيارة المروية عن الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه والتي جاء فيها: (السلام على من جعل الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على من الأئمة من ذريته)[2].

والروايات الشريفة في استحباب الدعاء عند قبره الشريف وتحت قبته المنيفة فوق الإحصاء، كذلك الحال في استحباب التبرك بتربته واتخاذها مسبحة يسبح لله سبحانه فيها، ويسجد عليها، وتتخذ دواءً يستشفى بها من كل مرض وأمناً من كل خوف ويسراً من كل عسر، كذلك بالنسبة إلى فضل زيارته وكرامة الزائر والألطاف التي تسبغ عليه ببركة زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وواحدة من هذه الكرامات والألطاف هي ما بينته الرواية السابقة من عدم احتساب أيام زيارة زواره من أعمارهم، وفيما يأتي جملة من تلك الروايات نذكرها للقارئ الكريم تبركا وتشويقا للمقصرين وتعريفا للقاصرين، نفعنا الله وإياهم بزيارته وتربته وجميع ألطافه ومقاماته في الدنيا والآخرة.

١: بركة التربة الحسينية وعظيم منفعتها

وفيما يأتي جملة من الفوائد والبركات التي اختصت بها التربة الحسينية المقدسة:

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص٣١٧.

(٢) المزار لمحمد بن المشهدي ص٤٩٧.

ألف: ان السجود عليها يخرق الحجب السبعة

عن معاوية بن عمار قال: (كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع)[1].

وكتعليق على هذا الحديث الشريف يقول الشيخ وحيد الخراساني: (فإن السجود أعظم عبادة أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم به للاقتراب إليه...والإمام المعصوم يتوسل في سجوده الذي هو نهاية تقربه بتراب الحسين عليه السلام، لكي يخرق به الحجب السبع. فماذا يمكن أن يقال في شأن دم صار ذلك التراب بإضافته إليه خارقا للحجاب بين العبد وربه، وموصلا لعباد الله إلى منتهى كرامة الله)[2].

باء: انها شفاء من كل داء وامن من كل خوف وبأس

وفيما يخص الاستشفاء بالتربة الحسينية وكونها دواء من كل داء روى محمد بن سليمان البصري عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر)[3] وعن أبي عبد الله الصادق أيضا انه صلوات الله وسلامه عليه قال: (طين قبر الحسين فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل)[4].

لكن الأحاديث الأخرى وضعت شرطين لإمكان الانتفاع بطين قبر المولى

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٧٣٤.

(٢) منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني ج ١ ص ٣٦١ ـ٣٦٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٤٦٢.

(٤) المزار للشيخ المفيد ص١٤٤ ـ ١٤٥.

صلوات الله وسلامه عليه وحتمية الانتفاع بآثارها، الأول هو اعتراف واعتقاد أخذها والمستشفي بها لحرمة وحق وولاية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والشرط الثاني ان لا تكون العلة التي يتداوى منها علة الموت، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحرمته وولايته، أخذ له من طين قبر الحسين عليه السلام مثل رأس الأنملة كان له دواء)[١].

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضا: (من أصابته علة فتداوى من طين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا أن تكون علة السام)[٢].

هل الاستشفاء بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ينفع المخالفين؟

ولعل الإطلاق في هذين الحديثين بقوله صلوات الله وسلامه عليه (لو ان مريضا من المؤمنين) وقوله صلوات الله وسلامه عليه (من أصابته علة فتداوى) مطلق لا يختص بموالي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان كان مواليهم أولى الناس بالاستفادة من بركاتها، فيصبح كل من يأخذ من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهو يرى لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حرمة وحقاً فإنه ينتفع بها وتكون له شفاء حتى وان كان من المخالفين، اللهم إلا أن يقال ان معنى قوله صلوات الله وسلامه عليه (مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين عليه السلام) هو خصوص الموالي لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأصحابهم ومن جاء بعدهم غالبا ما يعبرون بالمؤمن أو المؤمنين ويقصدون منه خصوص الموالي دون المخالف، وهو احتمال غير بعيد، ولكن لو وجد من المخالفين من يعرف حق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويكون موصوفا

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٧٣٢.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٤٦٢.

بالإيمان بالمعنى الأعم وتناول من تربة قبره الشريف متيقنا بنفعها وبركتها فإننا نرجو له الاستفادة من أثرها وتحصيل منفعتها وتكون له شفاء ورحمة لسببين :

احدهما : ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باب رحمة فتحت لعموم المسلمين بل لعموم البشر ، وبركاتهم وألطافهم وعطاؤهم من عطاء الله ورحمته وفيضه وهو عام للموالين وغيرهم ولمن هو مسلم موحد وغيره ، وقد ورد في الدعاء المعروف (يا من يعطي من سأله ، يا من يعطي من لم يسأله ولم يعرفه تحننا منه ورحمة)[1] فليس بعيداً والحال هذه ان تعم بركة تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الموالي والمخالف بل المسلم وغيره ، وما ينقل من القصص بانتفاع بعض من غير المسلمين بهذه التربة الطاهرة خير شاهد وقرينة على ما قدمنا.

والسبب الثاني : ليكون الانتفاع بتربته الطاهرة بالنسبة للمخالفين أو غير المسلمين حجة عليهم ودليلا على صدق ما يدعو إليه أتباع أهل البيت وأئمتهم الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهو سبب عقلائي وجيه يصحح إمكان بل استحسان تحقق اثر الشفاء بالتربة الحسينية بالنسبة للمخالفين بل وغير المسلمين.

ولكن يستثنى الناصبي من ذلك كله لانتفاء جميع الشروط فيه فهو ليس من أهل الإيمان ولا يرى حقا للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ولا حرمة لتربته الطاهرة ، فيكون انتفاء الفائدة والأثر بسبب وجود المانع وهو النصب.

أما بالنسبة إلى بقية فوائد التربة الطاهرة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد ورد في الروايات الشريفة أنها أمان من كل خوف وحفظ من كل سوء ، فعن عيسى بن سليمان ، عن محمد بن زياد ، عن عمته قالت : (سمعت أبا عبد الله عليه السلام

(١) إقبال الأعمال للسيد بن طاوس ج٣ ص٢١١.

يقول: إن في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام، شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف وحفظا من كل سوء)[1].

وعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قيل له: (تربة قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، فهل هي أمان من كل خوف؟ فقال: نعم، إذا أراد أحدكم أن يكون آمنا من كل خوف فليأخذ المسبحة من تربته، ويدعو بدعاء المبيت على الفراش ثلاث مرات، ثم يقبلها ويضعها على عينيه ويقول: اللهم إني أسألك بحق هذه التربة، وبحق صاحبها، وبحق جده وبحق أبيه، وبحق أمه وأخيه، وبحق ولده الطاهرين اجعلها شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف، وحفظا من كل سوء، ثم يضعها في جيبه فان فعل ذلك في الغداة فلا يزال في أمان الله حتى العشاء وإن فعل ذلك في العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة)[2].

تنبيهات مهمة تتعلق بأكل التربة الحسينية

ولكن يجب على الموالين ان يتنبهوا على عدة أمور مهمة تتعلق بالاستشفاء بطين أو تراب قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتربة كربلاء، وأهمها ما يأتي:

أولا: حرمة أكل التراب والطين عموما لثبوت الضرر في أكله

ان الأحاديث الشريفة عن المعصومين صرحت بشكل لا يقبل الشك بحرمة أكل التراب والطين مطلقا باستثناء طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، لترتب الضرر الفادح على بدن الإنسان، وقد شبه أكله في بعض الروايات كأكل لحم الخنزير، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (الطين حرام كله كلحم الخنزير

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٧٣٤.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١١ ص ٤٢٨.

ومن أكله ثم مات فيه لم أصل عليه)[1] وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أكل الطين يورث النفاق)[2]، وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن التمني عمل الوسوسة وأكثر مصائد الشيطان أكل الطين وهو يورث السقم في الجسم ويهيج الداء ومن أكل طينا فضعف عن قوته التي كانت قبل أن يأكله وضعف عن العمل الذي كان يعمله قبل أن يأكله حوسب على ما بين قوته وضعفه وعذب عليه)[3].

ثانيا: استثناء طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بشرطين مهمين

ان المستثنى من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتربة كربلاء المقدسة هو ان لا يؤكل منها إلا لغرض الاستشفاء من علة أو داء، وان لا يزيد مقدار الأكل بأكثر من مقدار حبة حمص أو عدس، والروايات الشريفة صريحة في النهي عن أخذها من دون حاجة الاستشفاء ومن دون أن يزيد مقدارها عن حمصة ومن أكل لغير هذا القصد أو أكثر من هذا المقدار فقد أكل من لحم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد روى حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا)[4].

وفي رواية ثانية عنه صلوات الله وسلامه عليه قال: (فقبلها قبل كل شيء وضعها على عينيك، ولا تناول منها أكثر من حمصة فإنه من تناول أكثر من ذلك فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا)[5].

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ٦ ص ٢٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص٢٦٦.

(٤) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٧٣٣.

(٥) الدعوات لقطب الدين الراوندي ص ١٨٦.

ثالثا: جواز أكل التربة الحسينية لا يتعدى إلى باقي قبور المعصومين

حكم جواز أكل طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والاستشفاء به وبتربة كربلاء المقدسة، لا يتعدى بحسب الظاهر إلى غيره من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم حتى تراب قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وما روي في كامل الزيارة عن: (محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار، عن جده علي بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، قال: حدثنا أبو عمرو شيخ من أهل الكوفة، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنت بمكة ـ وذكر في حديثه ـ قلت: جعلت فداك إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين الحائر ليستشفون به هل في ذلك شيء مما يقولون من الشفاء، قال: قال: يستشفى بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك طين قبر الحسن وعلي ومحمد، فخذ منها، فإنها شفاء من كل سقم وجنة مما تخاف)[1] فانه ضعيف لوجود (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم) ضمن سنده وهو كما يقول ابن الغضائري: (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، المسمعي، أبو محمد. ضعيف، مرتفع القول. له كتاب في الزيارات، ما يدل على خبث عظيم، ومذهب متهافت. وكان من كذابة أهل البصرة)[2] .

وقال العلامة الحلي: (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم المسمعي، بصري ضعيف غال، ليس بشيء، وله كتاب في الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت، وكان من كذابة أهل البصرة)[3].

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٧٠.

(٢) رجال ابن الغضائري لأحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي ص٧٦ ـ ٧٧.

(٣) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص٣٧٢

رابعا: تفضيل تربة كربلاء على غيرها لا يعني أفضلية الإمام الحسين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

تخصيص جواز أكل طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه للاستشفاء دون بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يدل قطعا على أفضلية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، كما يحاول النواصب وأعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تثبيته ورمي الشيعة به، لان من قواعد المذهب الحق وأسسه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل الخلق وأكرمهم، كذلك ثبت بالدليل والروايات الكثيرة ان الإمام أمير المؤمنين أفضل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهما، بل ان كل ما عند الإمام الحسين من كرامة ومقام وفضل إنما يرجع سببه إلى كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فلولا وجود النبي لما وجد إسلام ولا دين ولما وجدت إمامة ووصاية، فالنبي وأمير المؤمنين هما الأصل والحسين صلوات الله وسلامه عليه فرع من ذلك الأصل، وعليه فيكون تقديس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في حقيقته تقديساً للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتقديساً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وتعظيم الكل وتقديسهم هو في حقيقته تعظيم وتقديس لله سبحانه وتعالى.

خامسا: هل يجب قراءة الأدعية والختومات على التربة قبل تناولها؟

وردت روايات عدة في آداب التربة وكيفية أخذها وطريقة تناولها، وذكرت هذه الروايات الشريفة الأدعية والختومات الخاصة بالتربة الحسينية من حين أخذها إلى حين تناوله، وسنكتفي بذكر روايتين ونترك التفصيل طلبا للاختصار، ولان كثيرا من كتب الأدعية والزيارات قد تكفلت بهذه المهمة، فالأولى ما رواه يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من

كل داء، فإذا أكلت، فقل: بسم الله وبالله، اللهم اجعله رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء إنك على كل شيء قدير، اللهم رب التربة المباركة ورب الوصي الذي وارته صل على محمد وآل محمد واجعل هذا الطين شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف)[1].

وروى حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا فإذا احتاج أحدكم للأكل منه ليستشفي به، فليقل: بسم الله وبالله، اللهم رب هذه التربة المباركة الطاهرة، ورب النور الذي أنزل فيه ورب الجسد الذي سكن فيه ورب الملائكة الموكلين به صل على محمد وآل محمد واجعله لي شفاء من داء ـ كذا وكذا ـ، واجرع من الماء جرعة خلفه، وقل: اللهم اجعله رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء وسقم. فإن الله تعالى يدفع عنك بها كل ما تجد من السقم والهم والغم إن شاء الله تعالى)[2].

والذي نود الإشارة إليه هو ان جملة من فقهاء المذهب الأعلام ذهبوا إلى ان هذه الأدعية والأحراز هي شروط كمالية لسرعة إجابة الدعاء وسرعة حصول التأثير، وليست شرطا لأصل تأثيرها وجواز تناولها، وفي هذا الصدد يقول السيد السيستاني: (يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين عليه السلام للاستشفاء، ولا يجوز أكله لغيره، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة الحجم، ولا يلحق به طين قبر غيره حتى قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، نعم لا بأس بأن يمزج بماء أو مشروب آخر على نحو يستهلك فيه والتبرك بالاستشفاء بذلك الماء

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ٧٣٣.

(٢) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ٧٣٣.

وذلك المشروب ... قد ذكر لأخذ التربة المقدسة وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية خاصة، ولكن الظاهر أنها شروط كمال لسرعة تأثيرها لا أنها شرط لجواز تناولها)(١).

وقال السيد الكلبايكاني: (يستثنى من الطين طين قبر الحسين عليه السلام للاستشفاء، فإن تربته المقدسة شفاء من كل داء، وهي من الأدوية المفردة، ولا تمر بداء إلا هضمته. ولا يجوز أكلها لغير الاستشفاء، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة. ولا يلحق به طين قبر النبي والأئمة عليهم السلام على الأحوط إن لم يكن أقوى. نعم لا بأس بأن يمزج طينها بماء أو عصير والتبرك والاستشفاء بذلك الماء أو العصير، ولا بد أن يستهلك التراب في السائل، وكذا لا بأس بالاستشفاء بغير الأكل، بأن يمسح التراب بموضع الوجع أو يحمله معه تبركا مع مراعاة احترامه ... لأخذ التربة الحسينية المقدسة والاستشفاء بها وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية مذكورة في محالها، خصوصا في كتب المزار، كمزار بحار الأنوار، والظاهر أنها جميعا شروط لسرعة تأثيرها لا لجواز تناولها)(٢).

سادسا: ضرورة احترام التربة الحسينية وحفظها في المكان المناسب

صرحت الروايات الشريفة بلزوم احترام التربة الحسينية الشريفة وخصوصا التي تؤخذ للاستشفاء والتداوي، فينبغي على حاملها إلى منزله أو غيره من المواضع، أن لا يضعها في الثياب الوسخة أو في الأوعية التي تستلزم قلة احترامها، فقد روي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في حق تربة جده صلوات الله وسلامه عليه: (وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها...ولقد بلغني ان بعض من يأخذ من

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني ج ٣ ص ٣٠٢ مسألة رقم ٩٢٠ و ٩٢١.

(٢) هداية العباد للسيد الكلبايكاني ج ٢ ص ٢٣٣ مسألة رقم ٨١٨ و ٨١٩.

التربة شيئا يستخف به حتى أن بعضهم يضعها في مخلاة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده)[1].

فينبغي على من يريد الاحتفاظ بتربة الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ان يهتم بها ويحفظها كما يحتفظ التجار والأغنياء بجواهرهم وان يختار لها الموالي مكانا يناسب قداستها وأهميتها، فالتربة الحسينية لا تقل أهمية عن الجوهر والدر والياقوت، بل هي أغلى من كل ذلك، فكم من غني لم ينتفع بجواهره وذهبه وفضته في دفع المرض عن نفسه والألم والأوجاع عن جسده، ومات وهو ينظر حسرة إلى ما جمعه وأخفاه عن أقرب مقربيه، كذلك الجواهر لا تدفع عن قلوب مدخريها وجامعيها الخوف والرعب فيما لو ألمّ بهم حادث تطير منه القلوب وترتعد منه الفرائص، لكن التربة الحسينية المطهرة تمتلك كل هذا التأثير، فهي في واقعها أغلى من كل غال ونفيس، فيجب على من يريد تحصيل آثارها المباركة ان يحرص على تكريمها وتقديسها وإجلالها لينتفع بها ولا ترفع البركة عنها.

سابعا: استهزاء المخالفين بالاستشفاء بالتربة الحسينية لا وجه له

من يتابع القنوات الفضائية المعادية لفكر أهل البيت صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وأوليائهم، ومن يتأمل في المواقع الالكترونية المدعومة من قبل الجهات التكفيرية الضالة، يجدهم يطيلون التشنيع ويطنبون في القدح والذم بشيعة أهل البيت الكرام، وعلمائهم الأعلام، بسبب توسلهم وتعظيمهم وتقديسهم واستشفائهم بتربة سيد الشهداء صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بحجة ان المسلم عليه ان يلتجئ إلى القرآن الكريم حين مرضه لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]،

(١) وسائل الشيعة الحر العاملي ج٢٤ ص.٢٢٨

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٨٢.

ولان المسلم مأمور باللجوء إلى الأسباب الطبيعية في معالجة أمراض البدن، ولان أكل التراب بصورة مطلقة يضر بالبدن ويسبب ما لا يحصى من الأمراض القاتلة.

أقول: ان استهزاءهم بالاستشفاء بتربة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه عجيب للغاية؛ لأنهم وبشهادة كتبهم يجوزون أكل التراب والفحم والجص، أما بجواز مطلق أو مع الكراهة، قال عبد الله بن قدامة: (قال أحمد: أكره أكل الطين ولا يصح فيه حديث إلا أنه يضر بالبدن ويقال إنه رديء وتركه خير من أكله وإنما كرهه أحمد لأجل مضرته فإن كان منه ما يتداوى به كالطين الأرمني فلا يكره، وإن كان مما لا مضرة فيه ولا نفع كالشيء اليسير جاز أكله لأن الأصل الإباحة والمعنى الذي لأجله كره ما يضر وهو منتف ههنا فلم يكره)[1].

وقال البيهقي في السنن الكبرى: (باب ما جاء في أكل الطين قد روي في تحريمه أحاديث لا يصح شيء منها)[2]

وقال ابن حزم: (وأكل الطين لمن لا يستضر به حلال، وأما كل ما يستضر به من طين أو إكثار من الماء أو الخبز فحرام؛ لأنه ليس مما فصل تحريمه لنا فهو حلال، وأما كل ما أضر فهو حرام)[3].

وقد عدّ أكله في أثناء الصيام لا يوجب الكفارة، قال السرخسي: (وإذا أكل الصائم الطين أو الجص أو الحصاة متعمدا فعليه القضاء ولا كفارة عليه وقد بينا هذا ومراده طين الأرض)[4].

---

(١) المغني لعبد الله بن قدامة ج ١١ ص ٨٨.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١١.

(٣) المحلى لابن حزم ج ٧ ص ٤٣٠.

(٤) المبسوط للسرخسي ج٣ ص١٠٠.

وقال المرداوي: (يكره أكل التراب والفحم. جزم به في الرعايتين والحاويين وغيرهم)[1].

وقد حكموا على بعض أنواع الطين بجواز أكلها لأنها مما يستشفى به، كالطين المسمى بالطين الارمني، والطين البحاري، قال الشيخ محمد الحنفي: (وأكل الطين البحاري لا بأس به ما لم يسرف وكراهة أكله لا لحرمته بل لأنه يهيج الدم)[2].

وقال البهوتي: (فإن كان منه ـ أي الطين ـ ما يتداوى به كالطين الأرمني لم يكره؛ لأنه لا ضرر فيه وكذا يسير تراب، وطين بحيث لا يضر فلا يكره لانتفاء علة الكراهة)[3].

فيتضح مما سبق ان أهل السنة يذهبون إلى ان التراب أو الطين ان كان فيه ضرر فيكره، وان لم يكن فيه نفع أو ضرر كالشيء اليسير فهو جائز، أما ان كان مما يستشفى به فأكله جائز كالطين الارمني والطين البحاري.

والاستشفاء بالتربة الحسينية من قبل الموالين المقدسين لإمامهم الشهيد وتربته الطاهرة، هو من قبيل الطين الذي يستشفى به، فيكون جائزا بلا خلاف، وإذا أردنا ان نتنزل ونحكم من باب إلقاء الحجة على الخصم بان أكل تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من قبل الموالين وبمقدار هو اقل من الحمصة المتوسطة الحجم يكون داخلا في قولهم: (وإن كان مما لا مضرة فيه ولا نفع كالشيء اليسير جاز أكله؛ لأن الأصل الإباحة والمعنى الذي لأجله كره ما يضر وهو منتف ههنا فلم يكره)[4].

---

(١) الإنصاف للمرداوي ج ١٠ ص ٣٦٨.

(٢) تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري القادري الحنفي ج ٢ شرح ص٣٣٨.

(٣) كشاف القناع للبهوتي ج ٦ ص ٢٤٦.

(٤) المغني لعبد الله بن قدامة ج ١١ ص ٨٨.

فيصبح حكم أكل التربة الحسينية بالمقدار المتقدم صحيحا على وفق مباني مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومباني المخالفين، ومن يستهزئ بموالي أهل البيت فانه في الحقيقة يستهزئ بأئمة مذهبه؛ لأنهم حكموا بجواز أكل مطلق التراب بل جوزوا أكل الفحم والجص، بينما حرم علماؤنا الأعلام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ذلك كله.

إضافة إلى بطلان ما تذرع به المخالفون من لزوم الاكتفاء بالقرآن لأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، لان القرآن لا يريد بقوله ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1] ان يحصر أسباب الشفاء بالقرآن الكريم، بل يريد سبحانه ان يبين ان واحدة من وسائل الشفاء هو القرآن الكريم، وإلا لو حكموا على الشيعة وأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالكفر والانحراف والضلال بسبب استشفائهم بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فيجب عليهم حينئذ ان يحكموا بكفر وضلال وانحراف جميع الطوائف الأخرى من أتباع المذاهب السنية بسبب تركهم للاستشفاء بالقرآن وذهابهم إلى المستشفيات والعيادات الطبية وأخذهم للأدوية الكيميائية، والتي تصنع غالبا في بلاد الكفر، وهو أمر لا يقبل به مسلم، فمن يصحح فعل المذاهب الإسلامية في استعمالهم للطين الأرمني والبحاري للاستشفاء وذهابهم إلى المستشفيات واستعمالهم للمواد والتراكيب الكيميائية، عليه كذلك ان يصحح فعل أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في استشفائهم بتربة إمامهم المظلوم صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ان الأسباب التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون تفوق تفكير الناس وعقولهم ولا تنحصر في الماديات فقط، فليس قميص نبي الله يوسف صلوات الله وسلامه عليه الذي كانت له خاصية إرجاع بصر نبي الله يعقوب بعد ان ابيضت عيناه من الحزن، فليس هذا القميص بأكرم على الله سبحانه وتعالى من تربة سال عليها اطهر دم وأزكاه،

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٨٢.

وليست بقرة بني إسرائيل التي تكلم عنها القرآن الكريم في سورة البقرة، والتي أحيا الله بها قتيل بني إسرائيل، بأكرم على الله سبحانه وتعالى من خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، وسيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه.

جيم: استحباب اتخاذ التربة الحسينية مسبحة للذكر

قد وردت أخبار عدة في فضل اتخاذ المسبحة من طين التربة الحسينية، وان الشيعي لا يستغني عن أربعة أشياء إحداهن السبحة التي من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: (لا تستغني شيعتنا عن أربع خمرة يصلي عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر أبي عبد الله عليه السلام فيها ثلاث وثلاثون حبة...)[1]، وقد صرحت هذه الأخبار ان لهذه المسبحة فضيلتين تضاف إلى الفضائل السابقة الذكر:

الفضيلة الأولى: ان التسبيح بها والتهليل والاستغفار وسائر أقسام الذكر يضاعف أضعافا كثيرة، بالنسبة إلى غيرها من بقية أنواع المسبحة.

الفضيلة الثانية: استمرار صفة وثواب التسبيح لحاملها ما دامت في يده حتى وان قلب أحجارها من دون ذكر.

فعن محمد بن عبد الله المشهدي في كتاب المزار، عن الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من أدار الحجير من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر به مرة واحدة كتبت له بالواحدة سبعون مرة، ومن أمسك السبحة بيده ولم يسبح بها ففي كل حبة منها سبع مرات)[2].

---

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٤١٢.

(٢) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٣٦٧.

وعن أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (من أدار الطين من التربة فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. مع كل حبة منها كتب الله له بها ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وأثبت له من الشفاعة مثلها)[1].

وسُئل أبو عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن استعمال التربتين من طين قبر حمزة وقبر الحسين عليهما السلام والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: (السبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبح)[2].

وعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه، عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرض السابعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحا بها)[3].

وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: (كتبت إلى الفقيه[4] أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب...تسبح به، فما في شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح)[5]. وليس ذلك بعجيب؛ إذ إن كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح الله ويقدسه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[6].

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج١ ص٢٦٩.

(٤) الفقيه هنا في هذه الرواية هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٠ ص٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٦) سورة الإسراء الآية رقم ٤٤.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]، والتربة الحسينية من ضمن هذه الموجودات المسبحة والمصلية لله سبحانه، وفرقها عن غيرها كما هو ظاهر الروايات ان باقي الموجودات تسبح وتصلي لله سبحانه وتسبيحها وصلاتها لنفسها خاصة، أما التربة الحسينية فتسبح وتصلي وصلاتها وتسبيحها لحاملها، لذلك يكتب مسبحا حتى لو غفل عن التسبيح والتقديس.

ثم ان التأكيد على اتخاذ التربة الحسينية ـ على ساكنها آلاف التحية والسلام ـ مسبحة في اليد وتربة تحت الجبين، لعله ناتج إضافة إلى مسألة قداستها، عن حرص ومراعاة الأئمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ لإدامة واستمرار حالة الشد العاطفي والمعنوي ما بين الموالي وما بين الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، والإبقاء على كربلاء واسم كربلاء وما حصل وجرى في كربلاء ماثلا حاضرا عند الإنسان الموالي، فمن كان سجوده الدائم على تراب كربلاء، كانت كربلاء حاضرة عنده اسما وحدثا، ومن كانت مسبحة طين قبر الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أو مسبحة تراب كربلاء في يده، كانت البركة في يده تتقلب مع حبات هذه المسبحة المباركة.

دال: استحباب وضع التربة الحسينية مع الميت عند الغسل وفي القبر

ان كان الإنسان الموالي يحتاج إلى حمل التربة الحسينية المقدسة في دار الدنيا للأمن من الأخطار والمكاره ونزول النوائب والشدائد، فهو في رحلته إلى عالم الآخرة اشد احتياجا واضطرارا إلى اصطحاب التربة الحسينية معه، لان مكاره وشدائد وأخطار ذلك العالم تفوق مكاره عالم الدنيا وشدائده وأخطاره، ولا سيما

(١) سورة النور الآية رقم ٤١.

عند سؤال الملكين منكر ونكير، ورفع الحجاب دون الميت ومعاينة أعماله متجسدة أمام ناظريه، وهو بدار غربة ووحشة لا أنيس له ولا جليس قد خلي بينه وبين عمله، لا يجد من ضيق لحده متسعا ولا من كربته فرجا، ولو كشف الغطاء ما بيننا وبينهم لرأينا: (وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها. وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، وسهل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيد تدفع، ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون. لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل، وغمرة لا تنجلي... وإن للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على قلوب أهل الدنيا)[1].

لذلك وردت الأحاديث الشريفة عن الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستحباب وضع التربة الحسينية مع الميت في قبره وخلطها في ماء غسله لتكون له أمانا من مخاوفه ومعينة له على شدائد الموت ووحشة القبر وهول الحساب، فعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: (كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله عن طين القبر يوضع مع الميت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب ... توضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه. إن شاء الله)[2].

وعن جعفر بن عيسى أنه سمع أبا الحسن صلوات الله وسلامه عليه يقول: (ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده التراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من الطين، ولا يضعها تحت رأسه)[3].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١ ص١٥١.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٩.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٣ ص٣٠.

٢و٣: فضل زيارته صلوات الله وسلامه عليه وكرامة زواره عند الله سبحانه وتعالى

ان فضيلة استجابة الدعاء تحت القبة الشريفة للإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، وعدم حساب أيام زواره من حين ذهابهم إلى زيارته إلى ان يرجعوا إلى ديارهم وأهليهم هي بعض ما أعطاه الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكرامة خص بها زواره، لذلك جمعنا كلا المقامين والكرامتين في محور واحد، وسنذكر فيما يأتي وإتماماً للفائدة مجموعة أخرى من تلك الكرامات والفضائل التي خص الله سبحانه وتعالى بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وزائريه، مع بعض التعليقات والفوائد التي نرجو الله أن ينفعنا بها وجميع زائري قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فضل زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

من يرجع إلى أحاديث المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويلاحظ مدى اهتمامهم وتشجيعهم وحثهم لشيعتهم على زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يرى نفسه أمام كم هائل من الآثار تحدثت جميعها عن عظمة إتيان قبره الطاهر، وعظمة الآثار والفوائد التي تجنى نتيجة زيارة روضته المقدسة، ونحن وان كنا لا نستطيع ان نأتي على آخرها في هذا العرض المختصر إلا أننا نستطيع ان ننتهل من بعضها ونتبرك بإيراد قسم منها ليعرف أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عظمة إمامهم الشهيد صلوات الله وسلامه عليه وكرامته وما لهم من الأجر والثواب على زيارته، وما تعوده عليهم هذه الرحلة المباركة إلى قبره الشريف من المنافع، ويمكن لنا تقسيم هذه المنافع والعوائد إلى قسمين:

القسم الأول: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المادية الدنيوية

وهي كثيرة جدا ، فمنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تدفع الهدم الذي هو عبارة عن وقوع الأبنية على رؤوس ساكنيها ، والغرق والحريق ، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن الإمام محمد بن علي الباقر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال : (مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع ، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل)[1].

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تزيد الرزق وتمد في العمر وتدفع مقادير السوء ، فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال : (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فان إتيانه يزيد الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع السوء وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله)[2].

وعن عبد الملك الخثعمي ، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه ، قال : (قال لي : يا عبد الملك لا تدع زيارة الحسين بن علي عليهما السلام ومر أصحابك بذلك ، يمد الله في عمرك ويزيد الله في رزقك ، ويحييك الله سعيدا ولا تموت إلا سعيدا ويكتبك سعيدا)[3].

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تطيل العمر ، وتركها ينقص من عمر الإنسان ثلاثين سنة ، فعن منصور بن حازم قال سمعناه ـ أي الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ـ : (من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام انقص الله من عمره حولا ، ولو قلت إن أحدكم ليموت قبل اجله بثلاثين سنة لكنت صادقا ، وذلك لأنكم تتركون

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٨٢.

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٤٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٨٦.

زيارة الحسين عليه السلام، فلا تدعوا زيارته يمد الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم فتنافسوا في زيارته، ولا تدعوا ذلك فان الحسين شاهد لكم في ذلك عند الله وعند رسوله، وعند أمير المؤمنين وعند فاطمة عليهم السلام)[1].

ومنها ان أيام زائري الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا تحسب من أعمارهم ما داموا في زيارة إمامهم الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، فعن الهيثم بن عبد الله الرماني، عن الإمام أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه، عن أبيه الإمام موسى الكاظم صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: إن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تحسب من أعمارهم ولا تعد من آجالهم)[2].

ومنها استجابة الدعاء في مشهده الشريف عموما وتحت قبته صلوات الله وسلامه عليه على وجه الخصوص بإذن الله تعالى، وان من جاء إلى حرمه مكروبا أو خائفا أو محتاجا قضيت حاجته ونفست عنه كربته وأمن من خوفه بإذن الله سبحانه، فعن أبي الصباح الكناني قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: . إن إلى جانبكم قبرا ما أتاه مكروب إلا نفس الله كربته، وقضى حاجته، وإن عنده لأربعة آلاف ملك منذ قبض، شعثا غبرا يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره شيعوه إلى مأمنه، ومن مرض عادوه، ومن مات اتبعوا جنازته)[3].

وعن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن الحسين عليه السلام قتل مكروبا، وحقيق على الله أن لا يأتيه مكروب إلا رده الله مسرورا)[4].

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج ١٠ ص ٢٣٨.

(٤) المصدر السابق ص٢٣٩.

القسم الثاني: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المعنوية والأخروية

واما فوائد ومنافع وعوائد زيارته صلوات الله وسلامه عليه الأخروية فهي أكثر من ان تعد أو تحصى، ومن تأمل في اجر الزائر وكرامته وما يتحف به من العطايا الربانية يرى العجب العجاب، ويرى ما للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الولاية التكوينية والمنزلة الملكوتية، التي بها يعطي الرحمن سبحانه وتعالى لزواره من الأجر والثواب بلا وزن ولا حساب، وليس ذلك بعجيب، أليس قد وهب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كل ما عنده لله سبحانه وتعالى، وأعطى في سبيله النفس والمال والولد، فمن الطبيعي جدا ان يعطيه الله سبحانه وتعالى ما لا نقدر على تصوره ولا يخطر على أذهاننا المحدودة.

والروايات الشريفة بينت بعض هذه الكرامات المعنوية والأخروية التي يسعد بها الزائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن نختار منها لا على نحو الحصر والاستقصاء ما يأتي:

منها ان زائره صلوات الله وسلامه عليه يكتبه الله سبحانه وتعالى عنده في أعلى عليين كما في الصحيحة المروية عن ابن قولويه القمي عن علي بن الحسن بن بابويه وجماعة من مشايخه، عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير عن عُيينة بياع القصب، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من أتى الحسين عارفا بحقه كتبه الله في أعلى عليين)[1].

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عمرة مقبولة كما في الصحيحة المروية عن ابن قولويه عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد وعبد الله ابني محمد ابن عيسى، عن موسى بن القاسم، عن الحسن بن الجهم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فقال لي: ما تقول أنت فيه،

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٣٢٦.

فقلت: بعضنا يقول: حجة، وبعضنا يقول: عمرة، فقال: هو عمرة مقبولة)[1].

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عمرة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في موثقة فضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال: (زيارة قبر الحسين عليه السلام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة قبور الشهداء تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عند الله سبحانه وتعالى ألف حجة وألف عمرة مبرورة متقبلة، ويمحى من ديوان الأشقياء ويسجل في ديوان السعداء كما في الحديث المروي عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه غير مستكبر ولا مستنكف؟ قال عليه السلام يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة وان كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل)[3].

والظاهر ان هذا التفاوت في الأجر تابع لدرجات الإخلاص والمعرفة وحال الزائر، إذ ليس العارف كغيره، وليس المخلص كمن هو اقل إخلاصا، وليس الضاحك الفاكه كالباكي الحزين المتفجع.

ومنها ان زائره يلقى الله وليس عليه ذنب فإن بكاه غفر الله ذنبه صغيرا أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا، فعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن: (محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال: ... يا ابن شبيب ان المحرم هو الشهر

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٩٢.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٩٣.

(٣) المصدر السابق ص٢٧٤.

الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب ان كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام... يا بن شبيب ان بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا يا بن شبيب ان سرك ان تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام يا بن شبيب ان سرك ان تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالعن قتلة الحسين يا بن شبيب ان سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما يا بن شبيب ان سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو ان رجلا أحب حجرا لحشره الله عز وجل معه يوم القيامة)[١].

كيف يكون كل هذا الأجر والثواب لمجرد الزيارة لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟

ربما استكثر بعض المشككين لهذا الثواب الذي اعد لزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بحجة ان الثواب المترتب على الزيارة لا يساوي العمل والجهد الذي يبذله الزائر في زيارته لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ويمكن ان يجاب عن هذا الإشكال بما يأتي:

أولا: ان الثواب في مسألة زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما في سائر العبادات الواجبة والمستحبة ليس أمرا استحقاقيا حتى يرد هذا الاعتراض، بل الثواب كما هو ثابت في محله هو تفضلي يمن به الله سبحانه وتعالى على عباده بهدف الكرامة لهم،

(١) عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

أو استنقاذهم من النار، أو لأمر غير ذلك، وهو أمر ليس بالقبيح عقلا ولا شرعا.

ثانيا: ان الثواب على فعل بسيط من حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس لأحد ان يمنع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ممارسة شيء من حقوقه، وذلك لان هذا العالم، وكذلك عالم الآخرة وما فيه، بل وكل العوالم التي نعرفها والتي لا نعرفها، هي ملك لله تبارك وتعالى وتحت سلطانه يعطي منها ما يشاء لمن يشاء وبالمقدار الذي يشاء، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آية أخرى ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

ثالثا: ان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موازين ومقاييس في مسألة الثواب والعقاب لا يمكن لأمثالنا من ذوي العقول المحدودة فهمها ولا تحديدها، فمسألة الثواب والعقاب تخضع لملايين من المعادلات الغيبية، ومأخوذ فيها آلاف الاعتبارات غير المنظورة من البسطاء أمثالنا والتي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، ولنضرب على ذلك مثالا عمليا، ففي القصة المشهورة التي عن أنس قال: (كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيته بطاقة ريحان فقال لها أنت حرة لوجه الله فقلت تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها قال كذا أدبنا الله قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وكان أحسن منها عتقها)[3] ففي ذلك الوقت كانت الجارية تساوي عشرات الدنانير ان لم نقل المئات منها، بينما طاقة الورد لا تساوي درهما أو جزء درهم، بل ويمكن الحصول عليها مجانا من بعض البساتين، لذلك قال انس عنها: (لا خطر لها) أي لا قيمة لها، لكن الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كان ينظر إلى شيء خفي عن انس الذي كان ينظر إلى موضوع عتق الجارية من اجل طاقة ورد بنظرة سطحية مادية

---

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٣.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢١٢.

(٣) كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي ج ٢ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

ساذجة، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد اخذ في قرار عتقه عشرات المنافع ومئات الاعتبارات، وعدّ هذا الكرم اللامحدود وغير المتناسب مع حجم الفعل هو مما أدّب الله سبحانه وتعالى به أولياءه وخلفاءه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والثواب الجزيل الذي يعطيه الله سبحانه على الفعل الصغير هو من هذا القبيل فتأمل.

رابعا: ان الله سبحانه وتعالى مهما أعطى عباده من الثواب والأجر يوم المعاد من قصور مشيدة، وولدان مخلدين، وحور عين، وانهار من عسل وخمر ولبن وماء، وغير ذلك مما يمكن أو لا يمكن تصوره، فهو لا يخرج عن ملكه سبحانه وتعالى، فالعبد وما يعطى من الثواب، هو ملك لله وفي ملك الله سبحانه وتعالى، لا ينقص من ملكه شيئا، ولا يزيد فيه شيئا، فالعطاء الإلهي لزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مهما بلغ هو من باب إيصال الخير للعباد والتفضل عليهم بالنعم وهو أمر راجح عقلا وشرعا.

وقد حكى صاحب كتاب (طرائف المقال) السيد علي البروجردي حكاية عن تشرف السيد محمد بحر العلوم بحضوره بين يدي الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وإجابته عن مثل هذا الموضوع الذي نحن بصدد إثباته لذا رأيت ان اعرضها بين يدي القارئ الكريم للفائدة، وهي كما رواها السيد علي البروجردي مع بعض التصرف البسيط كالتالي: (سمعت من بعض الاثبات والثقات أنه طاب ثراه يزور سيد الشهداء عليه السلام في كل سنة مكررا، إلا أنه يجيء إلى زيارته ماشيا دفعة وراكبا في الأخرى، وذات يوم وهو يمشي في الطريق ويقصر خطاه حرصا لزيادة الثواب، فبينما هو كذلك يمشي التفت إلى جزاء هذه الخطوات وما أعد لزيارة مولانا سيد الشهداء، وتعجب مستكثرا في قلبه هذا الجزاء الجزيل في مقابل الخطوات اليسيرة.

فماشاه أثناء الطريق رجل، فسأله عن حاله وعما يجول في فكره، فامتنع أولا من الإظهار، وأبرز المطلب بعد الإصرار والإبرام، وقال: كيف يعطى الثواب كذا

وكذا على مثل خطوة واحدة؟.

فشرع ذلك الرجل الذي مشى معه في حكاية نافعة مغنية عن جوابه، وهي أن ملكا من الملوك كان يدور في مملكته لأجل الصيد مع عساكره. واتفق ان حل عليه الغروب فافترق من عسكره وتاه عنهم، فغلب عليه العطش والجوع، فرأى أثناء سيره وهو على هذه الحال خيمة، فذهب نحوها إلى أن وصل إليها فوجد فيها امرأة فقيرة، فلما رأته وهو بحالة يرثى لها أنزلته في خيمتها وأكرمته كمال الإكرام، ولم يكن لها من الأموال إلا شاة واحدة، فذبحتها للسلطان من دون علمها بكونه سلطانا. وكان لها ابن يرفض ان تذبح شاتهم الوحيدة لهذا الضيف، لكن أمه كانت تقول له: ان إكرام الضيف مقدم على جميع الأمور، والسلطان يستمع مقالتهما.

فلما أصبح الصباح وبعد ان أكل السلطان ونام وارتاح قام ليذهب، فأعطى ابن المرأة الفقيرة خاتما وقال له: اذهب إلى دار السلطان في الغد فانه لا يمنعك الحجاب، ولو منعوك أظهر الخاتم فانهم يخلون سبيلك، لعله يعطيك شيئا.

فانصرف السلطان ولحق بعسكره، وقال للحفظة والحجاب: ان سيأتي في الغد شاب بصفة كذا وكذا وفي يده خاتمي فلا تمنعوه من الدخول حتى يصل إلي.

فذهب الشاب في الغد إلى دار الملك، فلم يمنعه حتى دخل في مجلس السلطان فأكرمه وآواه إلى جنبه. ثم أمر بإحضار أمنائه ووزرائه في مملكته، فحكى لهم ما جرى له مع والدة الشاب وإكرامها له، ثم سألهم أني أريد الصلة والعوض عن إكرامها، فما الشيء اللائق بحالها وحال ولدها؟ فأجاب كل منهم على حسب همته، فسكت السلطان إلى أن أتموا كلامهم، فرفع رأسه وقال لهم: ان تلك المرأة قد صرفت لي منتهى الوسع والطاقة وأتلفت جميع مالها في سبيلي، وأني لو صرفت لها جميع ما

في يدي لكنت مثلها، ولم أزد على إعطائها شيئا.

ثم أخذ يد الشاب فأجلسه في محله ووضع تاجه على رأسه، وجعله سلطانا وأمر الوزراء بالقيام على خدمته، وصير نفسه مثل أحد الخدمة والغلمان.

ثم التفت ذلك الرجل المرافق للسيد بحر العلوم بعد الحكاية وقال له: ان سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام قد أعطى دمه ودماء أولاده وعشيرته، وصارت نساؤه وأخواته وبناته المحجبات الطاهرات مسبيات، ونهبت أمواله في سبيل الله تعالى وإطاعته والامتثال لأمره وترويج شريعة جده، فأصاب بما أصاب، ومصيبة أعظم المصيبات، قتلوه عطشانا بشط فرات، فمهما أعطي عوضا عن هذه المصائب العظيمة فقليل في جنب عظمته وجلالته.

فبينما السيد بحر العلوم يتفكر في الجواب مستحسنا إياه، فالتفت بعد عدة خطوات ليكمل الحديث مع ذلك الرجل فوجده قد غاب عن النظر، فتنبه السيد بحر العلوم على أنه حجة الله في الأرضين)[1].

هل يحق للمخالفين السخرية من كثرة ثواب الزيارة وعظمة أجرها؟

وربما يستشكل ان هذا الثواب الكبير المبالغ به قد يعرض المذهب الإمامي أعزه الله إلى السخرية من المخالفين والنواصب الذين يسخرون من المذهب لأمور ابسط واقل من هذا بكثير، فكيف بالذي نحن فيه؟!

أقول: ليس للمخالف من أي مذهب كان أن يعترض على ما في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الثواب والأجر، لعدة أسباب منها:

أولا: لان الاعتراض كما بينا فيما سبق هو اعتراض على الله سبحانه وتعالى، إذ إن

(١) طرائف المقال للسيد علي البروجردي ج٢ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠.

مسألة الثواب والعقاب هي من حقوق الله سبحانه وتعالى وليس للعباد فيها اختيار، إضافة إلى عدم وجود المانع العقلي أو الشرعي الذي يحول دون حصول ذلك.

ثانيا: ان لدى المخالفين أشياء رووها عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة والتابعين أعظم بكثير مما روينا من جزيل الثواب وعظيم الأجر على زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فهم قد رووا مثل هذا الأجر أو أعظم على أشياء هي مساوية أو اقل بكثير من مسألة زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وفيما يأتي جملة من تلك المسائل التي أوجبوا عليها عظيم الثواب وجزيل الأجر مع كونها اقل مؤونة وأهمية من زيارة قبر سيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه.

منها ما رواه البخاري عن: (عطاء بن يزيد عن حمران قال رأيت عثمان...توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ثم اليسرى ثلاثا ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه)[1].

أقول: وصورة هذا الوضوء وان كان باطلا على وفق متبنيات مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا أننا ذكرناه وغيره من الموارد التي ستأتي من باب الإلزام للمخالف، إذ لو كانت زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما فيها من الأجر والثواب يستلزم سخريتهم، مع ان الزائر في زيارته للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتوضأ عشرات المرات، ويصلي عشرات الركعات التي لا يحدث فيها نفسه، فإذا كان هذا

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٥.

الأمر يستوجب سخريتهم فإن حديث عثمان بن عفان وما فيه من الثواب على مجرد وضوء وركعتين يستلزم سخرية أعظم.

وعن مسلم في صحيحه عن: (أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال القارئ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال من خلفه آمين فوافق قوله قول أهل السماء غفر له ما تقدم من ذنبه)[1].

أقول: قول المصلي (آمين) بعد قول الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هو مبطل للصلاة على وفق مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لورود النصوص الكثيرة على عدم صحة ذلك، ثم هل يعقل ان يغفر للمصلي كل ذنوبه لمجرد قوله آمين، فان كان ما يقوله أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في ثواب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوجب السخرية من المخالفين فإن السخرية على مثل هذه الأحاديث اكبر.

وفي مسند أبي يعلى عن: (سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا قال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه)[2].

ومنها ما عن ابن عساكر: (أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ أنا أبو علي الدقاق الحافظ إجازة أنا الفضل بن محمد قال سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن فورك وكان شيخا صالحا يقول سمعت أبا بكر محمد بن القاسم المعدل المديني يقول سمعت أبا بكر يرويه وكان من الأبدال يقول رأيت رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨.

(٢) مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلي ج ٣ ص ٦٧.

ومعه أحمد بن حنبل فقلت يا رسول الله من هذا فقال هذا أحمد بن حنبل ولي الله وولي رسول الله ...أنفق على الحديث ألف دينار فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يا أبا بكر الله ينظر في كل يوم سبعين ألف نظرة في تربة أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ومن يزوره غفر الله له ومن يحبه أحبه الله ومن يبغض أحمد فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله)[1].

أقول: ليس احمد بن حنبل مهما بلغت درجة أهميته ومنزلته عند أصحابه بأعظم وأجل وأكرم من منزلة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه، ومن يستخف ويستكثر على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لزوار قبر سيد الشهداء الذي ضحى بدمه وماله وأهله وأصحابه لنصرة الدين وعزة الإسلام، فعليه ان يقهقه ضاحكا من غفران ذنوب زوار احمد بن حنبل وهذه الكرامات المزعومة لمجرد انه انفق على الحديث ألف دينار، وهل يستوي من انفق على الحديث ألف دينار مع من انفق على الإسلام وعزته الروح والدم والمال والأهل ؟!.

وعن البخاري: (عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر)[2].

وعن احمد بن حنبل في مسنده: (عن أنس بن مالك قال إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحا عنه

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٥ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٦٨.

سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في الأرض وشفع في أهله)[1].

أقول: ان هذه الكرامات المزعومة في حديث انس بن مالك التي رواها احمد ابن حنبل في مسنده، هي تمنح للمسلم لمجرد وصوله إلى سن الأربعين أو الخمسين إلى التسعين، لا لعمل يستوجب ذلك، فليكن المسلم الشيعي مشمولا بها، مع إننا لا نقول بان الإنسان يغفر له ذنبه لمجرد وصوله لسن التسعين، فهذه المراتب والصفات والكرامات لا تنال إلا برحمة الله سبحانه وتعالى والعمل، وان كان قليلا.

بعض آداب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

في أثناء تتبعي للروايات التي تحدثت عن زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وغيرها وجدت ان جملة من هذه الروايات الشريفة قد ذكرت مجموعة من الآداب التي ينبغي على الزائر مراعاتها ليجني الثمرات الدنيوية والأخروية من زيارته لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وفيما يأتي جملة من هذه الآداب، وسنقسم هذه الآداب إلى ثلاث أقسام هي:

القسم الأول: آداب ما قبل الخروج إلى الزيارة، وهي كالتالي:

أولا: آداب النية والقصد: ذكرنا في بحوث سابقة ان الأجر الأخروي يدور مدار النية، وبالنوايا تتفاضل الدرجات ويعظم الأجر، وعليه فينبغي للزائر ان يعرف كيف يستفيد من توجيه نيته بالصورة التي تعود عليه بأعلى مراتب الأجر وأكمل درجات المثوبة، والروايات الشريفة ذكرت ثلاثة أو أكثر من الأسباب والدواعي التي

(١) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص٨٩.

لو جعلها الزائر أمام ناظره منذ البداية لحصل على عظيم المثوبة، وهذه الأسباب هي:

ألف: ان ينوي الزائر بزيارته لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بالدرجة الأولى وجه الله سبحانه وتعالى، والدار الآخرة، وحبا وتشوقا إلى شخص الإمام الحسين، وحبا لرسول الله ولأمير المؤمنين والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الأخبار ان عقد نية الزيارة بهذه الكيفية فيه أجر عظيم، فعن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت: جعلت فداك ما لمن أتى قبر الحسين زائرا له عارفا بحقه يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة، فقال له: يا هارون من أتى قبر الحسين عليه السلام زائرا له عارفا بحقه يريد به وجه الله والدار الآخرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[1].

وعن محمد بن مسلم قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ما لمن أتى قبر الحسين (عليه السلام)، قال: من أتاه شوقا إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي حتى يدخلهما الله الجنة)[2].

وعن ذريح المحاربي، عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (...والله ان الله ليباهي بزائر الحسين والوافد يفده الملائكة المقربون وحملة عرشه، حتى أنه ليقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين أتوه شوقا إليه والى فاطمة بنت رسول الله، أما وعزتي وجلالي وعظمتي لأوجبن لهم كرامتي ولأدخلنهم جنتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي...)[3].

---

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٧٣.

(٢) المصدر السابق ص٢٧١.

(٣) المصدر السابق ص٢٧١ ـ ٢٧٢.

باء: يستحب ان يكون هدف وغاية الزائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الزيارة فقط دون غيرها من الأعمال الدنيوية، فان في ذلك الخير كله، فعن موسى بن القاسم الحضرمي، قال: (ورد أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر[1] فنزل النجف فقال: يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق وانظر فإنه سيجيئك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، فإنه سيجيء معك. قال: فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد، فلم أزل قائما حتى كدت أعصي وانصرف وأدعه، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير، قال: فلم أزل انظر إليه حتى دنا مني، فقلت له: يا هذا هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك وقد وصفك لي، فقال: اذهب بنا إليه، قال: فجاء حتى أناخ بعيره ناحية قريبا من الخيمة، قال: فدعا به فدخل الأعرابي إليه ودنوت أنا، فصرت على باب الخيمة اسمع الكلام ولا أراهما. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: من أين قدمت؟، قال: من أقصى اليمن... قال: فيم جئت هاهنا؟، قال: جئت زائرا للحسين عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجئت من غير حاجة ليس إلا للزيارة، قال: جئت من غير حاجة ليس إلا ان أصلي عنده وأزوره واسلم عليه وارجع إلى أهلي. قال له أبو عبد الله عليه السلام: وما ترون في زيارته؟، قال: إنا نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا، قال: فقال له أبو عبد الله: أفلا أزيدك من فضله فضلا يا أخا اليمن؟، قال: زدني يا بن رسول الله، قال: ان زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله عليه السلام، فتعجب من ذلك، فقال: أي والله وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله

(١) وهو الملقب بالمنصور من حكام بني العباس لعنه الله.

صلى الله عليه وآله، فتعجب من ذلك، فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

جيم: محافظة الزائر لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ـ بل لسائر قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ على خلوص النية منذ الشروع في سفر الزيارة حتى العودة، وان لا يدخل إلى نفسه العجب والرياء والعصبية والتكبر والخيلاء والبطر وغير ذلك من القبائح المفسدة للنية والمحبطة للأجر، لذلك وردت الرواية بلزوم ان لا تكون الزيارة بداعي السمعة والرياء وغير ذلك، فعن يونس بن عبد الرحمان، عن قدامة بن مالك، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من زار الحسين محتسبا لا أشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء، فلا يبقى عليه دنس، و يكتب له بكل خطوة حجة وكلما رفع قدما عمرة)[2].

دال: ملاحظة الآداب العامة للسفر والتي ذكرت في كثير من كتب الأدعية والحديث كالصدقة قبل الخروج والوصية وان تكون نفقة السفر من طعام ولباس وأمثال هذه الأمور من المال الحلال الذي لا يتعلق به حق للآخرين كالمسروق أو المغصوب، وقد تركنا هذا القسم من الآداب العامة لإمكان ان يراجعها القارئ الكريم في مظانها.

القسم الثاني: آداب المسير إلى مرقد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

وهي كثيرة ربما تفوق الإحصاء، لكننا اخترنا ما يكون لها شاهد روائي أو عقلائي، وهي باختصار كالتالي:

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٧٣.

ألف: يستحب للزائر إتيان قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه ماشيا من بلده أو من حيث يتمكن من ذلك، لورود عدة من الروايات الشريفة الحاثة على ذلك ولما فيه من الأجر العظيم، فعن عن الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام إن كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة، حتى إذا صار بالحائر كتبه الله من المفلحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى)(١).

وعن جابر المكفوف، عن أبي الصامت قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة)(٢).

وعن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام قال: (ما أتاه عبد فخطا خطوة إلا كتب الله له حسنة، وحط عنه سيئة)(٣). وعن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة لذنبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى يأتيه...)(٤).

وعن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦ ص٤٣.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٥٥.

(٣) المصدر السابق ص٢٥٦.

(٤) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٩١.

ابن بشير، عن أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفة له فسمعته يقول: من أتى قبر الحسين ماشيا كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل)[1].

ويدل على استحباب المشي إلى قبر الإمام المظلوم صلوات الله وسلامه عليه الخبر المشهور بين الخاصة والعامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أفضل الأعمال أحمزها[2])[3]والمشي كما هو معلوم اشد وأصعب من الركوب فيكون أفضل قطعا.

ويدل على استحباب ذلك أيضا الخبر المروي عند الخاصة والعامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار)[4] وزيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مصداق واضح من مصاديق هذا الحديث، إذ ان القدم إنما تغبر بالتراب عادة بسبب المشي دون الركوب.

ويدل على استحباب المشي إلى قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان في المشي إظهاراً للشوق وعظيم المحبة، والتي من اجلها يتجشم الزائر كل ما في المشي من صعوبة ومخاطر ومشاق، وفيه أيضا إظهار لشوكة التشيع وقوته، وتماسك أتباعه، وتمسكهم بولائهم لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل هذه الأمور راجحة شرعا وحسنة عقلا.

باء: ان يحاول في أثناء الطريق، بل وفي مطلق الأزمنة، السعي إلى زيادة معرفته بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفهم اكبر مقدار ممكن

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٤٤٢.

(٢) أي أشدها وأمتنها، وأكثرها مشقة، راجع كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٣ ص١٦٨.

(٣) تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج٨ ص١٧٢، وراجع تفسير الرازي ج٢ ص٢١٧.

(٤) المعتبر للمحقق الحلي ج٢ ص٣١٧، وراجع صحيح البخاري ج١ ص٢١٨.

من مراتبهم ومقاماتهم؛ لان الروايات الشريفة صرحت بأن الأجر على قدر المعرفة، حتى ان بعض الزائرين يعطى بكل خطوة حسنة، بينما البعض الآخر يعطى بكل خطوة ألف حسنة، أما الصنف الآخر فيعطى في كل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام، وليس هذا التفاضل والتمايز إلا بسبب المعرفة وشدة الإخلاص واليقين ومراعاة حالة التأدب بالآداب الشرعية عموما وبآداب الزيارة على وجه الخصوص.

جيم: ان يتخلق في أثناء طريقه إلى زيارة قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، بل وفي مطلق أيام حياته، بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وليضع أمام ناظريه ان جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته تنعكس على مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سلبا أو إيجابا، والحفاظ على سمعة وكرامة وبيضة المذهب مسؤولية الجميع لا سيما المتدينين من أتباعه، فعليهم والحال هذه ان ينزهوا أنفسهم عن كل ما من شأنه ان ينقص من قدرهم، وان تكون عليهم سيماء الوقار والهيبة والشدة في تطبيق الأحكام الشرعية ومراعاة الحدود الإلهية، وعدم التهاون في إقامة الواجبات كالصلاة والحجاب وحفظ اللسان والعين والأذن مما يحرم الكلام فيه والنظر إليه وسماعه فقد جاء في صحيحة هشام بن الحكم قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم ان تعملوا عملا يعيرونا ــ أي المخالفين ــ به، فان ولد السوء يعير والده بعمله، وكونوا لمن انقطعتم إليه زينا ولا تكونوا علينا شينا...ولا يسبقوكم ــ يعني بذلك المخالفين ــ إلى شيء من الخير فانتم أولى به منهم)[1].

وعن سليمان بن مهران قال: (دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعنده نفر من الشيعة، فسمعته وهو يقول: معاشر الشيعة، كونوا لنا زينا،

(١) الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٢١٩.

ولا تكونوا علينا شينا ، قولوا للناس حسنا ، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول)[1].

دال : ينبغي على زائري قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حال مشيهم بل في مطلق حالاتهم ، بل وفي مطلق أيام حياتهم ، ان يعين غنيهم فقيرهم ، وان يوقر صغيرهم كبيرهم ، وان يعين قويهم ضعيفهم ، وان تسود بينهم حال مسيرهم وحين وصولهم وفي أثناء رجوعهم روح المحبة والألفة والتراحم والتكافل ، لينظر الله لهم بعين رحمته ، ويشملهم بلطفه ، ويرفعهم ويعزهم بسبب تراحمهم وتكافلهم بان يجعل كلمتهم العليا على من خالفهم. لان عزتهم في وحدتهم وذلهم وانكسارهم في فرقتهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[2].

هاء : المحافظة على نقاوة وصفاء ونزاهة المسير نحو قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وعدم إدخال وإقحام كل ما لا يمت بصلة إلى القضية الحسينية ومراسيم عاشوراء ، ولعل اخطر آفة يمكن ان تسري إلى هذه المسيرات العبادية هي آفة التحزب وإقحام السياسة وشعاراتها واستغلال حشود الزائرين وجموعهم في أغراض سياسية أو انتخابية أو دعائية والخروج بها عن الحالة العبادية والروحية ، فحري بالزائرين الكرام ان لا يضعوا أمام نواظرهم غير الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وإقامة شعائر الزيارة ، وان لا يمنحوا الآخرين فرصة استغلالهم لتحقيق مآرب سياسية أو شخصية ، وعدم رفع أي شعارات أو هتافات وأمثال هذه الأفعال لصالح جهات أو أحزاب أو أشخاص مهما كانت لهذه الجهات أو الأشخاص أهمية دنيوية أو أخروية ، وان تصبح شعاراتهم وهتافاتهم وجميع

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٤٨٤.

(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦.

تصرفاتهم خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى وللإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته ومصيبته ومصيبة أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

القسم الثالث: آداب الحضور والتشرف في مرقد سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه

وهي كثيرة أيضا، لا يتناسب الإتيان على جميعها مع ما نحن فيه من محاولة الاختصار، وهذه الآداب تنقسم إلى آداب ظاهرية، وآداب باطنية معنوية، وفيما يأتي جملة منها معتمدين على ما يكون مسنداً بالدليل القرآني أو الروائي، مع مراعاتنا للمهم منها دون غيره.

ألف: ان شدة التأدب ومراعاة شروط الاحترام والتقديس في مقامات الأئمة الأطهار وروضاتهم المطهرة تابع لمستوى معرفة الزائر بإمامه المزور، وهذه المعرفة تابعة بدورها إلى مستواه العقلي والفكري من جهة، والى مستواه التربوي الذي نشأ عليه وترعرع من جهة ثانية، فيجب على أولياء الأمور، وأرباب الأسر آباء كانوا أو أمهات، ان يربوا أولادهم على تعظيم واحترام وإجلال رموز هذا الدين وأعمدته، وان يكون شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأشخاص الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أعظم في أنفسهم من كل عظيم على وجه الأرض، حتى من الأب والأم أنفسهما، فمثلما لا يسمح الآباء ان يناديهم أبناؤهم بأسمائهم، كذلك فليشددوا على أبنائهم بعدم ذكرهم لاسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو باقي المعصومين وكذلك السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأسمائهم، من دون إتباع الاسم بقول (عليه السلام) أو (عليها السلام) أو (عليهم السلام) أو الصلاة على النبي وآله حين ذكر اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك يجب على الآباء، وكل من يجعل نفسه في مقام المربي، كمعلمي

المدارس وأساتذتهم الكرام، ان يوجهوا الأبناء ومن هم تحت أيديهم وفي عهدتهم، إلى مراعاة ضوابط الأدب مع تلك الذوات الطاهرة، أكثر من مراعاتهم للأدب مع آبائهم وأمهاتهم ومعلميهم، فمثلما لا يقبل الآباء ان يرفع الابن أو التلميذ صوته في وجه والديه ومعلميه، ولا يستهزئ بكلماتهم، ولا يستخف بأوامرهم، كذلك يجب عليهم ان لا يقبلوا على هؤلاء الأبناء ان يرفعوا أصواتهم في محضر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند أداء مراسم الزيارة، وان لا يستهزأ بشيء من أقوالهم وأفعالهم في أثناء الزيارة او غيرها، وتأديبه وتوجيهه وإفهامه ان في عدم التأدب حبط الأعمال وذهاب الثواب من جهة، واستحقاق العقاب من جهة أخرى، لان الله سبحانه وتعالى مثلما توعد بالنار على عقوق الوالدين كذلك توعد بها كل من أساء الأدب وعق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو احد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[1].

إذن فمسؤولية تقديس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية أشخاص المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي مسؤولية الآباء والمربين قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2]، ومن ثم إذا كبر الإنسان واشتد عوده صارت مسؤوليته الشخصية، فإذا ما بدر تقصير لا سمح الله من أبويه أو معلميه أو مجتمعه المحيط به تداركها بنفسه وأصلح ما فسد من حاله بسعيه، وهو أمر ممكن ليس بالعسير، فيجب على الإنسان ان يسعى إلى زيادة معرفته بأئمته لترتفع مرتبتهم ومحبتهم في نفسه، فانه كلما كبرت وتعاظمت مرتبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في نفس الإنسان صغرت وتدنت مرتبة من سواهم

---

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٢.

(٢) سورة التحريم الآية رقم ٦.

في عينه، وصار لديه شعور بوجوب ولزوم مراعاة الأدب والاحترام معهم بحسب حالهم وشأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

باء: قد ورد وصف روضات الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عدة زيارات شريفة بأنها من ضمن البيوت التي أذن الله سبحانه وتعالى في رفعها وإقامتها وتشييدها كي يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال، فقد جاء في زيارة الجامعة الكبيرة ما نصه: (خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محدقين. حتى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)[1]، وفي هذه العبارة إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[2]والتي تطلق في عرف المتشرعة على المساجد، لذلك حكم بعض الأعلام من فقهاء المذهب بإلحاق روضات قبورهم الطاهرة بالمساجد كالشيخ المفيد قدس الله روحه وابن الجنيد رضوان الله تعالى عليه ووافقهما الشهيد الأول قدس الله روحه قائلا: (وألحق المفيد وابن الجنيد المشاهد المشرفة بالمساجد وهو حسن لتحقق معنى المسجدية فيها وزيادة)[3].

وكذا فعل الشهيد الثاني قدس الله روحه حيث قال: (وألحق جماعة من الأصحاب المشاهد بالمساجد وهو حسن بل الأمر في المشاهد أغلظ لتأديتها فائدة المسجد وتزيد شرف المدفون بها)[4].

وقد علل آقا رضا الهمداني إلحاق مشاهد الأئمة الأطهار بالمساجد بقوله: (لان المشاهد من المشاعر العظام التي تشد الرحال للتشرف بها فلا يبعد دعوى كون

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٥٢٩.

(٢) سورة النور الآية رقم ٣٦.

(٣) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة للشهيد الأول ج١ ص٢٧٨.

(٤) روض الجنان للشهيد الثاني ص٨١.

دخول الجنب والحائض هتكا لحرمتها عند المتشرعة)[1]

وأما علماؤنا المتأخرون فتكاد تجمع كلمتهم نصا أو احتياطا على إلحاق روضات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمساجد، وفي هذا الصدد يقول السيد أبو القاسم الخوئي: (يلحق بالمساجد، المصحف الشريف، والمشاهد المشرفة، والضرايح المقدسة)[2].

ويقول السيد محمد سعيد الحكيم: (والأحوط وجوبا إلحاق المشاهد المشرفة بالمساجد في الأحكام)[3].

وقال السيد السيستاني: (المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام تلحق بالمساجد على الأحوط ولا يلحق بها أروقتها...كما لا يلحق بها الصحن المطهر وإن كان الإلحاق أحوط)[4].

وبناءً على إلحاق قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وروضاتهم المطهرة بالمساجد المجعولة من الشارع المقدس محلا للصلاة والذكر، يلحقها كذلك أحكامها، فلا يدخلها من الزائرين جنب ولا حائض، كما يحرم على الزائر تنجيسها أو تنجيس ما فيها من الأدوات والفرش والكتب وغير ذلك، وكذلك يجب عليه كفاية إزالة النجاسة عنها، إلى غير ذلك من الأمور التي يجب مراعاتها في المساجد.

والروايات في ذلك كثيرة منها ما عن أبي بصير قال: (دخلت المدينة، وكانت معي جويرية لي، فأصبت منها ثم خرجت إلى الحمام فلقيت أصحابنا الشيعة

---

(١) مصباح الفقيه (ط.ق) لآقا رضا الهمداني ج ١ ق ١ ص ٢٣٦.

(٢) منهاج الصالحين للسيد الخوئي ج ١ ص ١١٦ مسألة رقم ٤٤٢.

(٣) مصباح المنهاج، الطهارة للسيد محمد سعيد الحكيم ج ٣ ص ٤١٥.

(٤) المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ص ٢٨ ـ ٢٩ مسألة رقم ٣٩.

متوجهين إلى أبي عبد الله عليه السلام، فخفت أن يسبقوني ويفوتني الدخول إليه، فمشيت معهم حتى دخلت الدار، فلما مثلتُ بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إلي ثم قال: يا أبا بصير أما علمت أن بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب. فاستحييت، فقلت له: يا بن رسول الله، إني لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدخول معهم، ولن أعود إلى مثلها وخرجت)[1].

ومنها رواية جابر عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (أقبل أعرابي إلى المدينة فلما قرب المدينة خضخض ودخل على الحسين عليه السلام وهو جنب فقال له: يا أعرابي أما تستحي الله تدخل إلى إمامك وأنت جنب ...)[2].

جيم: وردت بعض الروايات الشريفة والتي نصت على استحباب أن يأتي الزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فور وصوله إلى ارض كربلاء المقدسة وهو على وعثاء سفره حزينا كئيبا شعثا مغبرا، مستذكرا حال إمامه الشهيد الذي قتل وهو كئيب حزين شعث مغبر، وهو ما أوصى به الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه احد أصحابه بقوله: (إذا أردت أنت قبر الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين شعث مغبر، فان الحسين عليه السلام قتل وهو كئيب حزين، شعث مغبر جائع عطشان)[3].

وفي رواية ثانية عن المفضل بن عمر، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: تزورون خير من أن لا تزورون ولا تزورون خير من أن تزورون، قال: قلت: قطعت ظهري، قال: تالله ان أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيبا حزينا، وتأتونه أنتم بالسفر

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص١٨٥.

(٢) مصباح الفقيه لآقا رضا الهمداني ج١ ق١ ص٢٣٦.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٥٢.

كلا حتى تأتونه شعثا غبرا)[1].

لذلك أفتى الشهيد الأول قدس الله روحه واستنادا إلى هذه الروايات وغيرها بقوله: (ويستحب لزائره أن يأتيه محزونا أشعث أغبر جائعا عطشانا، ولا يتخذ في طريقه السفر، ولا يتطيب ولا يدهن ولا يكتحل، ويأكل الخبز واللبن، ويزوره بالمأثور)[2].

ولكن طائفة أخرى من الروايات الشريفة أوصت بأهمية أن يأتي الزائر قبل زيارته إلى نهر الفرات فيغتسل قبل دخوله إلى حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لأداء مراسيم الزيارة، منها ما عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (...ان المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه فاغتسل في الفرات ثم خرج كتب له بكل خطوة حجة وعمرة مبرورات متقبلات وغزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل)[3].

ومنها ما عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من اغتسل بماء الفرات وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفرا من الذنوب ولو اقترفها كبائر وكانوا يحبون الرجل إذا زار قبر الحسين عليه السلام اغتسل وإذا ودع لم يغتسل ومسح يده على وجهه إذا ودع)[4].

وعن بشير الدهان عن رفاعة النحاس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أخبرني أبي ان من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه غير مستكبر وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء كان مثل الذي يخرج من الذنوب وإذا مشى إلى

---

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية للشهيد الأول: ج٢، ص١٢.

(٢) الدروس للشهيد الأول ج ٢ ص ١٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٣٤٣.

(٤) المصدر السابق.

الحسين عليه السلام فرفع قدما ووضع أخرى كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات)[1].

ولعل هذا الاختلاف ما بين المجموعتين من الروايات جاء لتبيان حالة التخيير بالنسبة للزائر، فمن استطاع منهم ان يبقى على صفة الجائع العطشان الأشعث الأغبر من دون ان تضعفه هذه الصفات عن الدعاء والزيارة تعين عليه البقاء، لوجود كثير من الأخبار التي بينت ان قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محل للحزن والبكاء والمصيبة من الملائكة ومؤمني الجن والأولياء من الإنس، فعن علي عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا ابن رسول الله ما لي أراك كئيبا حزينا منكسرا؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مساءلتي، فقلت: وما الذي تسمع؟ قال: ابتهال الملائكة إلى الله جل وعز على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليه السلام ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم)[2].

وفي رواية أخرى ان الله سبحانه وكل بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه (أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكون الحسين «عليه السلام» إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلا شيعوه، ولا يمرض أحد إلا عادوه، ولا يموت أحد إلا شهدوه)[3].

وفي رواية ثالثة: (إن الله وكل بقبر الحسين (عليه السلام) أربعة آلاف ملك،

---

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٦ ص٥٣.

(٢) كامل الزيارات لمحمد بن قولويه ص٤٩٦.

(٣) المصدر السابق ص١٧٤.

شعثا غبرا، يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زال هبط أربعة آلاف ملك، وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر، ويشهدون لمن زاره بالوفاء، ويشيعونه إلى أهله)[1].

وفي رواية رابعة: (وكل الله تبارك وتعالى بالحسين عليه السلام، سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم، شعثا غبرا، ويدعون لمن زاره)[2].

فالأكمل بحال الزائر ان يأتيه أشعث أغبر ولا يتهنأ عنده بطعام أو شراب وان تكون أحداث كربلاء ومصائب العترة الطاهرة وآلام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ماثلة أمامه، وقولنا الأكمل لان الملائكة الكرام اتصفوا بهذه الصفة، ولو لم تكن هذه الصفات صفات كمال أو كان الكمال في غيرها لما اتصفوا بها.

أما من كان يضر به طول الجوع والعطش، ولا يصبر على البقاء أشعث أغبر، ويضعفه ذلك عن الدعاء والزيارة، أو غير ذلك من الأسباب، جاز له الغسل ولبس النظيف من الثياب، وما ذكر من الأجر في روايات الاغتسال لعله بهدف إفهام الزائر ان غسله وتنظيفه لبدنه ولباسه غير منهي عنه بل هو مستحب أيضا وان كان ليس بمستوى مرجوحية البقاء أشعث أغبر عطشانا جائعا كئيبا مواساة لسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وتشبها بالملائكة الحافين بقبره الشريف، (وعلى الجملة أن التقييد تضييق على المكلف، وفي رفعة امتنان مطلقا سواء أكان المقيد من الأمور الإلزامية أو غيرها)[3].

---

(١) كامل الزيارات لمحمد بن قولويه: ص١٧٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٣.

(٣) كتاب الصلاة التنقيح في شرح العروة الوثقى تقريرا لبحث آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله العالي تأليف الميرزا علي التبريزي الغروي ج١ شرح ص٩٠.

ولكن ينبغي لمن يريد الأكل والشرب والغسل وأمثال هذه الأمور ان لا يكون في جميع تصرفاته هذه قاصدا البهجة والسرور وغير ذلك من الحالات التي تفرغ الزيارة من محتواها الروحي والعاطفي، فمن قصد ذلك صار مشمولا بالتوبيخ الموجه من الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه وقوله: (...ولا تزورون خير من أن تزورون... تالله ان أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيبا حزينا، وتأتونه أنتم بالسفر كلا حتى تأتونه شعثا غبرا)[1].

دال: ان يستحضر في نفسه ويستشعر ـ سواء في طريقه إلى زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو عند وصوله إلى ارض كربلاء أو عند الدخول إلى الحرم الشريف ـ انه تحت نظر وعين الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أما مباشرة واما بإخبار الملائكة إياه، فقد وردت الأخبار الشريفة ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موصوفون بالإحاطة بأحوال شيعتهم وحتى غير شيعتهم، بإذن وبإقدار من الله سبحانه وتعالى، فهم وكما في جملة من الروايات يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل ان يستأذنوا عليهم، فعن (عبد الله بن عطاء المكي قال اشتقت إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدنية ما قدمتها إلا شوقا إليه فأصابتني تلك الليلة مطرة وبرد شديد فانتهيت إلى بابه نصف الليل فقلت ما اطرقه هذه الساعة وانتظر حتى أصبح واني لأفكر في ذلك إذ سمعته يقول يا جارية افتحي الباب لابن عطا فقد أصابه برد شديد في هذه الليلة قال فجاءت ففتحت الباب فدخلت عليه)[2].

وكذلك وردت جملة أخرى من الروايات الشريفة المؤكدة على انهم

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص٢٥٠.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٢٧٧ باب١٤ في ان الأئمة عليهم السلام يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل ان يستأذنوا عليهم.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون الإضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرهم وأفعال غيبهم وهم غيب عنهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل أن يستأذنوا عليهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون من يمرض من شيعتهم ويحزنون ويدعون ويؤمنون على دعاء شيعتهم وهم غيب عنهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون من يدخل عليهم بالخير والشر والحب والبغض كل ذلك بإذن الله وإقداره لهم على ذلك وليس هذا من الشرك أو الغلو في شيء كما يقول النواصب ومن لا حظ له من الولاية في شيء، فالقرآن الكريم يحدثنا عن بعض الأولياء ممن هم ليسوا بأنبياء كالخضر صلوات الله وسلامه عليه وذي القرنين صلوات الله وسلامه عليه وصاحب عرش بلقيس والذي ورد في بعض الأخبار انه وصي نبي الله سليمان صلوات الله وسلامه عليه، وغيرهم ممن أعطاهم الله سبحانه وتعالى القدرة على الاطلاع على عالم الغيب والولاية على ما تحت أيديهم من الموجودات، والقرآن يصرح جهارا ان الخضر صاحب نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه قد علمه الله سبحانه وتعالى علما لم يعلمه لنبي من أنبياء أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1] وبهذا العلم استطاع ان يعلم ان السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا لذلك عابها كي لا يطمع في أخذها ذلك الملك، وبهذا العلم الإلهي أيضا استطاع ان يعلم ان في قتل الغلام مصلحة لأبويه المؤمنين الذين أراد ربهما ان يبدلهما عنه خيرا منه زكاة واقرب رحما، وبذلك العلم عرف ان ذلك الجدار الذي بناه من غير اخذ أية أجرة كان تحته كنز أخفاه رجل صالح ومات وله غلامان يتيمان فأراد الله سبحانه ان

(١) سورة الكهف الآية ٦٦ ـ ٦٨.

يبقى تحت ذلك الحائط إلى ان يكبرا ويبلغا أشدهما ثم يستخرجا كنزهما، كل ذلك من فضل الله ورحمته الذي من على هؤلاء الأولياء بالعلم وكشف الحجاب ليقوموا على مصالح العباد ويغيثوا من ليس له مغيث إلا الله سبحانه وتعالى.

وذو القرنين الذي أعطاه الله من كل شيء سببا قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[1]، وفوض إليه ان يحسن لمن يشاء ويعذب من يشاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[2].

فلماذا يستكثر الجهال ان يعطي الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثل الذي أعطاه للخضر وذي القرنين، ولماذا يستبعدون ان يكون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي خير الأمم أمثال الخضر وذي القرنين مع ان أمته صلى الله عليه وآله وسلم هي خير الأمم وينبغي ان يكون فيها رجال ونساء أكمل وأفضل من جميع رجال ونساء الأمم السابقة، فإذا كانت مريم أفضل نساء تلك الأمم ينبغي وبحكم الفطرة السليمة ووفقاً لمبدأ أفضلية امة نبينا على سائر الأمم ان يكون في الأمة الاسلامية سيدة مريم وسائر نساء الأمم السابقة، وهو حاصل فعلا على وفق الأصول العقائدية لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي أفضل نساء عالمها وجميع العوالم السابقة، وإذا كان في الأمم السابقة رجال أولياء كمثل الخضر وذي القرنين ووصي نبي الله سليمان الذين كشف عن بصرهم وبصيرتهم الحجاب وأعطاهم الله سبحانه وتعالى ولاية على كثير من أسباب الكون فلابد ووفقا لمبدأ أفضلية امة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأمم ان يكون فيها

(١) سورة الكهف الآية رقم ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٨٦.

رجال أكمل وأفضل وذوو إمكانيات وقابليات وكمالات ارفع من جميع الأولياء في الأمم السابقة، وهذا ما كان فعلا فالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعطاهم الله سبحانه وتعالى ما لم يعطِ قبلهم من الأولياء، فلا ينبغي بعد كل هذا ان يستكثر مستكثر، أو يرمينا بالغلو بعض من جهل مراتبهم ومقاماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالعودة إلى موضوع آداب الحضور والتشرف في المرقد الطاهر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أقول: يجب على المؤمن المقر والمعترف بأن الإمامة مرتبة يستطيع معها ان يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى حديث نفس الزائر وما يسر ويضمر في قلبه، ويعلم بتفاصيل حال الزائر وشخصه من قبل ان يستأذن للدخول على الإمام صلوات الله وسلامه عليه، ويعلم ما في قلوب زواره من الخير والشر، ويعلم كذلك فقره ومرضه واحتياجه وخوفه وجميع ما يهمه أمره وجميع تفاصيل حياته، فيجب على الزائر وفقا لهذه المرتبة من المعرفة عدة أمور مهمة منها:

١: ان يحافظ الزائر في أثناء دخوله لحرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بل لسائر مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سلامة ما في ضميره ونزاهة ما يجول بخاطره من أفكار وخطرات وحديث نفس وان يصرف فكره ونفسه عن كل ما لا يليق مع ذلك المكان الطاهر، وليلقن الزائر نفسه ويؤدبها على ان الإمام الذي هو في حرمه الشريف مطلع على كل ما يجول في خاطره.

والاهم من ذلك كله ان يطهر الإنسان نفسه وعقله وضميره من أمرين مهمين:

الأول: من العقائد الفاسدة والأفكار التي تخالف الدين وتتعارض مع المنهج الذي بذل من أجله الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دمه الطاهر وضحى بأهله وأولاده وإخوته وأصحابه من أجله.

الثاني : هو رذائل الأخلاق ومساوئ الصفات والملكات ، وصغائر الذنوب وكبائرها ، لينسجم بذلك مع طهارة صاحب القبر ومشهده الطاهر ، فالزيارة لمشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أفضل فرص التوبة من الذنب والاستغفار والإقلاع عن المعاصي.

٢ : ينبغي على الزائر ان يحفظ جوارحه الظاهرية من ان يصدر منه ومنها ما يسيء به أدب الحضور في مجلس الإمام وتحت نظره الشريف ، فلا يتكلم بالمحرم كالغيبة والكذب وسائر المحرمات اللسانية ، ولا ينظر الرجل إلى وجوه النساء ولا النساء كذلك إلى وجوه الرجال بغير القصد المباح شرعا ، ولا يستمع إلى أحاديث الناس المحيطين به وخصوصياتهم ومشاكلهم التي يبثونها إلى الإمام صلوات الله وسلامه عليه أو إلى أشخاص برفقتهم ، وبالجملة كل ما يعد حراما خارج الحرم الشريف فهو في داخله أشد حرمة لوجود الإمام صلوات الله وسلامه عليه وحضوره ، وكل ما يعد خلاف الأدب شرعا وعرفا فانه لا ينبغي للزائر ان يأتي به داخل الحرم الشريف.

٣ : لا ينبغي للزائر ان يرفع صوته عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر قبور أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أما حرمة رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[1] ، واما حرمته عند بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (لما ورد ان حرمتهم كحرمة النبي صلى الله عليه وآله)[2] ، فينبغي على الزائر ان لا يرفع صوته داخل الحضرة المقدسة حتى في أثناء دعائه وزيارته بالمأثور أو غير المأثور ، لان غرض الزائر من رفع صوته ان كان هو

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٩٧ ص١٢٥ الباب الثالث آداب الزيارة وأحكام الروضات.

إسماع الإمام ألفاظ الزيارة فقد ثبت فيما سبق ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون حتى ما يضمره الزائر في قلبه وما يمر بخطرات عقله، فيكون رفع الصوت حينئذ لا فائدة منه، فضلا عن النهي بالآية الشريفة السابقة، وفضلا عن احتمال إيذاء باقي الزائرين في حالة رفع الصوت والتشويش على أسماعهم، فورود عدة محاذير شرعية يكفي في القول بعدم رجحان رفع الصوت ان لم نقل بحرمته كما عرفت من قول العلامة المجلسي قدس الله روحه.

هاء: يجب مراعاة زائر روضات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حال أخوانه الزائرين ممن لم يمنّ الله عليه بالقوة، من ضعاف المؤمنين وكبار السن والأطفال والنساء، فلا يؤذين أحدا منهم بتدافعه أو بكلامه، وليعلم الزائر الكريم ان الله أخفى أولياءه في خلقه، فلا يؤذين أحداً منهم مخافة ان يكون هو ذلك الولي، كما في الحديث المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: (ان الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادة فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم)[1]، وحتى لو لم يكن أغلب الزائرين من هؤلاء الأولياء، فهم داخلون تحت وصف أهل الإيمان حتما، وأذى المؤمن حرام حرمة مغلظة، ومرتكبه ملعون، وقد مر في بحوث سابقة طائفة من الآيات والأحاديث الشريفة اللاعنة لمؤذي المؤمنين، ويدخل تحت عنوان أذى المؤمنين من يقف في طريق مرورهم بحيث يقطع أو يعرقل انسيابية مشيهم

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

وزيارتهم، حتى لو كان وقوفه في طريقهم لغرض الصلاة أو الدعاء أو الجلوس أو الانتظار، ويدخل في عنوان الأذى التدافع المفرط للوصول إلى الشباك الطاهر لقبر المعصوم صلوات الله وسلامه عليه لما يسببه من حرج وألم وانزعاج لبقية أخوانه الزائرين، ولان الوصول إلى الشباك الطاهر مستحب، لكن إيذاء المؤمنين لا سيما الضعاف منهم والمرضى حرام على مرتكبه، فضلا عن منافاته للأخلاق الحميدة، ولما يعطيه من صورة سلبية للشخص المرتكب للتدافع، فان تدافعه لا يعبر البتة عن شوقه وحبه، بل يعكس عدم رقة قلبه، وعدم حرصه على مشاعر وآلام الآخرين.

واو: يستحب لزائر قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان يزور نيابة عن أرحامه ومتعلقيه لا سيما الوالدين، وعلى الخصوص الأموات منهم؛ لأنهم أحوج ما يكونون إلى الأعمال الصالحة، وزيارة مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أعظم تلك الأعمال، وكذلك يستحب له تقديم الآخرين بالدعاء؛ لان الوارد في الروايات الشريفة هو استجابة الدعاء الذي يقدم صاحبه حاجات الآخرين على حاجته، وان يعم بدعائه جميع المؤمنين وأهل الخير والصلاح.

وينبغي على الزائر ان يجعل قسطا من دعائه للطلب من الله سبحانه وتعالى والإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بأن يقيه وجميع أخوته في الإيمان والنسب وجميع أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ميتة السوء، والعاقبة غير الصالحة، وان لا ينقلب وإياهم عن الحق واتباع منهج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان لا يسلب نعمة الإيمان، وان يكثر الإلحاح على الله سبحانه وتعالى والإمام صلوات الله وسلامه عليه بأن يفك رقبته ورقابهم من النار؛ لأنها المسألة التي إذا ما أعطيت للزائر لا يضره ما منع عنه، وإذا منعت عنه لا يفيده كل ما يعطى له.

المبحث الرابع: إكرامنا بسيد الشهداء عليه السلام

حاولت جاهدا ان أجد أشياء محددة يمكن تلخيصها على شكل نقاط استطيع من خلالها حصر واستقصاء جميع أو اغلب مراتب الإكرام التي منّ الله سبحانه بها علينا بواسطة وسبب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فلم افلح في ذلك، ولا أظن احد من الناس إلى يومنا هذا قد افلح في هذه المهمة، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه نعمة من النعم الإلهية، بل هو من أعظم النعم والألطاف والمنن التي منحت للبشرية، ونعم الله سبحانه وتعالى لا يمكن للعادين حصرها ولا إحصاؤها، وكيف يطيقون ذلك وقد اخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الناطق والنبأ الصادق عن عدم إمكان ذلك بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، هذا فضلا عن النعم الأخرى المتفرعة والمتولدة من وجوده صلوات الله وسلامه عليه واستشهاده وثواب زيارته والبكاء عليه، ومن كل نعمة من هذه النعم تتولد نعم أخرى لا علم لأحد بها إلا الله سبحانه وتعالى ولو أراد الحامدون أن يحمدوا الله على نعمة المن على هذا العالم بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وبقية النعم المتفرعة على وجوده صلوات الله وسلامه عليه لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وكيف يستطيعون ذلك ولسان حالهم يقول كما قال الإمام علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه في احد ادعيته: (فآلاؤك جمة ضعف لساني عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلا عن استقصائها. فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر فكلما قلت لك الحمد، وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد)[2].

لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وما لم نستطع احتواءه واستقصاءه تفصيلا نستطيع على اقل التقادير ان نحيط به إجمالا، ويمكن تلخيص وجوه إكرامنا بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بثلاث مراحل هي كالتالي:

(١) سورة النحل الآية رقم ١٨.

(٢) الصحيفة السجادية (ابطحي) للإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه ص ٤٠٩ ـ ٤١٠.

أولا: إكرامنا بأصل نعمة الوجود بسببه صلى الله عليه وآله وسبب بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

كثيراً ما نقرأ في الروايات الشريفة والأدعية المباركة والزيارات المقدسة ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ومن ضمنهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بل هو سيدهم ـ هم العلة والسبب الذي من أجله خلق الله سبحانه الخلق وكوّن الكون، ولولاهم لما وجدت سماء مبنية ولا ارض مدحية، ولا شمس مضيئة، ولا لأنعم الله بالوجود على كل موجود، وهذا ليس من الغلو في شيء، أو من القول بلا دليل حاشا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من القول بغير دليل، ونستطيع من خلال بعض الخطوات الاستدلالية البسيطة إثبات هذه الحقيقة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذه الخطوات هي كالتالي:

أولا: من يدقق النظر والفكر في أجزاء هذا الكون أولا، وفي نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ثانيا، يجد ان كل جزء من أجزاء الكون موجود لهدف وغاية، قد تصل إليها عقولنا تارة، وقد تغفل أو تعمى عنها تارات أخرى، فالغائية والهدفية متحققة وعلى أساسها قد وجد الوجود وكون الكون، وهو أمر يكاد يكون بديهيا ومستغنيا عن البرهان، لا سيما للمؤمنين بوجود الله سبحانه وتعالى وحكمته.

وثانيا: ان كل جزء من أجزاء الكون قد اوجد من اجل جزء آخر منه، وجميعها من اجل الإنسان، ومن تأمل آيات الكتاب العزيز يجد هذا المعنى واضحا جدا، فحينما يتكلم عن الحيوانات والغاية من وجودها يقول سبحانه وتعالى ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1]، ثم يجمل سبحانه وتعالى القول في آية ثالثة ليجعل كل ما في الأرض مخلوقا للإنسان فيقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) سورة النحل الآية رقم ٥.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وحينما يتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أجزاء الكون الأخرى كالشمس والقمر والليل والنهار يقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[2]، إذن فالإنسان وبحسب هذه الآيات الشريفة سبب لخلق الأرض وما عليها، والشمس والقمر، والليل والنهار، وسائر الأنعام، وهو علة من أجله تم إيجادها، فهو علتها الغائية كما يقول الحكماء والفلاسفة، ولولاه لما خلقن ولا اوجدن.

ثالثا: والإنسان كما لا يخفى على احد مؤمن وكافر، ومن غير المعقول ان تخلق السماوات والأرض والشمس والقمر والبحار والجبال بما فيها من اجل الإنسان الكافر، فلابد حينئذ ان تكون كل هذه الموجودات مخلوقة للإنسان المؤمن، دون الكافر، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]فهي للذين آمنوا أصالة ويشاركهم الذين كفروا فيها بالتبع، أما يوم القيامة فليس للكافر في النعم نصيب، وهي للذين آمنوا خالصة.

رابعا: ان هؤلاء المؤمنين الذين خلق الله الكون وما فيه من أجلهم صنفان أيضا، فمنهم مأموم تابع، ومنهم إمام متبوع وهو المعبر عنه في بعض الروايات بالحجة، والإمامة منصب واسع يشمل الأنبياء والأوصياء، وما دونهم مأموم تابع، والإمام والحجة في كثير من الروايات الشريفة، هو سبب وعلة وجود غيره من بقية أصناف أهل الإيمان من المأمومين، ولولا وجوده المقدس لساخت الأرض وانمحت

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٩.

(٢) سورة ابراهيم الآية رقم ٣٣.

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٣٢.

من الوجود، فعن أبي حمزة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)[1].

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: فإنا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذا لساخت)[2].

وعن (أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله)[3].

وسبب ذلك يعود إلى أنه لولا وجود الحجج من الأنبياء والأوصياء لم يعبد الله سبحانه، ولكان الناس أمة واحدة على الكفر والإلحاد، والكافر كما عرفنا سابقا ليس أهلا لان توجد الأرض والسماوات من أجله، ومع انحصار الإنسان بصنف الكافر لا يبقى هدف ولا غاية لان تخلق الأرض وبقية أجزاء الكون، فتنمحي حينئذ وتفنى، فالإمام ـ بغض النظر عن كونه نبيا أو رسولا أو وصيا ـ هو الأمان لأهل الأرض من ان تزول ومن عليها، وهو سبب بقائهم ولأجله يرزقون، وهو سبب وجودهم وعلة إنشائهم.

خامسا: كما هو معلوم فإن الإسلام هو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الأرض، وحجته البالغة على العباد، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4]، والإسلام دين

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص١٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٩.

تكامل وفقا لتكامل البشرية ، حتى ختم على يد النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسبب اختيار النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمهمة الخاتمية هو تلك المواصفات والقابليات الكمالية التي يتفرد بها عن سائر من سبقوه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع أهل الأرض ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم إمامهم وخيرتهم وسيدهم ، لان مرتبة (خاتم الأنبياء والمرسلين) فوق كل الرتب التي يمكن ان يتمتع بها الأنبياء والمرسلون ، فلا ضير ان يكون حاملها فوق كل الأنبياء والمرسلين ، ولو لم يكن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أكملهم وأقدرهم على أداء الرسالة الخاتمة لما ختمت الشرائع على يديه الكريمتين ، ولو لم تختم الشرائع لبقي الإسلام الذي هو دين الله سبحانه وتعالى ناقصا لا يحقق الغرض من تشريعه وتأسيسه ، ولبقيت الناس على الشريعة اليهودية المحرفة والمسيحية المشركة ، ولورث أهل الشرك والكفر الأرض ومن عليها ، ولتخلف الهدف الذي من أجله خلق الكون ، إذ ان الكون ـ وكما عرفنا سابقا ـ وما فيه مخلوق للمؤمن فإذا لم يكن هنالك مؤمن لم يكن هنالك سبب لبقائه واستمراره ، بل لم يكن هنالك سبب لخلقه من الأساس ، لان الله سبحانه وتعالى يعلم غيب السماوات والأرض قبل خلق السماوات والأرض ، لأنه من غير المعقول ان يخلق الله الكون ليتكامل وليرث الذين آمنوا الأرض ومن عليها ويتمتعوا بخيراتها ، ثم لا يتحقق الهدف ، ويرثها الذين كفروا والمشركون ، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجوده وإكماله للشرائع السماوية وإرساله بالرسالة الخاتمة هو الذي حقق الهدف والغاية من الخلق ، وبه استمر خط التوحيد واكتمل ، وبسببه سيرث الذين آمنوا الأرض ومن عليها ، فهو السبب الذي تفضل الله سبحانه وتعالى به على كل جزء من أجزاء الكون بنعمة الوجود.

سادسا : ان مبدأ الخاتمية كان مشروعا طويل الأمد يمتد بامتداد عمر البشرية ، ويستمر إلى آخر يوم من أيامها ، وهو أمر يحتاج إلى أشخاص يحملون حمل الرسالة

ويستمرون في تبليغها وحفظها وصيانتها من التلاعب والتحريف والتزوير كما فعل بالشرائع السابقة والأديان السالفة، وهي مهمة لا يتسع لها العمر الطبيعي للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فكان ولابد ان يكون له أوصياء وحجج يؤدون هذا الدور المكمل، فكان الأئمة الاثنا عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الحجج الذين أكملوا مسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وحفظوا شريعته.

فلولا وجود أشخاصهم المقدسة لبقيت الرسالة الخاتمة بلا راع ولا حفيظ، ولوقع المحذور الذي بيناه في النقطة السابقة، ولاستولى الباطل على أهله وعطلت حدود الإسلام وفروضه، ولضاعت جهود الأنبياء العظام والرسل الكرام والأوصياء والشهداء منذ أبينا آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله، وبذلك يضيع هدف الخلق وعلة الإيجاد بالتقريب الذي تقدم في النقاط السابقة، فبوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منّ الله سبحانه وتعالى على الخلق بالخلق وعلى الكون بالتكوين والإنشاء، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين علة غائية وسببية لإكرام العباد بنعمة الوجود بل بكل النعم الأخرى المتفرعة على ذلك.

سابعا: الأئمة والحجج من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قضى الله سبحانه وتعالى وقدر ان يولدوا من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، التي كما في الروايات الشريفة لم يكن لها كفو غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فهي صلوات الله وسلامه عليها سبب في وجودهم وهم سبب لإيجاد هذا العالم بكل تفاصيله، وسبب السبب سبب أيضا، وعلة العلة علة أيضا.

وبهذا التقريب، استطعنا ان نثبت ان شاء الله، كون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموما، والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الذي هو مورد كلامنا في هذه الصفحات على وجه الخصوص، هم السبب الذي به منّ الله سبحانه وتعالى علينا وعلى كل ما في الوجود بنعمة الوجود.

ثانيا: إكرامنا بما لا يحصى من النعم الدنيوية المحضة، أو التي لها عوائد أخروية

مهما أراد العقل البشري المحدود ان يحيط ببركات وجود سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وانعكاسات هذا الوجود على سائر الناس عموما وعلى الموالين بوجه الخصوص فلن يستطيع إلى ذلك سبيلا ، وقد مر فيما سبق جملة من هذه العوائد والمنافع ، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مفزع للمكروبين ، وملاذ للمحتاجين ، وأمان للخائفين ، لا يأتيه آت منهم إلا ورجع وله من كربه فرج عاجلا أو آجلا ، ومن فقره غنى وسرور ، ومن خوفه أمن وطمأنينة ، فكم من عبد أمسى وأصبح خائفا مرعوبا وحيدا وجلا هاربا طريدا قد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، لم يجد له حيلا ولا لخوفه أمنا ولا لهروبه مأوى غير قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ، فأبدله الله بكرامة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه أمنا وطمأنينة وعافية وفرجا من ذلك كله.

وكم من مؤمن وموالٍ أودع في مطامير السجون ومضائق الحبوس وكربها ، مغلولا مقهورا ، ذليلا بين حديدها وزبانيتها ، لا يدري أي مثلة يمثل به ، ولا أي قتلة يقتل ، قد أبدل ببركة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وكرامته بالفرج بعد الشدة والعافية بعد البلاء والسعة بعد الضيق.

ولو أحصينا أولئك الذين منّ الله عليهم بسبب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبواسطته بالفرج من كربتهم والغنى من فقرهم والأمن من خوفهم منذ ان استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا لفاق إحصاؤهم الحد ولتوقف دون بلوغ آخرهم العد ، وكيف يحصيهم المحصون وليس من الموالين شخص إلا ولحقته بركة وجوده المقدس يوما من أيام عمره أو اغلب أيامه ان لم نقل كلها ، والذي يخفى من

ألطاف سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ومننه الباطنة أكثر وأكثر.

ومن أنواع إكرامنا بسيد الشهداء إضافة إلى ما سبق، هو تلك الخاصية الإلهية الموجودة في تربته الطاهرة، فخاصية الشفاء من كل داء هي من أعظم بركات وجوده وكرامات الله سبحانه وتعالى ومننه التي وهبها الله لشيعة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فكل من عجز الأطباء والحكماء عن علاجه فانه سيجد عند سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بغيته، وكل من لم يجد له من مرضه راحة فانه سيجد في تربة سيد الشهداء راحته بإذن الله سبحانه وتعالى، فكم من عبد سقيم موجوع، له من آلامه أنين وعويل، يتقلب على فراش علته، لا يسيغ طعاما ولا يستعذب شرابا، قد أبدل ببركات تربة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه صحة في البدن، وسلامة في العيش، بمنّ الله ورحمته وبتوسط وكرامة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ومن أنواع إكرامنا بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه هو ذلك الأجر الذي يعطى لزائريه وقاصديه والباكين أو المتباكين على مصابه ورزاياه، حتى لمن يخرج من عينه قطرة دمع بقدر جناح البعوضة، وثواب التأليف والرثاء له وإقامة مجالس الندب والعزاء، وإقامة شعائره، فلو ألفّت في هذه المسائل كتب ما استطاع احد استقصاء فضلها ولا إحصاء ما يتفضل به الله سبحانه على فاعليها ومقيميها.

كل هذا يخص الفرد بوصفه فردا، أما ما يخص المجتمع بوصفه مجتمعا، فمن أعظم درجات الإكرام الممنوحة له بتوسط سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه هو بقاء نعمة الإسلام الذي انزل من الله سبحانه وتعالى والذي لولا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته المباركة ونهضته الإلهية لعاد جاهلية جهلاء، ولحرفت آل أمية كل حكم من أحكامه، ولمزق كتاب الله سبحانه وتعالى وحرفت آياته وبدلت أصوله، ولصار الدين الذي بذلت من

أجله الدماء وأعطى الأنبياء العظام والأوصياء الكرام كل غال ونفيس ألعوبة بيد صبيان آل أمية يحلون منه ما يلائم شهواتهم ومصالحهم الجاهلية ويحرمون منه ما لا يتوافق مع جاهليتهم، ولصار شرب الخمر ونكاح المحارم واللعب بالقرود من الدين ولما عبد الله سبحانه وتعالى حق عبادته، فالأمة الإسلامية جمعاء مُدينة لأبي الأحرار وسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فكما الأمة مُدينة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله لإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى المعرفة ومن الكفر إلى الإيمان، ومن النار إلى الجنة، كذلك هي مُدينة لسيد الشهداء على إبقاء هذه المسيرة وهذا الدين خالصا من تلاعب أهل الجاهلية، ونزيها من تحريف حكام الجور وأئمة الضلالة، وقد صدق من قال إنّ (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).

ومن أنواع الإكرام الشاملة لجميع أفراد المجتمع، لا سيما الموالي منه، هو إكرامنا بشتى أنواع العلوم والمعارف الإلهية والشرعية، بتوسط سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فهو كما في كثير من الروايات الشريفة واسطة فيض لجميع ما يصدر وما ينزل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، شأنه في ذلك شأن بقية الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوجد على هذه الحقيقة روايات كثيرة منها ما عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهما قال: (قلت جعلت فداك كل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين بعده ثم الحسن بعد أمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسين ثم كل إمام إلى أن تقوم الساعة قال نعم مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفى كل شهر أي والله وفي كل ساعة)[1].

وقد عقد الشيخ الكليني قدس الله روحه عدة أبواب تتكلم جميعها عن هذه الحقيقة منها الباب الذي عنونه باسم: (في أن الأئمة عليهم السلام يزدادون في ليلة

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص ٤١٥.

الجمعة)[1]، ومنها (لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم)[2]، ومنها (أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام)[3].

هذا ما يشارك به الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أما ما يختص به صلوات الله وسلامه عليه فهو يفوق الإحصاء، فالعلوم التي خرجت على يديه أجلّ من ان يبينها هذا الإجمال، ولو ألفت موسوعات كاملة بخصوص دعاء عرفة فقط، وما يحتويه من علوم ومعارف عقلية وشرعية وأخلاقية وأدبية، لما أتي على كل ما فيه من غوامض وأسرار ومعارف يعجز عن الإتيان بها أو تصويرها غيره صلوات الله وسلامه عليه وغير من هو منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثالثا: إكرامنا يوم القيامة بغفران الذنوب ورفع الدرجات بفضل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه

ستبدأ يوم القيامة مرحلة جديدة من مراحل الإكرام والتكريم لشيعة الإمام الحسين ومحبيه وزائريه والباكين عليه ونادبيه ومن خط في سبيله كتابا أو شعرا أو نثرا، وهذه المرحلة ذات عوائد أعظم بكثير من تلك التي كانت للمؤمنين في عالم الدنيا، فنعم الدنيا مهما بلغت درجة أهميتها، فإنها تبقى محدودة ووقتية وزائلة أما ما يعطى لشيعة الإمام الحسين ومحبيه ومواليه يوم القيامة فهو دائم باقٍ لا يزول ولا يضمحل.

إضافة إلى ان العالم الدنيوي ليس له قابلية استيعاب النعم الإلهية الحقيقية

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٤.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٥.

فليس للدنيا ان تسع مثلا جنة أو بيتاً يعطى للمؤمن من ذهب أو من لؤلؤ، أما يوم القيامة فله هذه القابلية، فالكرم والإكرام الواقعي سيظهر في ذلك العالم بما لا يقاس مع عالم لدنيا.

وسيرى شيعة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومحبّوه ان لله سبحانه وتعالى مع محبي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تعاملا خاصا، وكما في بعض الروايات ان ما من احد من أهل المحشر إلا ويتمنى انه قد زار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لما يفعل بزواره وشيعته ومحبيه من الإكرام، وسيجني المؤمنون بإمامة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته ثمار أعمالهم التي أجهدوا فيها أبدانهم في سبيل الإمام الحسين وزيارته وإحياء شعائره، فكم من ذنب عظيم سيغفر وكم من امر مخوف مهول سيكفى وكم من درجة من درجات الجنة سترفع لمحبي الإمام الحسين وشيعته، وكم لله سبحانه وتعالى من عتيق من عتقاء ناره، اعتق بفضل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسببه، جعلنا الله سبحانه وتعالى وسائر شيعة أهل البيت منهم، اللهم آمين يا رب العالمين.



أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَأْرِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت روايات كثيرة عن الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثت جميعها عن الشخص الذي ستوكل له مهمة الأخذ بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ، وقد أوضحت بعضها ان الذي سيأخذ بثاره صلوات الله وسلامه عليه وثار بقية أهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي بعضها الآخر القائم أو قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمقصود من كل ذلك هو الإمام المهدي الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ومن هذه الروايات ما عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ

سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1]، قال صلوات الله وسلامه عليه: (ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفا، وقوله: ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾ لم يكن ليصنع شيئا يكون سرفا[2]، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها)[3].

وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه في قوله ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[4] قال: (هو الحسين بن علي عليهما السلام قتل مظلوما ونحن أولياؤه والقائم منا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيقتل حتى يقال قد أسرف في القتل وقال: المقتول الحسين، ووليه القائم والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله عليهم الصلاة والسلام يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما)[5].

وفي الدعاء المعروف بدعاء الندبة المروي عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ورد

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم ٣٣.

(٢) ومعنى قوله صلوات الله وسلامه عليه (لم يكن ليصنع شيئا يكون سرفا) ان (لا) في الآية هي (لا النافية) وليس (لا الناهية) أي ان الإسراف منفي عن قتله لأعداء الله وقتلة الحسين بالغاً ما بلغ عددهم وجمعهم. وقد يكون معنى العبارة ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه معصوم لا يصدر عنه السرف، إذ السرف والإسراف مثلبة وكبيرة لا يمكن أن تصدر عنه، وعليه فمهما قتل من أعداء الله وقتلة الإمام الحسين فيكون بذلك مصيبا محقا لا يخرج بذلك عن حد الاعتدال بالغاً ما بلغ عدد أولئك الذين سيقتص الإمام المهدي منهم ثارات جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٤) سورة الإسراء الآية رقم ٣٣.

(٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٢١٨.

صريحا قوله: (أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذي يجاب إذا دعا)[(١)].

وفي الزيارة المروية في البحار: (السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار... الذي يظهر في بيت الله الحرام ذي الأستار وينادي بشعار يا لثارات الحسين، أنا الطالب بالأوتار أنا قاصم كل جبار أنا القائم المنتظر بن الحسن عليه وآله أفضل السلام)[(٢)].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (... القائم إذا خرج يطلب بدم الحسين وهو قوله نحن أولياء الدم وطلاب الدية)[(٣)].

إضافة إلى ذلك فان المرتكز عند عامة المتشرعة من المؤمنين قديما وحديثا ان هنالك يوماً لابد وان يأتي يوم يأخذ الله سبحانه وتعالى فيه بثارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين قتلوا في يوم عاشوراء على رمضاء كربلاء.

وقد ارتكز أيضا عندهم أن أخذ الثار هذا سيكون على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه حين ظهوره وإعلاء كلمة الإسلام وجعلها العليا، وليس هذا الارتكاز عند المتشرعة بالأمر الحادث بل هو قديم متصل بأيام الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد صرحوا به أمامهم ولم ينهوا المؤمنين عنه فصار أمرا مفروغا من شرعيته بإقرار نفس المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وتائية دعبل الخزاعي رحمه الله التي

(١) المزار لمحمد بن المشهدي ص٥٧٩.

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص١٩٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٤ ص٢٢٤.

ألقاها بمحضر ومسمع الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه خير دليل على هذا الارتكاز الشرعي، فحينما يذكر دعبل الخزاعي مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما جرى عليهم من قتل وسبي، يعقب موضحا بان لهذه المصائب والآلام نهاية، وان لهذه الجرائم يوما يقتص فيه من مرتكبيها، وان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من سيقتص ويأخذ بالثار منهم، فنراه يقول:

ديار رسول الله أصبحن بلقعا ... وآل زياد تسكن الحجرات

وآل رسول الله تدمى نحورهم ... وآل زياد ربة الحجلات

وآل رسول الله يسبى حريمهم ... وآل زياد آمنوا السربات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع نفسي إثرهم حسرات

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات[1]

وفي قصيدة السيد حيدر الحلي رحمه الله التي قرأها بمحضر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والتي جاء فيها:

فاشحذ شبا عضب له ... الأرواح مذعنة مطيعه

واطلب به بدم القتيل ... بكربلا في خير شيعه

ماذا يهيجك إن صبرت ... لوقعة الطف الفظيعه

أترى تجيء فجيعة ... بأمض من تلك الفجيعه

حيث الحسين على الثرى ... خيل العدى طحنت ضلوعه

قتلته آل أمية ... ظام إلى جنب الشريعه

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٩ ص ٢٥٠.

ورضـــيعه بـــدم الوريـــد مخــضب فاطلــب رضــيعه
يــا غـــيرة الله اهتفــي بحميـــة الـــدين المنيعـــه
ودعــي جنـــود الله تمـــلأ هـــذه الأرض الوســيعه
واستأصـــلي حتـــى الرضـــيع لآل حـــرب والرضـــيعه
مـــا ذنـــب أهـــل البيـــت حتـــى مـــنهم أخلـــوا ربوعـــه[1]

ولم نسمع من الإمامين علي بن موسى الرضا والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهما اعتراضاً على محتوى القصيدتين ومضمونيهما، وهو ما يسمى في علم الأصول بإقرار المعصوم وهو من الأقسام التي يمكن ان يركن إليها في باب الحجية والإثبات، إذ لو كان فيهما خطأ عقائدي لا ينسجم مع خط وعقائد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لوجب على المعصوم تبيانه والرد عليه وبما انه لم يرد ولم يبين خلافه فيكون داخلا قطعا في باب الصحيح الموافق للحق.

أما السؤال بالتوفيق لطلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه، فهو أمر على اقل التقادير مباح جائز، وإلا فهو من أعظم الأمور الراجحة، إذ ان مجرد الفوز بالمشاركة والانضمام تحت راية بقية الله في أرضه، والانخراط في جيشه المنصور، هو من أعظم النعم على المؤمن، والتي ينبغي على الموالي ان يدعو الله سبحانه وتعالى صباحا ومساء للتوفيق إليها ونيلها، فكيف إذا انظم إلى هذا الشرف شرف آخر والى هذه النعمة نعمة أخرى والى هذا الرزق رزق آخر، وهو الفوز بالطلب بدم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، هذا الشرف الذي تتمناه الملائكة قبل الآدميين، والأولياء قبل غيرهم، جعلنا الله وجميع الموالين من الطالبين بثار الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ ص ٣٧.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

١: أَنْ يَرْزُقَنِي

(أَنْ) هنا مصدرية، ومعنى الرزق في (يَرْزُقَنِي) هو كل ما ينتفع به من العطاء النازل من الله سبحانه وتعالى، فكل عطاء مستمر يسمى رزقاً، قال الجواهري في الصحاح: (الرزق: ما ينتفع به والجمع الأرزاق. والرزق العطاء، وهو مصدر قولك: رزقه الله)[١].

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (إن الرزق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدرار ولهذا يقال أرزاق الجند لأنها تجري على إدرار)[٢].

والرزق كما يكون للأبدان كذلك يكون للأرواح والقلوب، فرزق البدن طعام وشراب ولباس وغير ذلك من النعم المتعلقة بالبدن، أما رزق الأرواح والقلوب فالعلم والحكمة وكل فيض تحيا به الروح ويتكامل به القلب، قال ابن الأثير: (والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم)[٣].

وللإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه تقسيم آخر للرزق أوضحه في أثناء حديثه للإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه قائلا: (واعلم يا بني أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك)[٤].

والرزق يكون من الله سبحانه وتعالى على نحوين فتارة يفعله ويوجده ويعطيه لعباده أو

---

(١) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٤٨١.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٥٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٩.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٠٠ ص٣٩.

لأحدهم مباشرة من دون واسطة، وأخرى مع الواسطة، قال الشيخ الطوسي في تفسير البيان: (وكل رزق فهو من الله تعالى إما بأن يفعله أو يفعل سببه)[1].

٢: طَلَبَ ثارِكَ

(طَلَبَ) قد يكون بمعنى محاولة وجدان الشيء، أو الشيء الذي يكون للإنسان عند آخر من حق يطالبه به، قال الخليل الفراهيدي: (طلب: الطلب: محاولة وجدان الشيء. والطلبة: ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به. والمطالبة: أن تطالب إنسانا بحق لك عنده، ولا تزال تطالبه وتتقاضاه بذلك)[2].

وقال ابن منظور: (الطلب: محاولة وجدان الشيء وأخذه. والطلبة: ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به. والمطالبة: أن تطالب إنسانا بحق لك عنده، ولا تزال تتقاضاه وتطالبه بذلك)[3].

و(ثَارِكَ) الضمير عائد إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والثار كما مر في فقرة سابقة يطلق ويراد منه الدم، قال الزبيدي في تاج العروس: (الثأر، بالهمز وتبدل همزته ألفا: الدم نفسه)[4].

وقد يطلق الثار ويراد به العدو، قال ابن منظور: (وفي حديث عبد الرحمن يوم الشورى: لا تغمدوا سيوفكم عن أعدائكم فتوتروا ثأركم، الثأر هنا: العدو لأنه موضع الثأر)[5].

(١) التبيان للشيخ الطوسي ج ٩ ص ٣٦٠.
(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص٤٣٠.
(٣) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٥٥٩.
(٤) تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ١٣٨ فصل الثاء المثلثة مع الراء.
(٥) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٩٨.

٣: مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ

(مَعَ) ظرف مكان وهي هنا بمعنى المصاحبة.

(إِمَامٍ) والإمام لغة هو القدوة فكل من اقتدي به سمي إماما، قال الخليل الفراهيدي: (وكل من اقتدي به، وقدم في الأمور فهو إمام، والنبي عليه السلام إمام الأمة، والخليفة: إمام الرعية. والقرآن: إمام المسلمين.. والمصحف الذي يوضع في المساجد يسمى الإمام)[١].

والإمام سواء في اللغة أو الشرع لفظ مشترك يطلق على إمام الحق والعدل، وكذلك على إمام الجور والضلالة، لان كلاً منهما قدوة يقتدي به أتباعه، ويقدموه في أمورهم على غيره، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وصف أئمة الحق والهدى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وصف أئمة الضلالة والكفر: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضا: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾[٥].

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٨ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ٧٣.

(٣) سورة السجدة الآية رقم ٢٤.

(٤) سورة التوبة الآية رقم ١٢.

(٥) سورة القصص الآية رقم ٤١.

وقال ابن منظور: (والإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين)[1].

و(مَنْصُورٍ) والنصر هو إعانة المظلوم، قال الخليل الفراهيدي: (النصر: عون المظلوم)[2]، والمنصور هو المعان على عدوه قال ابن منظور: (وقد نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوه وشد منه)[3].

والنصرة وان كانت معونة إلا أنها لا تكون إلا على العدو، قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (الفرق بين النصر والمعونة: النصر: يختص بالمعونة على الأعداء. والمعونة: عامة في كل شيء. فكل نصر معونة ولا ينعكس)[4].

والمقصود بالإمام المنصور هنا هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، والناصر له هو الله سبحانه وتعالى، والآيات التي ستظهر قبله وعلى يديه، والملائكة والمؤمنون من الإنس والجن وغيرهم.

٤: مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله

(أَهْلِ) الأهل هم قرابة الرجل الأدنين، قال أبو هلال العسكري: (إن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الأدنين)[5].

(بَيْتِ) والبيت لغة قد أطلق على عدة معانٍ، فأطلق مثلا على الخيمة من

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٢ ص ٢٤.

(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ١٠٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٢١١.

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٤٠.

(٥) المصدر السابق ص ٨٤.

القصب أو الشعر، قال ابن منظور: (وقد يقال للمبني من غير الأبنية التي هي الأخبية بيت، والخباء: بيت صغير من صوف أو شعر)[1].

وأطلق على الدار والقصر قال ابن منظور: (وبيت الرجل داره، وبيته قصره، ومنه قول جبريل، عليه السلام: بشر خديجة ببيت من قصب)[2].

وأطلق على القبر، قال ابن منظور: (والبيت القبر، على التشبيه)[3].

وكثيراً ما يطلق على الأشخاص المنتمين لصاحب البيت قاصدين به أهل الشرف والسؤدد من أقارب الرجل الأدنين، قال ابن منظور: (وبيت العرب: شرفها، والجمع البيوت... والبيت من بيوتات العرب: الذي يضم شرف القبيلة... وقال العباس يمدح سيدنا رسول الله، صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف، علياء تحتها النطق، جعلها في أعلى خندف بيتا، أراد ببيته: شرفه العالي)[4].

(مُحَمَّدٍ) هو النبي الأعظم سيد ولد آدم وخير الخلق وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله عليه وعلى آله آلاف التحية والتسليم.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ورد للفظ الصلاة معانٍ عدة، منها:

ألف: وردت بمعنى الدعاء، قال الفراهيدي: (وصلوات الرسول للمسلمين: دعاؤه لهم وذكرهم ...وصلاة الناس على الميت: الدعاء)[5].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص١٥.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص١٥.

(٥) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ١٥٣ ـ١٥٤.

وقال ابن سلام في غريب الحديث: (قال أبو عبيد: كل داع فهو مصل وكذلك هذه الأحاديث التي جاء فيها ذكر صلاة الملائكة ... فهو عندي كله الدعاء)[1]، وقال الجوهري: (الصلاة: الدعاء)[2].

باء: وجاءت بمعنى الرحمة أو الترحم، قال الجوهري في الصحاح: (والصلاة من الله تعالى: الرحمة)[3]، وقال ابن منظور: (وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه)[4].

جيم: وجاءت بمعنى التعظيم والتشريف وإعلاء الشأن، قال ابن منظور: (وقيل: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب ـ تعالى وتقدس ـ ... وأما قولنا: اللهم صل على محمد، فمعناه عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته)[5].

وقال الطريحي في مجمع البحرين: (قال بعض الأفاضل: «الصلاة» وان كانت بمعنى الرحمة لكن المراد بها هنا الاعتناء بإظهار شرفه ورفع شأنه، ومن هنا قال بعضهم: تشريف الله محمدا صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[6] أبلغ من تشريف آدم بالسجود)[7].

---

(١) غريب الحديث لابن سلام ج ١ ص ١٧٨.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٦ ص٢٤٠٢.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص٢٤٠٢.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٤٦٥.

(٥) المصدر السابق ج ١٤ ص ٤٦٦.

(٦) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٦.

(٧) مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٢ ص ٦٣١.

دال: وجاءت بمعنى الاستغفار، قال ابن منظور: (والصلاة: الدعاء والاستغفار)[١]، وقال في موضع ثانٍ: (ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث سودة: أنها قالت يا رسول الله، إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا، فقال لها: إن الموت أشد مما تقدرين، قال شمر: قولها صلى لنا أي استغفر لنا عند ربه)[٢].

هاء: وجاءت بمعنى اللزوم، قال ابن منظور: (وقال الزجاج: الأصل في الصلاة اللزوم. يقال: قد صلي واصطلى إذا لزم، ومن هذا من يصلى في النار أي يلزم النار)[٣].

وقال أيضا: (قال الأزهري: والقول عندي هو الأول، إنما الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه)[٤].

وعليه يصبح معنى الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥]، هو الأمر بلزوم واتباع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم عترته وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل من الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة عليه ونهى عن ان يصلى عليه دون آله وسماها بالصلاة البتراء أي الناقصة.

واو: وجاءت الصلاة بمعنى تالي السابق، فكل من سبق في سباق ما يسمى فائزا، وكل من يتلوه ويأتي بعده مباشرة وبلا فصل يسمى مصليا، قال الفراهيدي:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٤٦٤.

(٢) المصدر السابق ج١٤ ص ٤٦٥.

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٦.

(وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: قد صلى وجاء مصليا لان رأسه يتلو الصلا الذي بين يديه)[1].

قال الجوهري:

(والمصلى: تالي السابق. يقال: صلى الفرس، إذا جاء مصليا، وهو الذي يتلو السابق، لان رأسه عند صلاه)[2].

فتكون الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تستبطن معنى التتالي والتتابع ما بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأطهار من آله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويكون هذا التتالي والتتابع بلا فصل بينهما، ويكون معنى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[3] هو وجوب الإتباع والموالاة بين النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بلا فصل بينهما.

و(وَآلِهِ) هم أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنفسهم، قال أبو هلال العسكري: (وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل، فيدل على أن أصل الآل الأهل، وقال بعضهم: الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده، والذي يرفع في الصحارى آل لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخيمة، والشخص آل لأنه كذلك)[4].

وسيأتي تفصيل لمعنى الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ووجوبها وفضلها وأشياء آخر في مبحث مستقل ان شاء الله.

---

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي ج ٧ ص ١٥٣.

(٢) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٤٠٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٦.

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٨٤ ـ ٨٥.

المبحث الثالث: ثار الإمام الحسين عليه السلام أهميته وبعض المسائل المتعلقة به

أولا: هل يمكن لثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يكون مهما؟ وما درجة أهميته؟

يمكن لنا ومن خلال قرائن عديدة وأحاديث كثيرة أن نكتشف أهمية وقيمة وعظمة الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفيما يأتي جملة من تلك الأحاديث والقرائن.

ألف: نستطيع ونتيجة للأخبار والروايات التي تقدمت في المبحث الأول ان نكتشف بأن واحدة من المهام الجسام والوظائف العظام التي سيحققها الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه حين خروجه هو الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقد أكدت الروايات الشريفة عن الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على هذه المهمة تأكيدا ملفتا للانتباه، مما يدل على ان المسألة أكثر من مجرد مسألة القرابة والنسب الذي يجمع ما بين الإمام الحسين والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهما، وان جعل ثارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والمطالبة به كشعار هو أكبر من كونه مسألة عاطفية أو مذهبية أو فئوية، وذلك لان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لا يقوم ولا يخرج بهدف العاطفة والفئوية بل يخرج لإنقاذ الإنسانية جمعاء فلابد أن تكون أهدافه وشعاراته إنسانية عامة لا تتقيد بفئة ولا تختص بطائفة، وعليه فحينما يرفع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شعارا له فان رزايا وهموم وآلام البشرية جمعاء في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ستنطوي تحته، فيكون رفعه رفعا لثارات جميع المؤمنين والمضطهدين والمحرومين.

فيكون دعاء الزائر في الزيارة وقوله (أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَأرِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو في حقيقته سؤال لطلب ثار كل الأنبياء العظام والأوصياء الكرام وسائر الأئمة وشيعتهم وجميع المحرومين والمستضعفين منذ آدم إلى حين قيام الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وسيأتي لاحقا تفصيل أكثر لهذه الحقيقة.

باء: ويمكن استنتاج أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال الشخص السائل، إذ ان السائل لطلب الثار مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فأمر يتمناه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه لابد أن يكون عظيما، وإذا كان عظيما في نظر المعصوم فلابد ان يكون عظيما عند الله سبحانه وتعالى، فيجب على عامة المؤمنين من شيعة أهل البيت وأسوة بأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن يتمنوا ذلك ويطلبوا من الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم إياه، ولو أن مؤمنا أفنى عمره في طلب هذه المرتبة، بالتزكية والإعداد والتربية ما كان ملوما، لأنه حينئذ قد أفنى عمره في رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته.

باء: ويمكن استنتاج أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال الشيء المسؤول به، لان السؤال بحق وشأن الشيء العظيم يستدعي ان يكون الشيء المطلوب عظيما أيضا، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه وقبل سؤال الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، سأل الله بمقام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكرامته عند الله سبحانه وتعالى، وسأل الله سبحانه وتعالى بالإكرام الذي جعله لموالي الإمام الحسين وشيعته، وقد عرفنا سابقا أهمية ذلك وعظمة مرتبته، فلابد والحال هذه أن يكون الشيء المطلوب يتناسب مع عظمة هذه المراتب، لقبح ان يسأل الشيء الصغير التافه بالشيء العظيم الأهمية والجليل المنزلة والمرتبة، وهو أمر يكاد يكون

بديهيا، فلابد ان يكون طلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه له من الأهمية والمنزلة ما يستدعي ان يسأل عنه بالشيء العظيم.

دال: ونستطيع ان نكتشف أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال أهمية صاحب الثار صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا الصدد يقول الميرزا محمد تقي الأصفهاني: (الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الحسين الإمام المظلوم الغريب الشهيد «عليه السلام»: وهذا أمر لا يقدر على إحصاء ثوابه أحد إلا الله العزيز الحميد جل شأنه، لأن عظمة شأن الثأر بقدر عظمة صاحبه، فكما لا يقدر أحد على الإحاطة بالشؤون الحسينية إلا الله عز وجل، كذلك لا يقدر غيره على إحصاء ثواب طلب ثأره، فإنه الذي ورد في زيارته: السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره ولو لم يكن في الدعاء بتعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه سوى هذا الثواب، لكفى فضلا وشرفا وشأنا فكيف وفيه من الفضل ما لا يحصى، ومن الثواب ما لا يستقصى)[1].

ثانيا: لماذا التأكيد على ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الأنبياء الأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

حينما سينطلق الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بثورته المباركة ضد أهل الظلم فانه وكما ذكرنا من قبل سيرفع ثارات الإمام الحسين شعارا له كما ورد في الزيارة المنقولة في بحار الأنوار: (السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار... الذي يظهر في بيت الله الحرام ذي الأستار وينادي بشعار يا لثارات الحسين، أنا الطالب بالأوتار أنا قاصم كل جبار أنا القائم المنتظر بن الحسن عليه وآله أفضل السلام)[2].

(١) مكيال المكارم للميرزا محمد تقي الأصفهاني ج ١ ص٤١٩ – ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص١٩٣.

وان أول دم سينتصر له هو دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، كما في الرواية التي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه والتي جاء فيها: (... القائم إذا خرج يطلب بدم الحسين وهو قوله نحن أولياء الدم وطلاب الدية)[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محور النهضة المهدوية وان ثار الإمام الحسين سيكون الهدف منها فأين يا ترى بقية ثارات الأنبياء والأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ ولماذا لا يكون شعار النهضة المهدوية المباركة أكثر شمولية وسعة، بحيث تدخل تلك الدماء العظيمة ضمن أهداف النهضة وشعاراتها؟.

ويمكن لنا تلخيص الإجابة عبر النقاط التالية:

ألف: ان النهضة المهدوية المباركة وان أخذت دماء الإمام الحسين وثاراته شعارا لها حين انطلاق شرارتها الأولى، إلا ان هذا لا يعني بان قائدها المعصوم قد نسي أو تناسى دماء الأنبياء والأوصياء وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حاشاه، فقد ورد في دعاء الندبة المبارك قوله صلوات الله وسلامه عليه: (أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذي يجاب إذا دعا)[2] فدماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأبناء الأنبياء من الأوصياء والصلحاء غير منسية ولا مهملة من الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وكيف ينساها وهو يأخذ بحقوق ودماء عامة المؤمنين صغيرها وكبيرها حتى من كان منهم مجهولا ولا يشار إليه بالبنان، فكيف بدماء الأنبياء وأوصيائهم ودماء الأئمة من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟!

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص٢٢٤.

(٢) المزار لمحمد بن المشهدي ص٥٧٩.

باء: أوضحنا إجمالا فيما سبق ان انتصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو انتصار لجميع الأنبياء والرسل وأخذه بثارات الإمام الحسين هو في واقعه أخذٌ لثارات الأنبياء وأولادهم، ومطالبته بدم الحسين وأهل بيته هو مطالبة بدماء جميع المظلومين، وذلك لان قضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي قضية كل الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منذ خلق الله الأرض ومن عليها والى قيام الإمام المنصور المهدي بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد صرح مرات عديدة بأنه لم يخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا ولكنه خرج طلبا للإصلاح في امة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وان هدفه من النهضة هو رفع يد الظلم والظالمين عن المؤمنين وإعادتهم إلى الصراط المستقيم، وهذا هو نفس الهدف الذي كان يعمل جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على تحقيقه، وعليه فقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي قضية كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما أن محنته هي محنة الأنبياء جميعا وأوصيائهم وباقي الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقصاص من قتلته هو في الحقيقة قصاص من جميع القتلة والمتجبرين الذين أذاقوا الأنبياء والمؤمنين شديد العذاب، لان هؤلاء هم امتداد لأولئك.

فشعار (يا لثارات الحسين) هو المعبر عن آلام الإنسانية بشكل عام وعن معاناة الأنبياء والمصلحين بشكل خاص، لذلك سيتخذه الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه عنوانا لثورته الإنسانية، ويكون دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محور التغيير الذي يمثل كل تلك الدماء والأرواح التي سفكت وأزهقت سواء كانت لأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأولادهم، أو للقادة والمصلحين والشهداء إلى زمن قيام الإمام المهدي أرواحنا فداه.

ثالثا: ما معنى كون النصرة لطلب ثار الإمام الحسين رزقا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

الرزق كما يقول الإمام الصادق صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ : (الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه. والآخر معلق بطلبه. فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وإن لم يسع له، والذي قسم له بالسعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه)[1]، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ رزقان، رزق يطلبك ورزق تطلبه، والذي يظهر من نص زيارة عاشوراء ان التوفيق لطلب ثار الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مع الإمام المهدي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ هو من مصاديق القسم الثاني من أقسام الرزق، أي من الرزق الذي تطلبه، لأنه لو كان من الرزق الذي يطلبك لما كان ضروريا ان يطلبه الإمام المعصوم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ويتوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنيله.

وكونه من الرزق الذي يجب على الإنسان طلبه يستتبع شيئين مهمين:

ألف: ان رزق التوفيق لنصرة الإمام المهدي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وطلب ثار الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ هو ليس من الأمور الاستحقاقية اللازمة التي ينالها المرء بالاستحقاق الذاتي، بل هو من الأمور التفضلية التي يمن بها الله سبحانه على من يشاء من عباده، فلو كانت النصرة وطلب الثار بالاستحقاق لكان الأئمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أولى الناس وأحقهم به، فلا داع حينئذ ان يسأله المعصوم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الزيارة، وهذا هو الظاهر من عبارة الزيارة.

والذي يخطر بالبال ان الأئمة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ خارجون عن هذا الظاهر وهم أولى الناس بنصرة الإمام المهدي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وأحقهم بطلب ثار الإمام الحسين صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وهم خارجون عن هذه القاعدة دون غيرهم من الناس، وتوسلهم

(١) المقنعة للشيخ المفيد ص ٥٨٦ - ٥٨٧.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وطلبهم من الله سبحانه وتعالى النصرة وطلب الثار في الزيارة لتبيان الأهمية من جهة ولتعليم الناس وتوجيههم من جهة ثانية ولإيضاح ان هذا الشرف وهذه المنزلة لا تنال إلا بالدعاء والطلب والتوفيق الإلهي مهما كانت درجة الإنسان في سلم الكمال، إذ قد تعطى لإنسان فقير معدم مغمور الذكر خامل النسب ويحرم منها عالم مشهور بورعه وعلمه وتقواه، نسأل الله أن يمن علينا ذلك بلطفه ورحمته.

باء: ان التوفيق لطلب الثار بمعية الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وان كان من الأمور التفضلية التي يمن الله سبحانه وتعالى بها على بعض عباده دون بعضهم الآخر، إلا ان هذا المنّ والتفضل والفيض ليس جزافيا، لان الله سبحانه وتعالى حكيم في كل أفعاله وعطاياه، فلا يفعل العبث ولا يعطي جزافا، وعليه فلابد ولكي يستحق الإنسان ان يمن عليه بالتوفيق لطلب الثار مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ان يوجد في نفسه شروط ذلك وأسبابه، شأنه شأن جميع الأمور والأرزاق التي يطلب من الإنسان السعي لتحصيلها، مثل الفلاح الذي في سبيل جني ثمرة التفاح أو غيرها من الثمار، فإن عليه ان يحرث الأرض ويزرع النبتة ويوصل إليها الماء والشمس ويمنع وصول الطير والآفات إليها ويصبر عليها الأيام والليالي وربما الأشهر والأعوام، حتى يجني بعد كل ذلك التعب الثمرة المرجوة، وكل هذا الجد والجهد والتعب في سبيل تفاحة لذتها وفائدتها محدودة ووقتية وضيقة، فكيف بالذي يريد الوصول إلى هدف وثمرة يتمنّى نيلها والوصول إليها الملائكة الكرام والرسل والأنبياء العظام، فإن التعب سيكون أكثر والجهد أعظم بكثير من زارع نبتة التفاح، ومثل هذه المراتب لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ولا يتوصل إليها العبد مهما أوتي من جهد وجد وطاقة إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى ومنّه ولطفه، نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا وجميع الموالين طلب ثار الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي المنصور عجل الله تعالى فرجه الشريف.

رابعا: هل يشترط وجود الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في مسألة أخذ الثار؟

والذي يظهر من عبارة الزيارة الشريفة ان حضور الإمام المعصوم المنصور صلوات الله وسلامه عليه شرط في طلب الثار المقصود في فقرة الزيارة، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الفقرة الشريفة لا يقصد كل طلب، وإنما يقصد طلبا خاصا وهو الذي مع الإمام المنصور صلوات الله وسلامه عليه، لان طلب الثار مع الإمام المهدي له قيمة أخرى تختلف عن كل طلب، لان الجهاد مهما كانت درجة أهميته عظيمة، إلا انه مع الإمام المعصوم وتحت رايته أعظم وأعظم، لاسيما تحت راية الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذي ورد النص بعظيم أهميته، ولان نصرته وكما ذكرنا سابقا هي نصرة لجميع الشرائع والأنبياء والسنن.

إضافة إلى ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى أين يطلب الثار، وممن يطلب الثار، على نحو التحديد والدقة، لان طلب الثار ليس بالأمر الهين، لان الأمر يتعلق بالدماء والأعراض والأموال، وهو أمر عظيم لا يمكن الحكم به والتجرؤ عليه بغير نص وأذن قطعي، ولا يمتلك هذا النص والأذن غير الإمام المهدي المنصور صلوات الله وسلامه عليه.

إضافة إلى ان عملية اخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي عملية تحتاج إلى إمكانات مادية وعسكرية عظيمة، لان بعض من يطلب منه ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد يكون الآن حاكم دولة عظمى، أو قائداً من أولئك الذين تقف خلفه الجيوش الجرارة، أو غير ذلك، واخذ الثار من هؤلاء يستلزم إمكانات لا تخفى على المتأمل، وهذه الإمكانات لا تتحقق في غير عصر خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

لذلك نرى أنّ جميع تلك الثورات التي خرجت للطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبر التاريخ لم تؤتِ ثمارها كاملة، لضعفها من الناحية المادية والعسكرية وغير ذلك من الشروط التي لها مدخلية في تحقيق النصر الكامل، وأوضح دليل على ذلك ثورة المختار فبالرغم من كل الجهود التي بذلها المختار وأتباعه للنيل من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والأخذ بثاره، إلا انه عجز عن الوصول إلى الكثيرين ممن اشتركوا في تلك الفاجعة، فيزيد بن معاوية لعنه الله وبطانته الكافرة من آل أمية لعنهم الله، وغيرهم الآلاف قد فروا من سيفه، أو لم يصل إليهم لسبب وآخر.

هذا فيما لو قلنا إنّ طلب الثار سيقتصر على تلك الأمة التي ارتكبت فاجعة عاشوراء، ولم نذهب إلى ان الطلب بالثار سيشمل ـ كما هو الصحيح ـ جميع الأمم التي أتت بعد تلك الأمة المنحوسة أو قبلها، فيشمل امة رضيت، وأمة مهدت، وأمة دافعت عن الجناة وصححت أفعالهم، وغير هذه الأمم ممن لا يحيط بعلمهم وخبرهم إلا الله سبحانه وتعالى والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

فيتبين ونتيجة لهذا العرض، ان الثار الحقيقي لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لن يتحقق إلا في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وان جميع الحروب والثورات التي قامت أو ستقام في يوم من الأيام بهدف الأخذ بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ستكون ناقصة من حيث الأثر وسيكتب لها عدم النجاح، أو النجاح الجزئي، لذلك ورد وصف الـ(مَنْصُور) في العبارة التي نحن بصدد شرحها، فالوحيد الذي سيكتب له النصر وتكون ثورته لأخذ الثار متكاملة هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فحري بالمؤمن ان يحافظ على نفسه ويدخرها للمشاركة مع صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه، ولا يسمح ببذل مهجته إلا تحت رايته، كما قال الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه

فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر)[1].

وبناء على صحة هذا الحديث فإن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه مع انه يحكم على قتلاهم بأنهم شهداء، إلا انه صلوات الله وسلامه عليه يبين بان المرتبة الأفضل والأحسن والأكمل هي في عدم المشاركة واستبقاء النفس إلى صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه.

خامسا: كيف يطلب المؤمن ان يرزق طلب الثار واغلب الظن انه سيموت قبله؟

وربما يقال: كيف يمكن أن نصحح ان يطلب الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه او سائر الزائرين بهذه الزيارة الشريفة أن يرزقه الله سبحانه وتعالى طلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وهو يعلم يقينا بأن عمره لن يصل إلى ذلك اليوم، لان الغالب في ظن اغلب الداعين بهذا الدعاء ـ ان لم يكن مقطوعا به ـ هو عدم بلوغهم إلى ذلك اليوم الموعود، وعليه، أليس في هذا الدعاء نوع من العبثية وعدم الدقة في الطلب؟.

أقول: ان هذا الدعاء من الإمام صلوات الله وسلامه عليه ومن سائر شيعته الكرام هو على نحو الترجي والتمني والالتماس لوجه من وجوه الخير، وهو أمر حسن ومستساغ شرعا وعقلا، وقد وردت نصوص عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تؤكد على أن العبد يستطيع أن يبلغ بنيته وقصده مراتب عالية من الكمال، حتى وان لم يوفق لفعل وتحقيق تلك النية وذلك القصد في الخارج، منها ما عن أبي بصير، عن الإمام

(١) كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إن العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فإذا علم الله ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم)[١].

وعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا قال: (ما من مؤمن سن على نفسه سنة حسنة أو شيئا من الخير ثم حال بينه وبين ذلك حائل إلا كتب الله له ما أجرى على نفسه أيام الدنيا)[٢].

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تمنى شيئا وهو لله عز وجل رضا لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه)[٣].

وقد ورد في كثير من الأخبار ان الإنسان مع من أحب وله مثل أجره فان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر، كما روي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ان الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة)[٤]، وروى المخالفون قريباً من هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (يحشر الناس على نياتهم)[٥]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى)[٦].

وربما شارك الإنسان أجر أناس عاشوا قبله أو بعده بمئات السنين بل وبآلاف السنين أيضا، لا لشيء إلا لأنه محب لعملهم، كما في الحديث المروي عن أمير

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق ص٢٨.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٧٤.

(٤) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص٢٦٢.

(٥) سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني ج٢ ص١٤١٤.

(٦) صحيح البخاري ج١ ص٢٠ كتاب الإيمان.

المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لما فرغ من قتل الخوارج يوم النهروان (قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا، معك هذا الموقف، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه، ويسلمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما كنا فيه حقا حقا)[1].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي أمرا فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه)[2].

ويوجد توجيه ثانٍ وجواب آخر، وهو ان المشهور ان لم نقل المتواتر والمتسالم به عند أصحاب المذهب الحق مذهب أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان هنالك رجعة عند خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يحيي الله سبحانه وتعالى بها بعض المؤمنين وبعض الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو جميعهم على اختلاف الآراء في ذلك، لينعموا بنصرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والعيش في دولته الكريمة تلك الدولة التي كانت حلم جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين منذ ان خلق الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم صلوات الله وسلامه عليه، وقد وردت عدة نصوص شرعية عن الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء الطائفة الأبرار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين توضح حقيقة الرجعة وإمكان وقوعها في زمن الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه، بل ووقوعها فعلا في الأمم السالفة.

وقد الفت في إثباتها واستقصاء مسائلها عشرات الرسائل والمؤلفات والمصنفات العلمية، وقد عد محقق كتاب (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة) للحر

---

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج١ ص٢٦٢.

(٢) المصدر السابق.

العاملي[١] أربعة وأربعين مصنفا في موضوع الرجعة وقد ذكر أسماءها وأسماء مصنفيها تفصيلا، وهذا الإكثار في التصنيف ان دل على شيء فانه يدل على أهمية موضوع الرجعة ومدى اهتمام العلماء الماضين والمتأخرين والمعاصرين بهذا الموضوع لأنه يعد من إحدى عقائد الشيعة الإثني عشرية.

ومن تلك الأقوال التي حكت إجماع الشيعة الاثني عشرية على الاعتقاد بالرجعة وإمكانها هو قول الشريف المرتضى قدس الله روحه حينما سُئل عن حقيقة الرجعة، لأن شذاذ الإمامية يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم عليه السلام من دون رجوع أجسامهم، فأجابهم قدس الله روحه بقوله: (إعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته. ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله. والدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه مما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإنا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة. وإذا أثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك. وإجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة، لدخول قول الإمام عليه السلام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صوابا)[٢].

ومن الأحاديث الصريحة فيما نحن فيه ما روي عن المفضل بن عمر قال: (ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه

---

(١) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي تحقيق مشتاق مظفر.

(٢) رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦، المسألة الثامنة، حقيقة الرجعة.

السلام : إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له : يا هذا إنه قد ظهر صاحبك ، فإن تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم)[1].

ومثله عن سيف بن عميرة ، قال : (قال لي أبو جعفر «عليه السلام» : المؤمن ليخير في قبره ، إذا قام القائم ، فيقال له : قد قام صاحبك ، فإن أحببت أن تلحق به فالحق ، وإن أحببت أن تقيم في كرامة الله فأقم)[2].

وقد زخرت الزيارات الشريفة بحقيقة أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سيرجعون ، وكذلك سيرجع جمع من شيعتهم ومحبيهم لغرض النصرة والعيش تحت ظلهم ورعايتهم ، ومن هذه الزيارات الشريفة زيارة الجامعة التي تسالمت صحة صدورها وعلو مضامينها ، والتي جاء في بعض فقراتها المباركة : (أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم وبما كفرتم به ، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم ، موال لكم ولأوليائكم ، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم ، سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتم ، مبطل لما أبطلتم ، مطيع لكم ، عارف بحقكم ، مقر بفضلكم ، محتمل لعلمكم ، محتجب بذمتكم معترف بكم ، ومؤمن بإيابكم ، مصدق برجعتكم ، منتظر لأمركم ، مرتقب لدولتكم...)[3].

ومنها ما ورد في زيارة الإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه : (مولاي فان أدركني الموت قبل ظهورك ، فاني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى ، واسأله ان يصلي على محمد وآل محمد وان يجعل لي كرة في ظهورك ، ورجعة في أيامك ، لأبلغ من طاعتك مرادي ، وأشفي من أعدائك فؤادي)[4].

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٤٥٩.

(٢) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري «الشيعي» ص ٤٧٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦١٤.

(٤) المزار لمحمد بن المشهدي ص ٥٨٨.

وفي زيارة أخرى جاء فيها: (وان حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتما وأقدرت به على خليقتك رغما، فأحيني عند ظهوره خارجا من حفرتي، مؤتزرا بكفني، حتى أجاهد بين يديه في الصف الذي أثنيت عليهم في كتابك، فقلت: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]، اللهم طال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون في حياتنا وبعد المنون. اللهم إني أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة، الغوث الغوث الغوث يا صاحب الزمان، قطعت في وصلتك الخلان، وهجرت لزيارتك الأوطان)[2] وتوجد زيارات أخرى يطول ذكرها قد تركناها روما للاختصار.

فيتحصل مما سبق ان سؤال الإمام صلوات الله وسلامه عليه وباقي المؤمنين الكرام صحيح موافق للموازين الشرعية حتى وان حال دون تحقق مرادهم الموت الذي جعله الله حقا على عباده، لان استجابة دعائه صلوات الله وسلامه عليه ودعاء شيعته الكرام سيكون في الرجعة التي ستقع يقينا حين خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الرابع: من هم أهل البيت المقصودون في آية التطهير

ألف: تحرير محل النزاع حول هذه الآية المباركة

آية التطهير هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وهذه الآية المباركة هي جزء من آية نزلت مع مجموعة من الآيات الأخرى والتي تحدثت عن زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، تبدأ من قوله

(١) سورة الصف الآية رقم ٤.

(٢) المصدر السابق ص ٦٥٨.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣.

سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[1]، وتنتهي عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[2]، وآية التطهير جاءت ضمن الآية الثالثة والثلاثين من هذه السورة وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[3].

وبسبب وقوع جملة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ في ضمن هذه الآية والآيات التي تحدثت عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع اختلاف قديم جديد ـ قديم حدوثا جديد استمرارا ـ حول دلالة هذه الجملة من الآية الشريفة، فأجمع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم على أنها وان وردت في سياق الحديث عن زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن سبب نزولها يتعلق بالخمسة أهل الكساء، وهم كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، والسيدة الطاهرة فاطمة البتول صلوات الله وسلامه عليها، والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، ولهم إضافة إلى إجماعهم أدلة وروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مروية عن طريق مخالفيهم، سنتعرض إلى بعضها لاحقا.

أما باقي المذاهب الإسلامية فقد تشعبت كلمتهم وتفرقت على أقوال عديدة، فمنهم من خص هذه الجملة في الآية المباركة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدخل معهن غيرهن إلا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من جعل من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٤.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣.

جزءاً وفرداً من الأفراد المشمولين بهذه الآية المباركة، وادخل معهن الخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومنهم من فتح الباب على مصراعيه ليدخل في ضمن الآية كل من حرمت عليه الصدقة، فيشمل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجميع آل عبد المطلب، فيدخل بنو العباس قاطبة، وآل الحارث بن عبد المطلب، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد عندهم لربيعة بن الحارث والعباس ابني عبد المطلب: (ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)[1].

فيتحصل مما سبق ان الخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجمع على دخولهم عند الشيعة وغيرهم ولا يخالف ذلك إلا شاذ لا يعتد برأيه، أما الباقون فمختلف فيهم، فالبحث إذن يجب ان يتمحور ليس في دخول أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشمولهم بآية التطهير، لان ذلك مسلم به ومجمع عليه كما عرفت، وإنما البحث حول دخول غيرهم معهم في حكم الآية الشريفة، وهو ما سيتضح في الفقرات اللاحقة إن شاء الله سبحانه وتعالى.

باء: استعمالات لفظ الأهل في القرآن الكريم واللغة

قد أطلق لفظ الأهل ولفظ أهل البيت في القرآن الكريم وأريد به معانٍ عديدة منها:

١: قد أطلق لفظ الأهل على أتباع دين معين كتسمية القرآن الكريم اليهود والنصارى بأهل الكتاب، ويقصد بهم الذين يدينون باليهودية والنصرانية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم ج٣ ص١١٩، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٠.

وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى في آية ثالثة: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2].

٢: وأطلق لفظ الأهل على سكان مدينة معينة أو قرية معينة، نظير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى في آية ثانية: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[5].

٣: وقد أطلق لفظ الأهل على أفراد ومجاميع يجتمعون في مكان واحد ويشتركون في نفس المصير كإطلاقه على أهل النار وأهل الجنة، أو كقوله تعالى ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾[6] لتغرق أهلها أي أهل السفينة، وسموا أهلا لاشتراكهم في نفس المصير ان غرقوا غرقوا بأجمعهم وان نجوا نجوا بأجمعهم أيضا.

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٧.

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٦.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠١.

(٥) سورة الحجر الآية ٦٧.

(٦) سورة الكهف الآية ٧١.

٤ : وقد أطلق في بعض الآيات الشريفة وأريد به الأم والأخت كما في قوله تعالى في قصة نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾[1]، ولم يكن في بيت نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه بحسب ما تتبعنا إلا أمه وأخته، وهو المقدار المتيقن من آيات القرآن الكريم لان الآيات الشريفة إنما تحدثت عن أمه صلوات الله وسلامه عليه وأخته فتكونان مشمولتين بلفظ أهل بيته قطعا وغيرهم يحتاج إلى دليل إضافي.

٥ : وأطلق لفظ الأهل وأريد به الأخ كما في قوله تعالى : ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾[2] فعبر عن نبي الله هارون صلوات الله وسلامه عليه بأنه من أهل نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه.

٦ : وأطلق لفظ الأهل على الولد كما في قوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[3].

٧ : وقد أطلق لفظ الأهل على بنات الرجل من صلبه كما في قوله سبحانه وتعالى في قصة نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه : ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[4].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[5]، والمعلوم تاريخيا ان لوطا لم يكن له إلا بنتان أو ثلاثة حين خروجه من تلك القرية التي عذب أهلها

(١) سورة القصص الآية ١٢.

(٢) سورة طه الآية ٢٩-٣٠.

(٣) سورة هود الآية ٤٥.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٣٢.

(٥) سورة الأعراف الآية ٨٣.

وهن المذكورات في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[1].

٨: وقد أطلق لفظ الأهل على الزوجة أيضا قال أبو بكر الجصاص: (الأهل اسم يقع على الزوجة وعلى جميع من يشتمل عليه منزله ...)[2]، وفي معاجم اللغة: (الآهل الذي له زوجة. وعيال، وسار بأهله أي بزوجته و أولاده، وأهل الرجل وتأهل: تزوج، والتأهل: التزوج، وفي الدعاء: آهلك الله في الجنة إيهالا أي زوجك فيها)[3].

وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن أيضا، نظير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[4].

وكذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[5].

وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[6].

٩: وقد يطلق لفظ الأهل على العشيرة والأقرباء بصورة عامة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾[7].

---

(١) سورة هود الآية ٧٨.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢ ص ٢٧٧.

(٣) قاموس اللغة ج٣ ص٣٣١.

(٤) سورة النمل الآية ٧.

(٥) سورة هود الآية ٧٣.

(٦) سورة يوسف الآية ٢٥.

(٧) سورة مريم الآية ١٦.

فيتضح مما سبق أنّ القرآن الكريم أطلق لفظ الـ(أهل) على مصاديق عدة، فأطلقه على الواحد كما في نبي الله هارون صلوات الله وسلامه عليه، وابن نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الاثنين كابنتي نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الأخت وعلى الأم كما في أم وأخت نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الزوجة كزوجتي نبي الله إبراهيم الخليل ولوط صلوات الله وسلامه عليهما، وأطلقه على الجماعة البالغة من العدد مبلغا عظيما، كأهل الكتاب وغيرهم، وأطلقه على الجماعة المحدودة والمتوسطة العدد كأهل السفينة وأهل القرية.

جيم: القرآن يجرد البعض من صفة الأهل مع أنهم موصوفون بها لغة وعرفا

لا يخفى على مسلم ان لله سبحانه وتعالى على الناس ولايتين، ولاية تكوينية وأخرى تشريعية، فمثلما انه سبحانه وتعالى يحيي من يشاء، ويعطي من يشاء، ويميت من يشاء، ويرزق من يشاء، بحسب المصلحة والحكمة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، كذلك سبحانه يشرع ما يشاء ويحكم بما يشاء، ويفرض على عباده ما يشاء، على وفق ما يراه سبحانه وتعالى مناسبا، وله مدخلية في تكامل الإنسان وتنظيم مصالحه الفردية والاجتماعية، وبما يعود عليه بالخير والفائدة والصلاح، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[2]، وهذا الأمر لا يحتاج إلى دليل لبداهته عند كل معتقد بالدين الإسلامي، بل وحتى الأديان الأخرى ترى مثل هذا الحق لله سبحانه وتعالى.

ويتفرع على هذه الحقيقة البديهية، أنّ الله سبحانه وتعالى مثلما له حق التشريع،

---

(١) سورة القصص الآية رقم ٦٨.

(٢) سورة المائدة الآية رقم ١.

كذلك له سبحانه وتعالى حق توسيع ما يشاء من المفاهيم والحقائق الشرعية، أو تضييق وحصر ما يشاء من تلك المفاهيم، وله سبحانه وتعالى الحق في إضافة مصاديق معينة إلى مفهوم معين، أو نفيها عنه، كل ذلك خاضع للعلم الإلهي والحكمة والمصلحة، وهذا ما حصل في مصطلح (الأهل) في القرآن الكريم، إذ نراه سبحانه استخدم ولايته التشريعية فجرد ومحا صفة الأهل عن ابن نبي الله نوح صلى الله وسلامه عليه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[1]، فمع ان المعنى اللغوي والعرفي يجعل من ابن نبي الله نوح صلى الله وسلامه عليه من اقرب وأوضح مصاديق الأهل، إلا انه سبحانه وتعالى أخرجه من ذلك لسبب كفره وعدم صلاحه.

ومثلما ان لله سبحانه وتعالى ولاية على نفي بعض الأفراد عن ان يشملهم وصف الأهل، كذلك له سبحانه الحق في تخصيص بعض أفراد الأهل بحكم من الأحكام التشريعية أو التكوينية، واستثناء البعض الآخر من هذه الأحكام، كما استثنى سبحانه وتعالى زوجة نبي الله لوط صلى الله وسلامه عليه من حكم النجاة من العذاب، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[3].

فيتبين مما سبق شيئان مهمان هما:

١: ان لله سبحانه وتعالى حق تضييق أو توسيع ما يشاء من المفاهيم والحقائق

(١) سورة هود الآية رقم ٤٦.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٨٣.

(٣) سورة العنكبوت الآية رقم ٣٣.

الشرعية، حتى وان كان هذا التوسيع مخالفاً للمفهوم العرفي واللغوي، كما في مسألة ابن نبي الله نوح فمع ان المدلول العرفي واللغوي يتناوله إلا ان المدلول الشرعي لا يشمله، فإذا ما أردنا التعريف الشرعي لأهل بيت نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه فان ابنه وبحسب الشرع لا يدخل فيهم البتة.

٢: ان لله سبحانه وتعالى حق تخصيص بعض أفراد العموم بحكم من الأحكام التشريعية أو التكوينية، واستثناء البعض الآخر من هذه الأحكام، كما في حكم النجاة من العذاب بالنسبة إلى زوجة نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه، فمع ان القرآن اقر لها بصفة الأهل إلا انه استثناها من حكم من الأحكام التكوينية.

دال: هل للسنة النبوية المطهرة إمكانية تخصيص عمومات القرآن الكريم؟

لا يخفى أنّ في القرآن الكريم أحكاماً عامة أو مطلقة كثيرة، وقد خصصت أو قيدت أكثرها، وهذا التقييد أو التخصيص تارة يقع بنص قرآني ثانٍ، كما مر في الآيتين اللتين تكلمتا عن ابن وزوجة نبيي الله نوح ولوط صلوات الله وسلامه عليهما، وتارة يقع بنص من السنة النبوية المطهرة، التي اجمع الموالف والمخالف على ان لها قابلية التخصيص والتقييد لعمومات وإطلاقات القرآن الكريم، قال المحقق الحلي: (المسألة الثانية: تخصيص الكتاب بالكتاب جائز، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[1]، ثم قال في موضع آخر: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾[2]. وكذلك ـ يجوز ـ تخصيص الكتاب بالسنة قولا، كتخصيص آية المواريث[3] بقوله عليه السلام: «القاتل

(١) سورة محمد الآية رقم ٤.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٢٩.

(٣) آية المواريث هي قوله تعالى في الآية رقم ١١ من سورة النساء: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ ←

لا يـرث»، وفعـلا[١]، كتخـصيص آيـة الجلـد[٢]برجمـه عليـه الـسلام مـاعزا[٣]. وبالإجماع[٤]، كالتسوية بين العبد والأمة في تنصيف الحد، تخصيصا لآية الجلد)[٥].

وقال الآمدي: (المسألة الخامسة يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة. أما إذا كانت السنة متواترة، فلم أعرف فيه خلافا، ويدل على جواز ذلك ما مر من الدليل العقلي. وأما إذا كانت السنة من أخبار الآحاد، فمذهب الأئمة الأربعة جوازه)[٦].

وقال الخطيب البغدادي: (خبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن)[٧].

وعن: (الفضل بن زياد قال سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

(١) يعني وكذلك يجوز تخصيص الكتاب العزيز بفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) آية الجلد هي قوله تعالى في الآية رقم ٢ من سورة النور: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٣) آية الجلد عامة في جلد كل زانٍ، سواء كان محصنا أي متزوجا أم غير محصن، فلما رجم النبي صلى الله عليه وآله وسلم احد الصحابة والذي كان اسمه ماعزا وكان متزوجا، علمنا ان حكم الجلد الذي في الآية خاص بالذي يزني وهو غير متزوج، أما المتزوج فيرجم.

(٤) يعني وكذا يجوز تخصيص الكتاب العزيز بالإجماع.

(٥) معارج الأصول للمحقق الحلي ص٩٥ ـ ٩٦.

(٦) الأحكام للآمدي ج ٢ ص ٣٢٢.

(٧) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٣٠.

روى أن السنة قاضية على الكتاب قال: ما أجسر على هذا ان أقوله! ولكن السنة تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه)[1].

وعن: (حسان بن عطية قال كان جبرائيل ينزل على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن)[2].

ولتخصيص عموم القرآن الكريم بالسنة المطهرة أمثلة كثيرة جدا لا يتناسب ذكر جميع مصاديقها في مثل ما نحن فيه من الاختصار، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وسنأتي على عدة من الأمثلة التي ذكرها المخالف قبل الموالف، ونترك الباقي للكتب المختصة في هذا المجال، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

١: قال الخطيب البغدادي: (قال الله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث، فكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده وكل مولود يرث والده حتى جاءت السنة بأن المراد ذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين وأما إذا اختلف الدينان فإنه مانع من التوارث واستقر العمل على ما وردت به السنة في ذلك)[3].

٢: قال الخطيب البغدادي أيضا: (وقال الله تعالى: والسارق والسارقة فاقطعوا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٢٧، وراجع أيضا ما قاله ابن حجر عند إيراده للحديث: (وأخرج البيهقي بسند صحيح عن حسان بن عطية احد التابعين من ثقات الشاميين...ـ ثم ذكر الخبر ـ) راجع فتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٢٤٨.

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٢٨ باب تخصيص السنن لعموم محكم القرآن وذكر الحاجة في المجمل إلى التفسير والبيان.

أيديهما ، فكان ظاهر هذا القول يوجب القطع على كل سارق بسرقته كثرت أو قلت حتى دلت السنة ان المراد به بعض السراق وهو من بلغت سرقته في القيمة ربع دينار فصاعدا واما من لم تبلغ قيمة سرقته هذا القدر فلا قطع فيه... ولما ذكرناه نظائر كثيرة في الكتاب والسنة اقتصرنا منها على ما أوردناه)[1].

٣: وعن (علي بن زيد عن الحسن ان عمران بن حصين كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم لا تحدثونا إلا بالقرآن قال فقال له ادنه فدنا فقال أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم خذوا عنا فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن)[2].

فيتمخض للباحث مما سبق الحقائق التالية:

- ان السنة المطهرة لها قابلية التخصيص لعمومات القرآن الكريم، وهي كما قال احمد بن حنبل، تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه.

- وان السنة المطهرة خصصت كثيراً من عمومات القرآن الكريم وقد اتضح فيما سبق بعض النماذج المهمة لهذه الحقيقة. وان البعض قد صرح بأن القرآن بحاجة إلى السنة أكثر من احتياج السنة للقران.

- وان السنة لاسيما التي تتعلق بتفسير القرآن وتوضيحه وتقييده أو تخصيصه شأنها في الأهمية والوجوب شأن القرآن الكريم، من حيث ان مصدرهما واحد فكلاهما كان ينزل بهما جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأعظم ﷺ، ومن

(١) المصدر السابق ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٠ ـ٣١.

حيث الإلزامية والوجوب، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

❖ وعليه يصبح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المعبر الحقيقي والواقعي للمفاهيم الشرعية فإذا ما وسع مفهوما من المفاهيم الشرعية أو ضيقه فإننا نستدل على ان الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد تضييق أو توسعة ذلك المفهوم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2].

وليس القول بتخصيص السنة المطهرة للقرآن الكريم وتفسيرها وتبيينها من القول الجزاف وبلا دليل يركن إليه، فقد وردت أحاديث كثيرة تقرر هذه الحقيقة وتشدد عليها، منها أحاديث الأريكة التي اخبر بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمته عن قوم كانوا موجودين فعلا في أيام حياته الشريفة، أو انهم سيأتون بعد ذلك، لا يرتضون السنة النبوية الشريفة، ولا يعتقدون بحرمتها وأهميتها، ويكتفون بالقرآن الكريم فقط، وهم المقصودون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (بحسب امرئ قد شبع وبطن وهو متكئ على أريكته لا يظن أن لله حراما إلا ما في القرآن واني والله قد حرمت ونهيت ووعظت بأشياء انها لمثل القرآن أو أكثر)[3].

وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما ادري ما هذا، عندنا كتاب الله ليس هذا فيه)[4].

---

(١) سورة الحشر الآية رقم ٧.

(٢) سورة النجم الآية ٣ ـ ٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٢٥.

(٤) المصدر السابق.

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا عسى رجل ان يبلغه عني حديث وهو متكئ على أريكته فيقول لا أدري ما هذا عليكم بالقرآن فمن بلغه عني حديث فكذب به أو كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معد يكرب يقول: (حرم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أشياء يوم خيبر ثم قال يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مثل ما حرم الله عز وجل)[2]،[3].

---

(١) المصدر السابق ص٢٦.

(٢) المصدر السابق ص٢٤.

(٣) وأقول مستفهما بعد معرفة هذه الأحاديث الأخيرة: إذا كان الصحابة قد سمعوا هذا الكلام من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعلموا يقينا ان القرآن لا يستغني عن السنة المطهرة، وان من يستغني بأحدهما دون الأخر فقد باء بالخسران المبين، فما معنى قول عمر بن الخطاب حينما كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على فراش موته: (ان النبي صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) والذي رواه البخاري في صحيحه وغيره بقوله: (لما حضر رسول الله صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم قال رسول الله صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه ـ واله ـ وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم) صحيح البخاري ج ٧ ص٩ كتاب المرضى والطب.

هاء: هل فسر النبي ﷺ آية التطهير، وهل خصصها بفئة معينة دون أخرى؟

ذكرنا في بداية البحث ان آية التطهير وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قد نزلت ضمن مجموعة من الآيات التي تحدثت عن زوجات النبي الأعظم ﷺ، وقد جاء اللفظ فيها مطلقا، فلم يتقيد التطهير وإذهاب الرجس بفرد من أفراد أهل البيت، ومن حق الباحث عن الحقيقة ان يتساءل: هل قام النبي ﷺ بتخصيص هذا العموم أم لا؟ لان التخصيص ان كان قد صدر من النبي الأعظم ﷺ فيلزم على كل مسلم قبوله والخضوع له شاء أم أبى، فان لم يقبل عد من المتمردين ودخل في زمرة المبشرين بالنار كما نصت عليه الأحاديث السابقة، أما إذا لم يرد عن النبي الأعظم ﷺ أي تخصيص لأفراد أهل البيت فسيبقى حينئذ لفظ أهل البيت على عمومه، ويدخل في أهل البيت كل من ينطبق عليه الوصف لغة وعرفا، ويكون حكم التطهير وإذهاب الرجس شاملا للزوجة والبنت والابن والأقارب الأدنين والكثيرين من غير هؤلاء.

ونظرة بسيطة إلى الأحاديث الشريفة توصلنا إلى ان النبي الأعظم ﷺ لم يترك الآية المباركة على عمومها، ليدخل كل من هب ودب في ضمنها، بل خصصها بأفراد معدودين، واتبع في تخصيصها شتى الوسائل اللفظية منها والعملية، وفيما يأتي جملة من تلك الروايات الدالة على تخصيصها، وسنختصر على إيراد ما صححه المخالف قبل الموالف تاركين عشرات الروايات الأخرى التي طعنوا فيها لغايات لا تخفى على لبيب.

١: فقد أخرج مسلم في صحيحه: («حدثنا» أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير «واللفظ لأبي بكر» قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب

ابن شيبة عن صفية بنت شبية قالت: قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾)[1].

٢: وعن الترمذي في سننه: (حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير)[2].

وقال معلقا على هذا الحديث: (هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روي في هذا الباب. وفي الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة وأبي الحمراء)[3].

٣: وعن الترمذي أيضا قال: (حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾)[4].

وقال معلقا: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث حماد بن سلمة. وفي الباب عن أبي الحمراء معقل بن يسار وأم سلمة)[5].

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص١٣٠.

(٢) سنن الترمذي للترمذي ج٥ ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ص٣١.

(٥) المصدر السابق.

٤ : وعن الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين : (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا عثمان بن عمر ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت : في بيتي نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة يا رسول الله ما أنا من أهل البيت قال إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق)[١].

وقال الحاكم النيسابوري معقبا على هذا الحديث : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)[٢].

٥ : وعن الحاكم النيسابوري أيضا قال : (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبأ العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي قال سمعت الأوزاعي يقول حدثني أبو عمار قال حدثني واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال جئت أريد عليا رضي الله عنه فلم أجده فقالت فاطمة رضي الله عنها انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوه فاجلس فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل ودخلت معهما قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا وحسينا فاجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي).

ثم عقب عليه مباشرة بقوله : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) المصدر السابق.

يخرجاه)[1].

٦ : وعن الحاكم أيضا قال: (حدثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل ابن محمد الشعراني ثنا جدي ثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرحمة هابطة قال ادعوا لي ادعوا لي، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساءه ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾)[2].

ثم علق عليه الحاكم النيسابوري بقوله: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

٧ : قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: (وقال شهر: عن أم سلمة: إن النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم جلل عليا وفاطمة وابنيهما بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيت بنتي وحامتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقلت: يا رسول الله أنا منهم؟ قال: إنك إلى خير)[3].

وقال الذهبي معقبا على هذا الحديث: (إسناده جيد، روي من وجوه عن شهر. وفي بعضها يقول: «دخلت عليها أعزيها على الحسين». وروى نحوه الأعمش، عن جعفر بن عبد الرحمن، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة)[4].

(١) المصدر السابق.
(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٤٧ ـ ١٤٨.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٢٨٣.
(٤) المصدر السابق.

٨ : وقد صحح ابن تيمية ـ على تعصبه ولجاجته وعناده ـ نزولها في كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وابنته وبعلها وابنيها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حيث قال في كتابه منهاج السنة ما نصه : (وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه و سلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهذا الحديث قد شركه[1]فيه فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم)[2].

٩ : وقال الثعالبي في تفسيره لآية التطهير: («الرجس» اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت ، قالت أم سلمة : نزلت هذه الآية في بيتي ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري ، وقال : «هؤلاء أهل بيتي ، وقرأ الآية ، وقال اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت أم سلمة : فقلت : وأنا يا رسول الله ، فقال : أنت من أزواج النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأنت إلى خير»)[3].

ثم قال بعد إيراده لهذا الكلام : (والجمهور على هذا ، وقال ابن عباس وغيره : أهل البيت : أزواجه خاصة ، والجمهور على ما تقدم).

---

(١) يعني بذلك الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٥ ص١٣.

(٣) تفسير الثعالبي ج٤ ص٣٤٦.

تطبيق القواعد السابقة على هذه الروايات النبوية

الأحاديث التي مرت كانت جزءاً من كم هائل من تلك التي رواها علماء ورواة المذاهب الأخرى والتي صرحوا فيها بأن النبي الأعظم ﷺ قد خصص عموم آية التطهير بخمسة أشخاص تحديدا، ووفقا لقاعدة ان السنة النبوية لها الحق في تخصيص عمومات القرآن الكريم، وانها بمنزلة المفسر والمعرف والمبين لحقائق آياته الشريفة، كما قال احمد بن حنبل، فيجب حينئذ رفع اليد عن ذلك العموم وإخراج كل من يشملهم وصف أهل البيت سواء كان هذا الشمول لغويا أو عرفيا، وإبقاء هؤلاء الخمسة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقط من دون منازع.

وان هذا التخصيص النبوي لمصداق أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أوضحه النبي الأعظم ﷺ بعدة أشكال وصور، منها لفظية ومنها فعلية، فجمعهم في بيت واحد وإخراج كل من هم خارج هذا البيت من أزواجه وغيرهن تخصيص، وجمعهم تحت كساء واحد تخصيص ثانٍ يضاف إلى ما سبق، وهذا التخصيص الثاني أراد منه النبي الأعظم ﷺ إخراج سائر من كان داخل البيت باستثناء من أدخلهم بنفسه تحت الكساء، ثم تلاوته للآية المباركة بعد دخولهم تخصيص ثالث، ثم قوله ﷺ: (هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس...) تخصيص رابع وقاطع على ان المخصوصين بهذه الآية الشريفة هم فقط الموجودون تحت هذا الكساء، إذ لو كان غيرهم قد شاركهم بهذا الوصف لما صح من النبي الأعظم ﷺ ان يقول: (هؤلاء أهل بيتي) ولقال ﷺ: (هؤلاء من أهل بيتي) فيجعلهم جزءاً من مجموعة، وهذا بديهي لكل من عرف كلام العرب ومارسه، فكيف يخفى على النبي الأعظم ﷺ ذلك وهو أفصح من نطق بالضاد، ثم يختم النبي الأعظم ﷺ كل الشكوك ويغلق كل الأبواب التي

يمكن للآخرين استغلالها لإغراض شخصية أو سياسية فيرفض صلى الله عليه وآله وسلم دخول أم سلمة معهم داخل الكساء، حتى بعد أن طالبت هي بذلك في قولها: (يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟) أو (يا رسول الله أنا منهم؟) أو غير ذلك، فيجيبها بما يقطع عليها وعلى غيرها كل أمل بقوله: انك إلى خير أو على خير أو أنتِ من أزواج النبي أو غير ذلك، وهو تخصيص قاصم لظهر كل من قال بدخول زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ضمن أهل البيت الذين تحدثت عنهم آية التطهير.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو لماذا هذا الإصرار من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على تكرار التخصيص مرة بعد مرة؟ ولا أظن بأن الجواب يخفى على اللبيب العالم بما وقع بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورحيله عن هذه الدنيا الفانية، وما جرى وصار على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من غصب حقوقهم وإبعادهم عن منازلهم وإقصائهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع كل تلك التخصيصات عسى أن يحول دون أن تسرق منهم هذه الصفة ـ صفة أهل البيت المطهرين والمنزهين عن كل رجس ـ أو يبقي الحقيقة واضحة للباحثين عنها فيما لو تجرأت السياسة والساسة التعدي على هذا الحق.

ووفقا لقاعدة ان السنة المطهرة لا سيما التي صدرت من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهدف تفسير القرآن وتبيينه هي من أقسام الوحي الذي كان ينزل به جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغها للأمة ويبين معناها وخصوصياتها ومن المقصود بها، فيكون تخصيص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية المباركة من قسم الوحي الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بتبليغه لسائر أفراد الأمة، وبعبارة ثانية ان هذا التخصيص لعموم آية التطهير هو ليس أمرا شخصيا عاطفيا قام به رجل تجاه ابنته وزوجها وابنيها، بل هو أمر وإرادة إلهية

خارجة عن الدوافع الشخصية، حكم به الله وأراده وبلغه بصورة رسمية بواسطة جبرائيل عليه السلام إلى شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه نبيا لا بوصفه والدا أو غير ذلك من العناوين.

ويلزم وفقا لكون تخصيص أية التطهير بالخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان هذا التخصيص وحي من الله سبحانه وتعالى وجوب الإقرار لهم بذلك من جميع المسلمين، ومن يرفض منهم هذا التخصيص أو يحاول ان يدخل معهم غيرهم فان أحاديث الأريكة التي مرت ستشمله لا محالة، وسيؤدي إدخال غيرهم معهم إلى إدخال أمر في الدين ليس منه ويؤدي بالإنسان إلى ان ينصب نفسه كمشرع مع الله سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيدخل في الضلالة من حيث يعلم أو لا يعلم.

لماذا ندخل باقي أفراد الأئمة المعصومين ضمن أهل البيت مع ان حديث الكساء لا يشملهم؟

ذكرنا سابقا ان واحدة من حقوق وصلاحيات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي إمكان تخصيص أو توسعة المفاهيم والحقائق الشرعية على وفق ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وقد عرفنا سابقا ان باقي المذاهب الإسلامية قبل الشيعة يعتقدون ويصححون روايات تخصيص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم آية التطهير بالخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو اعتقاد حق لا ريب فيه، لكن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتبعا لهم شيعتهم على مر الأيام والأعوام، كانوا ولا يزالون يعتقدون بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد خصص آية التطهير بأربعة عشر شخصا، هم كل من أهل الكساء الذين سبق ذكرهم في الأحاديث السابقة، وتسعة من أولاد الإمام الحسين صلى الله عليه وآله وسلم أولهم الإمام علي

ابن الحسين وآخرهم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا التخصيص وان لم يرد عن طريق المخالفين، فهو لا يضر ألبتة، لأنهم لا ينقلون شيئا يكون فيه حجة لخصومهم عليهم في أغلب الأحيان، فيصبح الاعتقاد بدخول الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر مذهبي بل من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية، ومن لم يعتقد بذلك فليس منهم.

وفيما يأتي جملة من تلك الروايات الشريفة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تلحق الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين بأصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

منها ما عن علي بن الحسين بن محمد، قال: حدثنا هارون بن موسى التلعكبري، قال حدثنا عيسى بن موسى الهاشمي بسر من رأى، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أبيه علي عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة وقد نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك. فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله تعالى عن ذلك فقال: يا محمد هم الأئمة بعدك مطهرون معصومون وأعداؤهم ملعونون)[1].

---

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي ص١٥٥ ـ ١٥٦.

ومنها ما عن عبد الرحمان بن كثير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما عنى الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام. فلما قبض الله نبيه، كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين عليهم السلام. ثم وقع تأويل هذه الآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فكان علي بن الحسين عليه السلام، ثم جرت في الأئمة من ولده الأوصياء، فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله)[1].

وعن محمد بن علي الحلبي، (عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ يعني الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله)[2].

وقد ورد في الزيارة الجامعة: (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرسالة وخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان)[3].

فوصف الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بأنه (مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صحيح وعليه إجماع الفرقة الناجية أعزها الله، بل ان وصف الإمام المهدي

(١) الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٤٢٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٠٥.

صلوات الله وسلامه عليه بأنه من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله قد ورد حتى في روايات باقي المذاهب الإسلامية، ففي مسند احمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقنى يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما يكون سبع سنين)[1].

وعن أبي سعيد الخدري أيضا قال: (قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا قال ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا)[2].

المبحث الخامس: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وبعض ما يتعلق بها

أولا: تخصيص النبي صلى الله عليه وآله للصلاة عليه وتعليمه الأمة كيفية الصلاة عليه

لا يخفى ان الصلاة على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أمر مفروغ من مشروعيته لان القرآن الكريم صرح بأن الله سبحانه وتعالى يصلي عليه صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم له بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3].

فمشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله أمر مجمع عليه، وكذلك أجمعت مصادر المسلمين وبمختلف مصادرهم الروائية على تحديد وتخصيص النبي الأعظم لصيغة هذه الصلاة التي أمر القرآن الكريم بأن يصلى عليه بها، ومصادر الشيعة

---

(١) مسند احمد لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٦.

الإمامية أعزهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نصوصها تفوق حد الإحصاء، وكذلك مصادر بقية المذاهب الإسلامية، وفيما يأتي جملة من تلك المصادر مقتصرين على ما جاء في اصح كتبهم عندهم، فمنها:

ما أخرجه البخاري في صحيحه عن: (عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم قال قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد)[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: (قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلى عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)[2].

وقال أبو صالح عن الليث: (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم)[3]، وعن إبراهيم بن حمزة قال حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد وقال: (كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم)[4].

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

إذن فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خصص وفسر كيفية الصلاة عليه بأنها مقرونة بالصلاة على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووفقا للقواعد التي أوضحناها في المبحث السابق يصبح هذا التخصيص من قبيل الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى على نبيه، فيجب على الأمة بمختلف طوائفها ومذاهبها التقيد بإلحاق آله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ليمتثل بذلك الأمر الوارد في الآية المباركة، ومن تخلف عن ذلك أو بدل فقد بدل أمرا نبويا ووحيا سماويا ونصب نفسه في مقام التشريع مع الله سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم قد ورد نص يتيم ووحيد بإدخال أشخاص آخرين مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد أخرج البخاري عن ابي حميد الساعدي: (انهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد)[1].

وهو خبر معارض بعشرات بل بمئات الأخبار الأخرى التي خصت جميعها الصلاة بالآل من دون ذكر للزوجات ولا الذرية، والهدف من اختلاق هذه الأحاديث ونظائرها لا يخفى على العاقل وسيأتي تبيان للسبب الحقيقي من وراء إيجاد هذه الأحاديث.

ثانيا: هل يجوز للمسلم أن يقول: (علي صلوات الله عليه)؟

اجتمعت كلمة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل شيعتهم في جواز ان يصلي المؤمن على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فجوزوا الصلاة على سائر الأئمة

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص١٥٧.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى الصديقة السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها، بل وجوزوا الصلاة على غيرهم من الأولياء والصلحاء، والأحاديث المنقولة عنهم والزيارات التي وردت بحقهم وبحق بعض الأولياء والصلحاء كالعباس ابن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وكثير من أولاد الأئمة وأصحابهم كسلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وغيره، كل هذا وغيره خير شاهد على جواز ذلك.

أما باقي مذاهب المسلمين فتكاد تجمع على عدم جواز ذلك، لان الصلاة بزعمهم كما يقول عبد الكريم الرافعي في فتح العزيز: (قد صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أن قولنا عز وجل صار مخصوصا بالله تعالى جده وكما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر وعلي صلوات الله عليهما وإن صح المعنى)[1].

وقال محيي الدين النووي في روضة الطالبين: (قال الأئمة: وينبغي أن لا يقول: اللهم صل عليه، وإن ورد في الحديث، لان الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. وكما أن قولنا. عز وجل. صار مخصوصا بالله تعالى. فكما لا يقال: محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا، لا يقال: أبو بكر، أو علي، صلى الله عليه، وإن صح المعنى)[2].

وقال الآلوسي في تفسيره: (وقال القاضي عياض: الذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك. وسفيان، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والتسليم كما يختص الله سبحانه عند ذكره بالتقديس والتنزيه ويذكر من

(١) فتح العزيز لعبد الكريم الرافعي ج٥ ص٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٢) روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج ٢ص ٦٩ ـ٧٠.

سواهم بالغفران والرضا)[1].

وقال المقريزي: (الرابع: أن الصلاة صارت في لسان الأمة مخصوصة بالنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تذكر مع ذكر اسمه لا يسوغ ذلك لغيره وكما لا يقال محمد عز وجل ولا محمد سبحانه وتعالى لئلا يعطى رتبة الخالق فهكذا لا ينبغي أن تعطى غير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم رتبته فيقال: فلان صلى الله عليه وسلم)[2].

وخالف هذا الحكم بعض أئمتهم فذهب البعض إلى الكراهة وذهب آخر إلى الجواز لان الصلاة بمعنى الدعاء فتجوز لكل احد، قال الرافعي في فتح العزيز: (وصرح ـ الصيدلاني ـ بنفي الكراهة في العدة وقال أيضا الصلاة بمعنى الدعاء تجوز على كل أحد أما بمعنى التعظيم والتكريم يختص به الأنبياء عليهم السلام والمشهور ما سبق ـ وهو عدم الجواز ـ)[3].

وقال الآلوسي: (وحمل البيهقي القول بالمنع على ما إذا جعل ذلك تعظيما وتحية وبالجواز عليها إذا كان دعاء وتبركا، واختار بعض الحنابلة أن الصلاة على الآل مشروعة تبعا وجائزة استقلالا وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموما جائزة أيضا وعلى معين شخص أو جماعة مكروهة)[4].

ثالثا: سبب رفضهم للصلاة على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وقد بين غير واحد من المخالفين سبب حكمهم بعدم جواز الصلاة على غير

(١) تفسير الآلوسي ج ١١ ص ٦.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٠ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٣) فتح العزيز لعبد الكريم الرافعي ج٥ ص٥٣٠.

(٤) تفسير الآلوسي ج ٢٢ ص ٨٦.

الأنبياء والمرسلين، لان الصلاة على بعض الأولياء والأئمة قد أصبح شعارا للشيعة الإمامية ولكي يمنعوا أتباعهم من التشبه بشيعة أهل البيت منعوا عليهم ذلك ولم يجوزوه، قال الرافعي: (فقد ثبت نهي مقصود عن التشبه بأهل البدع وإظهار شعارهم والصلاة على غير الأنبياء مما اشتهر بالفئة الملقبة بالرفض)(١).

وقال محيي الدين النووي: (وهل ذلك مكروه كراهة تنزيه، أم هو مجرد ترك أدب؟ فيه وجهان. الصحيح الأشهر: أنه مكروه، لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم. والمكروه: هو ما ورد فيه نهي مقصود)(٢).

وقال ابن عابدين: (فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول، وإنما حدثه الرافضة في بعض الأئمة، والتشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم)(٣).

وقال ابن كثير الشانئ لكل ما يرفع من مقام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم... وقد غلب في هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحا ولكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه)(٤) أقول: بل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولى من هؤلاء وأولى، ولو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج ٢ص ٦٩ ـ٧٠.

(٣) تكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين «علاء الدين» ج ١ ص ٣٤٤.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٤.

كان كلام هذا الشانئ صحيحا لضمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه وعلى اله الأطهار فلما لم يفعل ذلك علمنا ان مرتبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تفوق مرتبة من ذكرهم ابن كثير بل تفوق مراتب العالمين جميعا انسهم وجنهم على رغم انف ابن كثير وغيره من المتعصبين.

وقال الآلوسي: (ولو قيل بتحريمها لم يبعد سيما إذا جعل ذلك شعارا له وحده دون مساويه ومن هو خير منه كما تفعل الرافضة بعلي كرم الله وجهه)[1].

وقال المقريزي: (إن الصلاة على غير النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قد صارت شعار أهل البدع ذكره النووي ومعنى ذلك أن الرافضة إذ ذكروا أئمتهم صلوا عليهم ولا يصلون على غيرهم فاستحبوا مخالفتهم في ذلك الشعار)[2].

ولرد هذه العصبية البغيضة لا نزيد في القول على ما سطره المحقق البحراني قدس الله روحه في الحدائق الناضرة حيث قال: (ومن أفحش تعصباتهم أنهم مع رواية هذه الأخبار[3] أجمعوا على عدم جواز الصلاة على غيره «صلى الله عليه وآله» وغير الأنبياء بل صرح جملة منهم بالمنع من ضم آله في الصلاة إليه كل ذلك عداوة وبغضا لهم «عليهم السلام» بل صرح بعضهم بالاعتراف بذلك وأنهم إنما تركوها مراغمة للشيعة حيث إنهم يضمون أهل بيته إليه «صلى الله عليه وآله» في الصلاة عليه)[4].

---

(١) تفسير الآلوسي ج ٢٢ ص ٨٦.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ج١٠ ص٣٧٣.

(٣) يقصد قدس الله روحه بالأخبار، أخبار تخصيص الصلاة بالآية الشريفة بالنبي الأعظم وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٤) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج ٨ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦.

رابعا: حرموا الصلاة على علي عليه السلام وصلوا على أبي بكر وعمر وعلى الجواري

من الغريب ان نرى المخالفين والمانعين من صلاة الشيعة الإمامية أعزهم الله على أئمتهم، وبعد ان وصفوهم كما عرفنا فيما سبق بأهل الأهواء واهل البدع، وألزموا على أتباعهم مخالفتهم، نراهم في كثير من كتبهم يصلون على أبي بكر وعمر ابن الخطاب وعائشة بنت أبي بكر، وفيما يأتي جملة من تلك الموارد:

فمنها ما في كنز العمال قال: (من أهل حمص ذي ظليم الالهاني قدم على أبي بكر وقد كان النبي نعته له فعرف أبو بكر صلى الله عليه وسلم...)[1].

وقال الضحاك: (حدثنا محمد بن المثنى نا مسلم بن إبراهيم نا أشعث بن جابر عن الحسن قال ولي أبو بكر صلى الله عليه عشرين شهرا)[2].

قال الثعلبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[3]: (أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمه، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم)[4].

وقال محمد بن سعد: (أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وأمه بشيرة بنت عبد الله من بني عدي بن كعب أسلم يوم فتح مكة ومات بعد مقتل عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم)[5].

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) الآحاد والمثاني للضحاك ج ١ ص ٨٥.

(٣) الجاثية الآية رقم ١٤.

(٤) تفسير الثعلبي ج ٨ ص ٣٥٩.

(٥) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٥ ص ٤٥٠ ـ ٤٥١.

وقال المزي: (العلاء بن عرار الخارفي الكوفي. روى عن: عبد الله بن عمر بن الخطاب صلى الله عليه)[١].

وقال المزي أيضا: (وقال الحسين بن محمد بن فهم: سمعت يحيى بن معين وذكر عنده حسن الجواري. قال: كنت بمصر فرأيت جارية بيعت بألف دينار ما رأيت أحسن منها صلى الله عليها. فقلت يا أبا زكريا مثلك يقول هذا؟ قال: نعم. صلى الله عليها وعلى كل مليح)[٢].

فسبحان الله العظيم! كيف يمنعون الصلاة على علي وبقية أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع ان الرواية صريحة في دخولهم ضمن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصلون على الجواري وعلى كل مليح!!!.

بعض فضائل وفوائد الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه في الكافي عن هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد و آل محمد)[٣].

وعن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (أن رجلا أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله إني أجعل لك ثلث صلواتي، لا، بل أجعل لك نصف صلواتي، لا، بل أجعلها كلها لك، فقال: رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا تكفى مؤونة الدنيا والآخرة)[٤]، وعن أبي بصير

(١) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٢ ص ٥٢٨.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٣١ ص ٥٦١.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٤٩١.

(٤) المصدر السابق.

قال: (سألت أبا عبد الله «عليه السلام»: ما معنى أجعل صلواتي كلها لك؟ فقال: يقدمه بين يدي كل حاجة فلا يسأل الله عز وجل شيئا حتى يبدأ بالنبي «صلى الله عليه وآله» فيصلي عليه ثم يسأل الله حوائجه)[1].

وعن أبي بصير، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته ولا يرغب عن هذا إلا جاهل مغرور وقد برئ الله منه ورسوله)[2].

وعن عاصم بن حمزة عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قال: (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وآله أفضل من عتق رقاب، وحب رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من مهج الأنفس أو قال ضرب السيوف في سبيل الله)[3].

وعن عبد الله بن سنان، عن الإمام أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه سمعته يقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ارفعوا أصواتكم بالصلاة علي فإنها تذهب بالنفاق)[4].

وعن عبد الله بن سنان، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، قال:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ١٥٤.

(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ١٥٤.

(٤) الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٤٩٣.

(قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ذات يوم لعلي «عليه السلام»: ألا أبشرك؟ فقال: بلى بأبي أنت وأمي، فإنك لم تزل مبشرا بكل خير. فقال: أخبرني جبرئيل آنفا بالعجب. فقال له علي «عليه السلام»: وما الذي أخبرك يا رسول الله؟ قال: أخبرني أن الرجل من أمتي إذا صلى علي وأتبع بالصلاة على أهل بيتي، فتحت له أبواب السماء وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة، وإن كان مذنبا خطأ، ثم تتحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، ويقول الله تبارك وتعالى: لبيك يا عبدي وسعديك، ويقول الله لملائكته: يا ملائكتي، أنتم تصلون عليه سبعين صلاة، وأنا أصلي عليه سبعمائة صلاة. وإذا صلى علي ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي، كان بينها وبين السماء سبعون حجابا، ويقول الله جل جلاله: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بنبيي عترته، فلا يزال محجوبا حتى يلحق بي أهل بيتي)[١].

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدما وقال: الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير)[٢]

إلى غير ذلك من الأخبار وفي ما ذكرناه كفاية لأولي الأفكار، نسأل الله الثبات على ولايتهم والحشر في زمرتهم إنه القادر على ما يشاء.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٦٧٥ ـ ٦٧٦.

(٢) عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٢٦٥.

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله سبحانه الانتهاء من شرح عبارة (أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَأرِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من هذه الزيارة الشريفة وبها ينتهي ما وفقنا الله سبحانه الى شرحه وإيضاحه من فقرات الزيارة الشريفة المشهورة والمعروفة باسم زيارة عاشوراء، راجين من الله سبحانه القبول والتجاوز عما فيه من خلل وسهو وخطأ، وان ينفعني فيه ووالدي وجميع من يهمني أمره ويهمه أمري في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، وان يوفقنا لمثله ولما هو افضل منه آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

الشيخ وسام برهان البلداوي

من داخل حرم مولاي الحسين الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

٩ صفر الخير ١٤٣٢ للهجرة النبوية الشريفة

١٤ كانون الثاني ٢٠١١ ميلادي

المحتويات

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ

يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِيَادٍ

وَآلَ مَرْوَانَ

وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً

وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ

وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً

وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ

فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَأْرِكَ

مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي

١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو

٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسرالصالحي

٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم مصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الامام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) — الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي

٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري